عبد الوهاب مطاوع

العصافير الخرساء

دار الشروق

العصافير الخرساء

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١ م
الطبعة الثانية
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الثالثة
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م
الطبعة الخامسة
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

الغلاف للفنان مصطفى حسين

عبد الوهاب مطاوع وأدب الاعتراف

وإذا كنا قد عرفنا من الأدب الاعترافى ذلك اللون الذى يُسمَّى بأدب التراجم والسير أو اليوميات ، فإن من ألوانه أيضا ما يكتبه الناس فى شكل الرسائل الاعترافية التى يحررها أديب وتمثل به دراسة للطبيعة البشرية والخبرة الإنسانية ..

ورائد هذا اللون من الأدب فى حياتنا المعاصرة هو الأستاذ عبد الوهاب مطاوع منذ أشرف على بريد الأهرام وما يحمله من رسائل المهمومين الذين يجيب على تساؤلاتهم الحائرة .

وجوهر هذا الأدب أن يحكى الإنسان عن نفسه وأن « يهتف » على الورق مصورا بصدق فنى لايجارى معاناته وآلامه وبحثه الدائم عن السعادة .

وهذا الصدق الإنسانى هو جوهر الأدب الاعترافى الذى يقدم لنا الاستاذ عبد الوهاب مطاوع ألوانا رائعة منه .

الدكتور عبد العزيز شرف
الناقد المعروف ورئيس القسم الأدبى بالأهرام
من دراسة نشرت له بالأهرام فى ١٨ / ٥ / ٩٠

العصافير الخرساء

أنا ياسيدى سيدة فى الرابعة والثلاثين من عمرى ، فى سنواتى الأولى بكليتى العملية بدأ الخطاب يتهافتون علىّ لجمالى اللافت للنظر لكن أبى وأمى أصرا على رفض أية خطبة قبل أن أتم تعليمى وفى عامى الدراسى الأخير تقدم لى شاب وسيم ومركزه مرموق ومن أسرة طيبة فعرضته على أبى وأمى فرفضاه فى البداية لأنه فى بداية طريقه ولا يملك شقة لكنى استطعت بعد محاولات شاقة اقناعهما به فقبلاه على مضض واشترطا تأجيل الخطبة إلى ما بعد تخرجى وتخرجت فى كليتى بتقدير جيد جدا وعملت بغير شهادتى فى إحدى الشركات الخاصة التى يملكها صديق حميم لعمى وبراتب كبير . وتم اعلان الخطبة وكنت سعيدة بها لكن المشاكل بدأت على الفور بين خطيبى وبين أبى وأمى على مسائل تافهة جدا سببها الحقيقى عدم قبولهما له من الأصل وتغيرت النفوس مع تراكم المشاكل حتى بدأت الخلافات بينى وبينه لأول مرة وتصاعدت حتى جاءت مناقشة عابرة بيننا كانت نهاية خطبتنا فأعدت إليه شبكته وهداياه ولم اندم على تجربة استغرقت من عمرى عامين .

وبعد فسخ خطبتى تقدم لى غيره لكنى أصبحت أتردد كثيرا فى

قبول الارتباط بأى شخص حتى لا اتعرض للفشل مرة أخرى . فمضت السنوات .. حتى بلغت السادسة والعشرين من عمرى فجن جنون أبى وأمى كأنى قد بلغت الأربعين وأصبح لا هم لهما إلا زواجى وبأسرع وقت فانطلقا يحضران لى الخطاب من كل مكان لكنى أصررت على ألا أقبل إلا من أحس بالراحة النفسية تجاهه وتعرضت لغضبهما ولومهما طويلا وفى هذه الأيام كنت أعمل فى الشركة من التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء وتتخلل ساعات العمل ساعة راحة بين الواحدة والثانية نقضيها فى الغداء والحديث مع الزملاء والزميلات وكان من بينهم زميل ارتحت إليه وارتاح لى وروى كل منا للآخر ظروفه كاملة ثم فاتحنى برغبته فى الزواج منى ووجدتنى فى لحظة واحدة اتخلص من كل ترددى وأقبله على الفور بل ووجدتنى أحبه حبا جنونيا وأراه الرجل الذى أتمناه فهو شاب طيب ووسيم ومكافح واخلاقه ممتازة واعتاد تحمل المسئولية منذ صغره لأن أبويه مكافحان وله أخوة فى مراكز طيبة وعنده شقة مؤجرة مناسبة وكان قد بدأ إلى جانب عمله فى الشركة تجارة صغيرة لحسابه تبشر بالنجاح ، وقد سعدت به وبكل ظروفه بالرغم من ان راتبه يقل عن راتبى مائة جنيه . وحملت سعادتى إلى أبى وأمى وفاتحتهما فى أمره ففوجئت بهما يرفضانه لأنهما غير مقتنعين بأنى قد بلغت السن التى تسمح لى بالاختيار الصحيح ولأنه لا يملك شقة تمليك كفلان الذى تقدم لى ورفضته ولا يملك سيارة كفلان ، ولأن شقته المؤجرة بعيدة عن مسكننا فكيف سنزورك .... إلخ ، وسمعت هذه الأسباب ذاهلة ومتعجبة من أنهما لايعرفان أن اقصى ما تريده الفتاة من الحياة هو

أن تعيش مع رجلها الذى اختاره قلبها واختاره قلبه والذى يغمرها بحبه وحنانه وحمايته فى أى مكان سواء أكان شقة تمليك أم مؤجرة وان المهم هو أن يبدآ معا ويكبرا معا ويحافظا على ما بنياه لأن ما يأتى سهلا يضيع غالبا سهلا . وناقشتهما طويلا فذكرانى بأنى قد أسأت الاختيار من قبل وكانت النتيجة هى الفشل ، وان من حقهما على ان التزم برأيهما فى هذا الأمر الهام حتى لا اتجرع كأس الندم مرة أخرى . وخلال هذه المشاورات تقدم شاب يعمل بإحدى الدول العربية عنده كل المؤهلات التى يراها أبواى جديرة بى من شقة تمليك قريبة إلى سيارة إلى بعض الأملاك الخاصة إلى الراتب المغرى إلى الأسرة المماثلة لأسرتنا ، فعرضاه على فرفضته بغير تردد وأعلنت تمسكى بفتاى الذى أحبه فلم ييأسا منى ودخلا إلى من المدخل الدينى لعلمهما بتدينى وخشيتى لربى فراحا يلحان على بقبوله ارضاء لهما لأن رضاء الأبوين من رضاء الله أما الحب فسوف يأتى على مهل بعد الزواج ولن تعرفى الندم ولا الفشل وازداد تركيزهما على الناحية الدينية ووسط حيرتى وتمزقى بين رغبتى فى ارضاء أسرتى ورغبتى فى التمسك بحبيبى عرضت عليه أن نتزوج سرا ونضع أسرتى أمام الأمر الواقع فرفض غاضبا وقال لى أنه يتمنى الزواج منى من أعماق قلبه لكن زواجنا ليس جريمة لكى نتستر عليها ونخفيها لهذا فهو لن يتزوجنى إلا بموافقة أسرتى علنا وأمام الله والناس .. فأكبرته فى داخلى وان كنت تمنيت لو كان وافقنى لكى يرحمنى من حيرتى وعذابى وازدادت ضغوط أسرتى على يوما بعد يوم حتى بدأت استسلم وجاء يوم كئيب فى حياتى كان على فيه ان أودع فتاى فى نفس المكان الذى كنا نلتقى فيه

خلال أيامنا السعيدة فى بهو أحد فنادق القاهرة فودعته بدموعى ووعنى هو بكلمات دامعة قال لى فيها أنه يتنازل عنى مرغما وعلى غير ارادته وأنه لن يتزوج بعدى مهما طال الزمن ولم اتحمل أكثر من ذلك فانفجرت باكية وهرولت من أمامه وعدت إلى بيتى ومشاعرى تجاه أبوى متضاربة لا أعرف هل يريدان لى السعادة حقا .. أم يريدان لنفسيهما الراحة والشقة التمليك القريبة والزوج الجاهز ماديا وحصلت على أجازة من العمل حاولت خلالها أن أهيئ نفسى للمرحلة الجديدة التى سأبدؤها بعد أيام .. وراح أبواى يرقبان حزنى بقلق ويتساءلان عما وراءه .. وبعد عدة أيام كئيبة عدت إلى العمل فلم أجد فتاى فيه وسألت عنه فعلمت من زملائى أنه استقال ليتفرغ لتجارته رغم رفض المدير لاستقالته وانه ودع الزملاء وتمنى لهم جميعا حياة سعيدة ولم ينس ان يترك لى معهم تمنياته الطيبة . فازددت اكتئابا ..

وعدت إلى بيتى فوجدت أبى وأمى مشغولين بأمر الخطيب الجديد وفشلت فى أن اشاركهما الاهتمام بأى شىء حتى عابا على فتورى وتمت الخطبة ووجدت خطيبى شابا مهذبا كريما للغاية ويحبنى جدا وتحبنى سرته وهى أسرة محافظة كريمة . وبعد ٦ شهور تم عقد القران وبالغ خطيبى فى كرمه فكتب لى فى العقد مبلغ ١٥ ألف جنيه كمؤخر صداق وتم الزفاف فى أكبر فنادق القاهرة .. وشهد حفل الزفاف أجمل الفقرات وطوال فقرات الحفل كانت صورة فتاى الذى وأدت حبى معه تطاردنى فأرى فى مخيلتى دموعه فى اللقاء الأخير واسمع صوته الهامس وهو يؤكد لى أنه لن يتزوج بعدى .. فلا أحس بدموعى ويراها

زوجى فيظنها دموع الفرح فيمسك بيدى ويقبلها ويقبلنى أمام الجميع ، فأفيق من غفوتى واتذكر أنى زوجة لرجل ينبغى ألا يكون فى خيالى غيره فأهز رأسى بعنف كأنى أطرد منها صورة فتاى وهكذا طوال الليل وحتى الفجر ، وانتهى حفل الزفاف وبدأنا شهر العسل واخترت أن أكمل إيمانى بارتداء الحجاب وبعد أيام سافرت مع زوجى إلى مقر عمله فى الدولة العربية وواظب أبواى على الاتصال بى تليفونيا وبالبريد وعلى السؤال عن الحمل .. فأجيبهما كل مرة أنه لم يحدث وكان زوجى الكريم قد استصدر لى رخصة قيادة لكى أقود سيارته الفارهة فى أى وقت وأغدق على بهدايا الذهب والماس وبالنزهات فمضت أيامنا هادئة جميلة ثم فجأة ياسيدى وبعد ٣ شهور فقط من الزفاف انقلب زوجى إلى شخص آخر لا علاقة له بالخطيب الذى جاء يطرق بابى ويبالغ فى رعايتى وتكريمى كأنما قد استبدل الله فجأة به شخصا آخر يحمل نفس الاسم والملامح ومازلت لا أعرف حتى الآن متى يتغير الإنسان هكذا فجأة وقد بدأ الانقلاب بأن سحب منى رخصة القيادة ثم بحرمانى من الخروج معه ثم بدأ بلا مقدمات يسب ويلعن أبوى وأهلى لأى سبب تافه كأن يعود ظهرا مثلا فيجدنى نائمة فى غفوة قصيرة من ارهاق العمل لأنى أعمل مثله وفى مجال مماثل لمجاله وغلبنى النوم وأنا فى انتظاره . أو يعود فلا يجد الطعام ساخنا فينهال على سبا وتقريعا إلى أن جاء يوم عدت ظهرا من عملى متعبة فطهوت وتركت الطعام على السفرة وغلبنى النوم فإذا بى استيقظ على وقع ضربات مؤلمة تنهال على فانتبهت مفزعة فإذا بزوجى المحب الكريم يضربنى بحذاء العمل ذى

الكعب الثقيل لأنى نائمة والأكل غير ساخن .. فلم أزد عن أن رددت بلا وعى وبانفعال شديد حسبى الله ونعم الوكيل .. فتركنى وخرج ووجدت نفسى أبكى بلا انقطاع لمدة ساعتين .. وتكررت اعتداءاته على بالضرب ولم أكن أقف ساكتة كما فعلت يوم صحوت من نومى على حذائه ، وإنما كنت ادافع عن نفسى بكل قوة لكنه كان يغلبنى فى النهاية فلا أملك إلا أن اذكره بما أمره الله به من حسن معاملة زوجته فلا يرتدع .. واكتب لأهلى بما يجرى فيشكوان لأبويه فلا يصدقان وأصبر نفسى بأننا سنعود لبلادنا بعد قليل وهى آخر سنة لنا فى الغربة ويجب أن اتحمل وعدت فعلا فى اجازة الصيف بلا حمل ولا أطفال لكن شتان بين ذهابى وعودتى .. فلقد سافرت عروسا شابة جميلة محبوبة من زوجها الرقيق اللطيف وعدت سيدة محطمة نفسيا وجسديًا ذابلة الوجه والبشرة ورغم ذلك لم أفكر فى الانفصال خوفا من الفشل والندم واسقررت فى شقتى المجهزة بافخر الأثاث والكماليات وأملت ان تهدأ أعصابه بعد انتهاء غربتنا وفعلا تحسنت معاملته لى بعض الشىء وعشنا أياما هادئة ثم حدث نفس الانقلاب المفاجئ بعد شهرين وبنفس الصورة وضربنى من جديد ضربا مبرحا فحملت جروحى وغادرت شقتى إلى بيت أهله القريب واشهدتهم على ما يفعله بى ثم ذهبت إلى بيت أسرتى واعتصمت به طالبة منهم ومن ربى حلا لهذا العذاب ، فلم تمض ساعة حتى جاء ودخل الشقة فلم يسلم على أحد وإنما جذبنى بلا كلام من شعرى يريد أن يعيدنى معه هكذا أمام أبى وأمى وأخى كأنى إنسانة من العصر الحجرى ولست الفتاة المتعلمة بنت الناس ، فلم

يتمالك أخى نفسه وهجم عليه يلكمه ويخلص شعرى منه فانفجر بالتهديد والوعيد فطرده أبى من البيت وبعد تفاصيل مؤلمة طويلة طلبت الطلاق فطالبنى برد الشبكة الماسية والذهب وبالتنازل عن مؤخر الصداق وعن نفقة المتعة وكل حقوقى ففاجأته بقبولى كل ذلك وتنازلت له عن كل شيء .. كل شيء وتركت له الشقة الفاخرة بما فيها من ذهب ومجوهرات ماسية وتم الطلاق وكان يوم تسلمى لورقة الطلاق يوما أسعد عندى من يوم زواجي وفوجئت يومها ببشرتى المصفرة الذابلة تنتعش فجأة وتسترد نضارتها وحمرتها القديمة فى نفس اليوم والله العظيم كأنما مستها عصا ساحر .. وعدت إلى عملى القديم فى نفس الشركة واحتفل بى زميلاتى وزملائى ، وبعد أيام من عودتى للعمل أردن أن يدعوننى للغداء فى نفس الفندق الذى شهد لقاءاتى القديمة ووداعى الأخير لزميلى السابق وذهبنا إلى هناك وما أن دخلته حتى استعدت كل ذكرياتى فى المكان .. وقد كان دائما مكانه المفضل الذى يمضى فيه أوقات فراغه .. وظللت طوال الغداء أعايش صورته وانتهى الغداء وبدأت أشرب الشاى فسمعت إحدى زميلاتى تتساءل : أليس هذا هو فلانا ؟ فرفعت رأسى فإذا به واقف قريبا منا ينظر تجاهنا فما أن رأيته حتى مسنى تيار من الكهرباء فانتفضت واقفة وهرولت إليه وهرول هو حتى تصافحنا ضاحكين بلا سبب واقترب معى إلى مائدة الزميلات وهو يقول لى مبروك الزواج يامدام فقلت له بلا وعى : بارك لى على الطلاق ! فانفجرت الزميلات ضاحكات وضحكنا كلنا فى سعادة .

ومرت الأيام بعدها سريعة سعيدة وإذا بى اكتشف انه لم يتزوج

فعلا كما قال وكنت أظنها وقتها مجاملة رومانسية رقيقة منه وإذا به مازال هو نفسه الحبيب الذى أحبنى ومازال . ويريدنى وتقدم يخطبنى فلم يستطع أبواى الاعتراض هذه المرة ولم اسمح لأحد بأن يتحدث عن شقة قريبة أو شقة بعيدة أو شقة تمليك أو سيارة .. إلخ .. وتمسكت بألا اتزوج إلا فى شقته البعيدة التى لم تكن تعجب أهلى واردت أن نتزوج بلا احتفال فأصر على أن نحتفل بزفافنا فى نفس الفندق الذى شهد قصتنا بكل فصولها .. ولأول مرة فى حياتى أعرف فرحة الزفاف الحقيقية ودموع الفرح الصادقة ، وانتقلنا إلى عشنا البعيد وعرفت معنى الحياة الزوجية الصحيحة كما ارادها الله سبحانه وتعالى سكنا ومودة ورحمة ورغم بعد شقتى عن مسكن أهلى فلقد قصرت ـ بقدرة قادر المسافات بيننا واصبحوا يزورونى كثيرا ويحبون زيارتى لأنهم يجدوننى فى كل مرة سعيدة ازقزق كالعصافير ويجدون فى بيتى الراحة والإنسان الطيب الكريم الذى يحبهم ويحسن استقبالهم ولم تمض على زواجى أسابيع حتى حملت من زوجى الحبيب وتعجبت بلطف الله الذى أكرمنى بألا أحمل فى زواجى الأول لكيلا يزداد عذابى وأجبت طفلا جميلا وبعده بسنة ونصف السنة أنجبت طفلة آية فى الجمال ورغم نجاح زوجى فى تجارته الخاصة فقد عاد إلى عمله السابق ورحبت به الشركة لنكون فى مكان واحد نذهب إليه معا ونعود معا وأيامنا تمضى بحمد الله سعيدة ونربى طفلينا على طاعة الله وحب أبويهما واحترامهما وما أردت برواية قصتى هذه إلا أن أتوسل لكل أب وأم عن طريقك ان يتركوا لبناتهم وأولادهم حرية الاختيار ماداموا قد وصلوا للسن التى تسمح

لهم بحسن الاختيار وهى فى رأيى بعد العشرين لأنها سن النضج النفسى والعقلى واناشدهم ألا يجبروهم على الزواج بمن لا يرضونه ولايحبونه لكيلا يندموا كما ندمت ولكيلا يدفعوا مادفعت من ثمن لأن حكاية الحب الذى يأتى بعد الزواج وبالعشرة هذه كذب وافتراء وهراء !

ووعد منى وعهد لك يا سيدى ألا أفعل مع ابنتى ما فعله أبواى معى وسوف اترك لها حرية الاختيار مع الاكتفاء بابداء النصح والارشاد فقط لأن الفتاة الناضجة إذا اختارت شريك حياتها بملء ارادتها وبغير ضغوط نفسية عليها من أهلها فإنه مهما حدث منه ومهما حدث بينهما من مشاكل فسوف تقبله وسوف يقبلها وسوف يتمسكان ببعضهما لأن الحب الناضج يذيب المشاكل كما يذوب الجليد فما أن تطلع شمس نهار جديد على المشاكل حتى يذوب جليد الأمس ويتحول إلى ماء عذب بالحب والتفاهم والقبول بين الطرفين ولك منى ومن زوجى وحبيب عمرى أرق امنياتى والسلام.

ولكاتب هذه الرسالة أقول : لو استطاع الإنسان ان يستعيد حياته ويشكلها من جديد لأعفى نفسه من تجارب الألم والفشل والتعاسة.. التى اكتوى بها ولاستبدل بها تجارب السعادة والتوفيق والنجاح لكن من يستطيع أن يفعل ذلك ونحن لا نتعلم الحكمة إلا بالثمن الغالى من أيامنا وشقائنا وتجاربنا الأليمة ؟ أو من يستطيع ذلك والشاعر الإنجليزى شيلى يقول : « علمتنا الأحزان نظم القصيد فقدمنا للناس فى أنغام الشعر ما تلقيناه من ضربات الألم والشقاء !» على أن السعادة

الحقيقية والحب الصادق يمكن أن يعلما الإنسان أيضا نظم القصيد كما تؤكد رسالتك هذه فأنت تنسجين ما يشبه الشعر فى وصفك لمشاعرك بعد أن جمع الله بينك وبين من اخطأت الطريق إليه من البداية .. وبعض الناس ياسيدتى ينطبق عليهم تصور الشاعر الأغريقى ارستوفانس من ان البشر كانوا فى البدء واحدا صحيحا ثم قسمته آلهة الأغريق نصفين فراح كل نصف منهما يمضى عمره باحثا عن نصفه الآخر الملائم حتى إذا التقى به عادا واحدا صحيحا متكاملا من جديد ونحن حين نلتقى بهذا النصف المقسوم كما التقيت به أنت بعد تجربتك الأليمة تغرد العصافير التى كانت خرساء فى تجاربنا التعسة .. ولا يهم اعشنا فى شقة تمليك أم فى شقة مؤجرة فاخره أم بسيطة .. قريبة أم بعيدة لأن معانى الأشياء تختلف حينئذ ويصبح للعشرة البسيطة بل حتى مجرد الوجود الصامت فى رحاب من نحب ويحبنا متعته العميقة المؤثرة .

وحالك خير دليل على ذلك فلقد تفتحت انسجتك التى كانت مسدودة مع من أحببت فانجبت واستشعرت السعادة فى الشقة البعيدة التى قد لا تقارن بالشقة الفاخرة السابقة لأننا لا نسعد بالمكان ولا بالمنقولات وإنما بالبشر الذين يعيشون فيه وعليها معنا . وفى الحب الحقيق الذى يستمتع فيه القلب والعقل والروح يصبح « خشب جرير » أفضل من « تنقيح الفرزدق » فقد كان الشاعر العربى الفرزدق ينقح الشعر أى يراجعه ويغير ويبدل فيه ، وكان منافسه وخصمه جرير « يخشب » أى يرسل الشعر ارسالا وبلا مراجعة ولا تنقيح ومع ذلك فلقد كان النقاد يفضلون خشب جرير الأكثر موهبة على تنقيح

الفرزدق ، وهكذا حالنا مع من نحب ويحبنا وتتألف معه روحنا .. ولهذا أيضا فقد ظلمت نفسك حين قبلت الزواج الأول وظلمت زوجك السابق أيضا وظلمك له قد يكون اشد لأن من تقبل الارتباط بمن لا تتوافر لديها أدنى درجات القبول النفسى والعاطفى له إنما تظلمه قبل أن تظلم نفسها لأن « تنقيحه » مهما بلغ لن يعجبها ولن يسعدها وسوف يستشعر بعد قليل أو كثير فتورها وجفاف مشاعرها فتضطرب علاقته بها .. وربما يدفعه ذلك إلى رغبة خفية فى الانتقام منها بغير ان يدرك ذلك احيانا ولعل هذا هو سر الانقلاب الذى دهشت له بعد شهور قليلة من الزواج فهو فى ظنى لم ينقلب وإنما صدم فى فتور مشاعرك رغم اجتهادك فى حسن معاشرته بما أمرك به الله فلم يتصرف تصرف الفرسان ويعرض عليك الانفصال .. ولم يصبر إلى ان يكسب مشاعرك مع الزمن وإنما تسلطت عليه نزعاته فآذاك بوحشية لا تليق بالرجال .

وعموما فان رسالتك مفيدة جدا فى فهم كثير من حقائق الحياة كما أنها مفيدة أيضا لكل أب وأم يمارسان ضغطا غير إنسانى على أبنائهما لارغامهم على قبول مالايحبون لأنفسهم ولا يرضون به رغم نضجهم وحقهم المشروع فى الاختيار لأنفسهم ماداموا راشدين فشكرا لك رسالتك وتمنياتى القلبية لك ولزوجك بكل شىء جميل فى الحياة .

طائر الأمان

أقرأ فى بريد الجمعة قصصا فريدة من الحياة واشعر منذ فترة بالرغبة فى أن اضيف إليها قصتى . فلقد كنت منذ سنوات طالبا باحدى كليات الطب الاقليمية .. وبعد نجاحى فى السنة الأولى رأيت فى الكلية فتاة جديدة انتقلت إليها من كلية أخرى فأخذت بجمالها الهادئ وعذوبتها وهدوئها وحسن معاملتها للجميع وعرفت من زملائها أنها وحيدة أبويها وإنهما من رجال التعليم وكرسا حياتهما لها فربياها على الثقة واحترام الآخرين وحب الناس وتعاملت معها كزميل فأعجبت بطيبة قلبها ورقة حديثها وافتراضها الخير فى الجميع إلى أن يثبت العكس .. ووجدت نفسى بعد شهور مشغولا بل هائما بها اتصفح الوجوه بغير أن اجرؤ على مفاتحتها بمشاعرى . ومرت سنوات الدراسة وهى بالنسبة لى كالطيف الحالم يخطر فى خيالى فيرطب من هجير الحياة ويجمل الدنيا ويخفف عنى متاعبها ورغم ارتياحها للحديث معى لم اتصور استطاعتى الارتباط بها .. فكتمت مشاعرى فى قلبى وواصلت طريقى تاركا للأيام أن تقضى فى أمرى .. وفى السنة الأخيرة من دراستى بالكلية علمت أنها قد عقد قرانها على مهندس شاب مستقر ماديا وأنها اجلت امتحانها الأخير ..

فطويت صدرى على احزانى وركزت جهدى فى دراستى ودخلت الامتحان واجتزته بنجاح وبدأت سنة التدريب فالتقيت بها فى الكلية .. من جديد وهنأتها بقلب كسير على القران .. ثم خطر لى فجأة أن أسألها هل كان من الممكن أن تقبل خطبة زميل من زملائها فى مثل سنها ومشواره مازال طويلا أم أنها كما اتصور تفضل ان ترتبط بشخص ناضج أكبر منها سنا ومستعد للزواج بغير انتظار !.. وتمنيت من أعماق أن تجيبنى بأنها لم تكن تقبل خطبة زميل فى مثل عمرها ومشواره طويل ربما لأجد لنفسى مبررا لاحجامى وترددى لكنها أجابتنى ببساطة ولم لا !.. وكل زملائنا مخطوبون لبعضها البعض .. إذ ما العيب فى ان يبدأ الإنسان صغيرا ثم يكبر !.. واحسست بالحسرة تلسعنى وداريت مشاعرى وتمنيت لها السعادة وانصرفت مرت الشهور واغرقت نفسى خلالها فى العمل لاتشاغل عن طيفها الملائكى الذى يعايشنى فإذا بى أفاجأ بها فى المستشفى الجامعى الذى اتدرب به محولة من طبيب خارجى على أنها مصابة بالزائدة الدودية ، ولم استرح لهذا التشخيص لأن ما كانت تشكو منه من ألم كان يتكرر فى موعد ثابت كل شهر ، وتم اعدادها للجراحة .. وكانت المفاجأة عند اجرائها أنها ليست مصابة بالتهاب الزائدة وإنما بورم حوصلى بالمبيض هو الذى يسبب لها هذه الآلام المتكررة ، وكان لابد من استكشاف المبيض ثم استئصاله .. وخلال هذا الوقت كان بالمستشفى أبوها وخطيبها المهندس ووالدته وصارحهم الأطباء بحقيقة الحالة .

وكنت أراقب الموقف بقلق ولا يتصور أحد أنى على صلة بالمريضة

أو أنها زميلتى فسمعت الأم تحدث ابنها المهندس بعيدا عن والد الفتاة بأن فتاته لم تعد تصلح له لأنها تفقد القدرة على الانجاب وأن الأفضل أن يتخلى عن خطبتها وسوف تزوجه ابنة اختها ! واحسست بألم حاد فى صدرى وتمنيت رغم آلامى أن يتمسك الخطيب بفتاته حتى لايطعنها هذه الطعنة القاتلة وهى فى ضعفها ، ثم طلب الأطباء دما لاجراء الجراحة فاتجهت الأنظار تلقائيا إلى خطيبها فإذا به يحجم عن التبرع لها بالدم .. وفهمت من ذلك أنه قد حزم أمره سريعا فوجدت نفسى بغير أن أشعر اتقدم لكى اتبرع لها بدمى وتم اجراء الجراحة واستئصال المبيض الأيمن بسلام وغادرت زميلتى غرفة العمليات إلى غرفتها بالمستشفى ولازمتها فى الغرفة بعد الجراحة ليل نهار واشرفت على راحتها وتنفيذ تعليمات طبيبها ورعايتها وأحس أبواها بالاطمئنان تجاهى لذلك أما خطيبها وأمه فقد إنصرفا فى صمت ومضت أيام وبدأت زميلتى تسترد عافيتها ونضارتها شيئا فشيئا فبدأت أشجعها على معاودة الدراسة لكى تؤدى إمتحان السنة الأخيرة واستجابت لتشجيعى بحماس وبدأت المذاكرة وهى مازالت فى المستشفى وسعد أبواها بذلك كثيرا وأحبانى من قلبيهما .. وجاء موعد خروجها فاصر الأبوان على أن أصحبهم إلى البيت وقبلت الدعوة شاكرا وقمت بزيارة بيت زميلتى عدة مرات بعدها ثم انقطعت ومرت ثلاثة شهور وجاء موعد امتحانها فسمعت من زميلاتها أن خطيبها المهندس قد فسخ ارتباطه بها بعد أسابيع من الجراحة وأنه قد عمل بنصيحة أمه وتزوج من ابنة خالته لكى تنجب له وريثا يرث اطيان أمه .. كما سمعت من زملائها أن أبويها يذكرانى بالخير ويحفظان

لى وقوفى إلى جانبها خلال الجراحة وبعدها . فوجدت اللحظة مناسبة لتحقيق حلم حياتى وتقدمت لأبيها أطلب يد ابنته فرحب بى مبدئيا واستمهلنى بعض الوقت لكى يستشيرها وأبلغت أسرتى برغبتى وقامت الأسرتان بالتعارف ثم ابلغنى الأب بموافقة فتاتى بل وبسعادتها بتقدمى لها فخطبتها وأنا أحس أننى قد استعدت طريق الصحيح فى الحياة وتقدمت فتاتى للامتحان ونجحت فيه . وبدأت سنة التدريب وبدأت أنا المرحلة الأولى من الماجستير.. وزادنى قربى منها معرفة بروحها الجميلة وأخلاقها الملائكية ولم ادهش كثيرا لخلوها من المرارة تجاه أحد حتى تجاه من تخلوا عنها وجرحوا كرامتها بلا ذنب جنته فقلبها فيما يبدو لم يخلق للحقد على أحد .. وبعد انتهاء فتاتى من سنة التدريب واجتيازى الجزء الأول من الماجستير تزوجنا واستقر طائرى الجميل فى عش الأحلام وبدأ يغرد انغام الحب والسعادة .

والآن ياصديقى ـ الذى لا أعرفه ـ اكتب لك هذه الرسالة بعد ٣ سنوات من زواجنا .. وبالقرب منى يلهو توءم جميلان جمال أمهما وغاية فى الشقاوة والعفرتة وإلى جانبى تجلس زوجتى تقرأ احدى المجلات بعين وترقب طفلينا بالعين الأخرى لتلبى مطالبهما وتفصل بينهما فى الوقت المناسب .

وقد اثرت أن تتفرغ لرعايتهما بعد حصولها على دبلوم النساء والتوليد والحياة تمضى ياسيدى وقد علمت بكل أسف أن الخطيب القديم المهندس يعالج من العقم عند طبيب زميل لى وانه لم ينجب ولم يرزق باطفال بعد ٦ سنوات من الزواج وان الأمل فى شفائه ضعيف جدا

وسبحان الذى لاراد لقضائه ومن يعطى الفضل لمن يشاء .
.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : تتوالى أمام ناظرينا التجارب والدروس لكن قليلا مانعتبر ! هذا هو الاحساس الذى خرجت به من قراءتى لرسالتك الجميلة هذه .. وبعد كل ماقرأناه وسمعناه ولمسناه من تجارب تؤكد كلها أن على الإنسان ان يطلب سعادته المشروعة .. لكن بشرط ألا يظلم فى سعيه إليها أحدا .. وبشرط ألا ينسى دائما أن هناك اراده عليا تحكم هذا الكون وتوزع الأقدار فلا يبالغ أحد كثيرا فى اتخاذ الاحتياطات ضد الزمن .. أو فى الاعتماد على الحسابات المجردة وحدها لأن الله فى النهاية يمنح من يشاء ويقدر .. ويحرم من يشاء وهو على كل شىء قدير .

لهذا فعلينا دائما أن نهيئ أنفسنا حتى فى سعينا المحموم وراء اهدافنا لقبول ماتأتى به المقادير راضين ..

ويبدو ان الخطيب السابق قد نسى هذه الحقيقة الأزلية بغرور الإنسان واعتقاده بأن من حقه أن يحصل لنفسه دائما على أفضل الأشياء وفى اعتماده على الحساب وحده غافلا عن أهم عنصر فى الوجود وهو عنصر « الارادة الالهية » فيشاء ربك الا أن يذكر من ينسى .. ليهتف الغافل .. ربنا قد نسينا واخطأنا .. فكيف كان عقاب !

نعم ياصديقى كيف كان عقاب .. وهيهات ان ننجو منه ان تجاوزنا

الحدود . أما أنت فلقد طلبت سعادتك وداويت الجراح واعتمدت على حسن اختيار الله لك ولم تتوقف طويلا أمام منطلق الحساب وحده وإنما طمعت فى رحمته وعدله وحسن جزائه لمن يسلمون الأمر إليه .. فأبى ألا أن يهبك السعادة والأمان وراحة القلب !

لقد أوشكت أن الومك على سلبيتك فى النصف الأول من القصة وعلى احجامك وترددك واستشعارك لعدم جدارتك بأن تنال ما تصبو إليه إذ ماهكذا ينال الإنسان جوائز الحياة وإنما ينالها بسعيه الإيجابى لتحقيق أهدافه بالطرق المشروعة وبالكفاح وبالارادة التى تعرف حدودها وتسلم للخالق بارادته العليا فوق كل الارادات ، لقد كدت أفعل لكنى تذكرت ان الله سبحانه وتعالى قد هيأ لك ماعجزت انت عن ايجاد السبل له .. فرأيت ان لاوجه للوم الآن بعد ان نسجت الأقدار هذه القصة الجميلة .. وجمعت بينك وبين طائر الحب والسعادة .. فلم يبق إلا الشكر .. والا ان تحصن سعادتك بخدمة الحياة ومواساة جراح الآخرين وتجنب ظلم الإنسان أو قهره وهو شر البلايا .. وسر التعاسة البشرية فى هذا الكون .. فاهنأ ياصديقى بسعادتك وطائرك وافراحك السعيدة ولتحل الدنيا لكل من يضيف إليها .. ولكل من يشارك السماء فى اسعاد الآخرين ويسهم فى تخفيف عذاباتها وعنائها عليهم وتسمو نفسه عن الأحقاد والشرور ... وشكرا ! .

القلعة الحصينة

أنا ياسيدى فتاة فى السادسة والعشرين من عمرى انهيت دراستى بكلية الطب واستعد الآن لدراساتى العليا للحصول على الماجستير ثم الدكتوراه ان شاء الله ولقد كانت دراستى ومازالت هى اهتمامى الأول لكنه ليس الوحيد فأنا حريصة أيضا على الاهتمام بمظهرى وقد وهبنى الله جمالا لاتخطئه العين كما وهبنى القدرة على حب الناس حتى من لا أشعر بأنهم يبادلوننى نفس الاحساس ، فكنت دائما ملجأ لزميلاتى فى أوقات ضيقهن فانصحهن بما أراه صوابا ، أما بالنسبة لزملائى فقد تقرب كثيرون منهم محاولين استمالتى لكنى لم أجد فى نفسى أى ميل للاستجابة لهذه المحاولات المهذبة فكانت طريقتى هى الصد بمودة لاتقطع علاقات الزمالة لكن بحزم أيضا يمنع الزميل من تكرار المحاولة بغير مرارة فى النفوس أو أى احساس بالاهانة ، وكذلك نفس الحال مع من يتقدمون إلىّ عن طريق الأهل والأصدقاء ، ولم أكن أسأل نفسى لماذا لا أميل لهذا أو لذلك فقد كان قلبى موصدا كباب قلعة حصينة وكان هذا دائما مثار قلق أبى وأمى ومثار دهشة صديقاتى وأختى الصغرى خاصة أنه لم يكن لدى وجهة نظر قوية أبرر بها رفضى المتكرر

لمن يتقدمون لى أو ادافع بها عن موقفى .

ومن خمسة شهور لاحظت أن موتور سيارتى ليس على مايرام فطفت بها على عدة ورش لميكانيكا السيارات ، لكن خلل الموتور ظل كما هو فنصحتنى إحدى صديقاتى بالذهاب إلى ميكانيكى تعرفه مدحت فى كفاءته وحسن معاملته فأخذت سيارتى وذهبت إليه وشرحت له ملاحظاتى عليها فطلب أن اتركها له وأعود لاتسلمها بعد ساعتين وعدت إليه فوجدته ينتظرنى وشرح لى العيب وكيف انه بسيط لهذا لم ينتبه إليه زملاؤه ثم رفض أن يتقاضى مليما مؤكدا أنه لم يفعل مايستحق عنه اجرا .

فغادرته شاكرة .. لكنى لاحظت إنى طوال طريق العودة وأنا أفكر فيه .! نعم أفكر فيه هو هذا الميكانيكى الشاب وليس فى أحد من اساتذتى بالكلية ولا أحد من زملائى أو أقاربى .. لماذا تتعجب ؟.. وأنت بلا شك تعرف هذه الأمور جيدا وتعرض عليك قصص اعجب منها ؟ المهم وجدت نفسى منجذبة إليه بطريقة لم أعهدها فى نفسى من قبل فذهبت إليه بعد أسبوع بحجة الاطمئنان على حالة السيارة ووجدت عينى تتعلقان بوجهه الطيب السمح وعينيه الطفوليتين فتبادلت معه بعض العبارات عن السيارة ثم تركته وأنا عازمة على ألا أعود إليه مرة أخرى حتى اجنب نفسى عناء التعلق به ثم البعد عنه . لكنه بعد يومين ابلغنى شقيق صديقتى ان الميكانيكى الشاب قد عثر على قطعة غيار لسيارتى سوف تحل مشكلتها نهائيا فذهبت إليه بالسيارة وأنا واثقة من أنه يريد أن يرانى كما أريد أنا أراه .. ووصلت إلى محله

فوجدته مهندما أنيقا وعلى شفتيه ابتسامة حائرة ، وأبلغنى باننا سنذهب معا إلى محل صديق له لاحضار قطعة الغيار وركب إلى جوارى فأحسست بانه يريد أن يقول شيئا ولايجرؤ عليه . وذهبنا إلى محل الصديق واشترينا القطعة وعدنا لتركيبها وانصرفت وأنا أعرف فى داخلى انى سأعود إليه مرة أخرى ، وعدت بالفعل وتكرر ذهابى إليه بحجة اصلاح السيارة وفى كل مرة أراه فيها اكتشف جانبا جميلا فى شخصيته لم أكن اتصور ان اجده فى شخص يعمل حرفيا منذ صباه ووجدت مشاعرى كلها معه خلال خمسة شهور فقط أما هو فقد تعلق بى بصورة حيرتنى وكلما لمح حيرتى قال لى انه وجد فى ملامحى أو شخصيتى شيئا يذكره بحنان أمه التى فقدها صغيرا وكلما بدأنا نتحدث فى الزواج واحس من كلماتى ان رد فعل أبوى سيكون معارضا إلى حد اعتبار زواجنا ضربا من المستحيل تنساب الدموع من عينيه فى صمت .

والآن أجد نفسى ياسيدى عاجزة تماما عن التفكير وعن التركيز فى دراستى وعن ممارسة حياتى الاجتماعية التى اعتدتها وكل مايشغلنى وافكر فيه هو كيف ساواجه أبى وأمى .. وماذا سيكون موقفهما .

وهما كأى أب وأم يتمنيان الحياة المستقرة لابنائهما .. والمشكلة هى أنى لا أضمن لنفسى هذا الاستقرار إلا مع من اختاره قلبى فكيف أقول لهما كل ذلك وأقوله لكل من ينكر ان القلوب والمشاعر لاتعترف بالشهادات ومن اختاره قلبى فى النهاية ليس اميا ولا جاهلا بل هو مثقف ثقافة لايعرفها كثيرون من الجامعيين ويناقش ادق الموضوعات مع من يفهمونها جيدا وله رأى صريح فى معظم الموضوعات التى

تتناولها الصحف ، كما أنه مستقر ماديا ويستطيع أن يتحمل مسئوليتى كاملة إذا وافق عليه أهلى .

وأنا الآن ياسيدى انتظر ردك على رسالتى كالمتهم البرىء الذى ينتظر إما حكم البراءة أو حكما قاسيا ، ولن أحاول التأثير على مشاعرك لكن فقط أود أن اذكرك ان ردك سيحدد مصيرى ومصير حبيبى لأنى عاهدت نفسى أن التزم به مهما كان مؤلما لى وكحل أخير للخروج من حيرتى التى شلت كل شىء فى حياتى .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : كل قلعة حصينة يا آنستى لها فارسها الذى يدك بابها فى الوقت المناسب فينفتح أمامه على مصراعيه وهذا ماحدث معك لكنك تواجهين اختيارا صعبا .. وتضعيننى أنا أيضا فى اختيار أصعب ، ورأيى فى مشكلتك أنى أومن بان السعادة شىء نادر وثمين يستحق المعاناة للحصول عليه والكفاح الضارى للوصول إلى شاطئه لكن تجارب الحياة علمتنا ان الإنسان لايتزوج من فتاته وحدها وإنما من اسرتها معها ومن وسطها العائلى والاجتماعى وان كل إنسان هو ابن بيئته مهما حاول ان يتملص من تأثيراتها عليه والحياة الزوجية ليست علاقة رومانسية عاطفية فقط وإنما شبكة متداخلة من العلاقات الاجتماعية والإنسانية أيضا ويندر ان يصمد الحب على المدى الطويل لمشاكل اختلاف الطباع والعادات الاجتماعية والقيم السائدة بين بيئتين متفاوتتين بشدة اجتماعيا وثقافيا وإن كان هذا لايمنع صموده فى بعض الحالات القليلة لأن لكل قاعدة استثناء كما تعرفين . وانجح الزيجات بصفة عامة هى الزيجات التى تتوافق فيها احكام القلب مع أحكام

العقل .. ويتوافر فيها التكافؤ بين الزوجين من كل الوجوه ، وفى عوامل التكافؤ فانى لا اتوقف طويلا أمام التكافؤ المادى لأنه اضعفها تأثيرا على الحب ، لكنى اتوقف دائما عند التكافؤ الاجتماعى والثقافى بين الطرفين لأنه فعلا بؤرة الاختبارات التى تمتحن الحب وتعجم عودة ، وفى حالتك فإن التكافؤ المادى متوافر ، والتكافؤ الثقافى قد يمكن تجاوزه بصعوبة لأن المعرفة والثقافة متاحة للجميع من مصادر عديدة وهى ليست رهينة بالشهادات العلمية والجامعية وحدها وإنما باستيعاب الإنسان لحقائق العصر واهتمامه بمتابعة مايجرى حوله . يبقى إذن العامل الهام وهو التكافؤ الاجتماعى بين الأسرتين وبين القيم السائدة فى البيئتين وهو كما قلت أصعبها وأكثرها تأثيرا على استمرار الزواج ونجاحه أو فشله وانهزام الحب ، لأنه امتحان يومى للتوافق .. أو الاختلاف حول أمور الحياة اليومية .. وابسط سلبياته هو شعور الاستعلاء والتميز الاجتماعى الذى يمكن ان يحمله طرف تجاه طرف آخر فينعكس لدى الطرف الأخير فى الاحساس بالنقص الذى يفتح الباب لكثير من المشاكل وغير ذلك كثير منه فمثلا ان مايعتبر أمرا عاديا فى وسط معين قد يعتبر عيبا فى وسط آخر ... إلخ واختلاف العادات والقيم سبب أساسى من أسباب انعدام التوافق وفشل الحياة الزوجية وحقائق هذا العامل بالذات ليست كاملة أمامى وأنت تعرفينها أكثر منى لذلك فانى اترك لك الحكم عليه .. فإذا توصلت بعد تفكير هادئ إلى أن الوضع الاجتماعى لكما شديد التناقض بما يمكن ان يهدد استقرار الحياة الزوجية فى المستقبل فمن واجبك ان تعترفى بذلك وان تتخذى قرارك على أساسه أما إذا

توصلت إلى أنه ليس متفاوتا بهذه الحدة ، فاستجمعى ارادتك وشجاعتك وواجهى أبويك برغبتك فى الارتباط به وتحملى العاصفة حتى تمر.. واحرصى على ان تحصنى سعادتك بموافقة الأهل على زواجك وتأييدهم أو على الأقل قبولهم له . والأهل قد يرفضون مالايرونه محققا لسعادة ابنائهم بحساباتهم هم لكنهم إذا استشعروا صدق رغبة الأبناء فيما يريدون لأنفسهم واستقر فى يقينهم أنهم لن يسعدوا إلا به وسيشقون بغيره .. فإنهم يسلمون برغبة الأبناء فى النهاية لأنهم لم يستهدفوا أصلا إلا ماتصوروه محققا لسعادتهم وهم مهما فعلوا لايملكون لابنائهم الراشدين سوى النصيحة والتحذير .

لهذا فالأمر كله بين يديك .. فإن اقتنعت اقتناعا كاملا لايداخله الشك بأنه يستحق الكفاح مع أبويك لاقناعهما فهيا إلى الكفاح بلا تردد .

أما إذا داخلك الشك ولو للحظة فى جدارته بالعناء وتحمل تبعاته فلا تترددى أيضا فى أن تضعى السطر الأخير فى هذه القصة كلها وفورا لأن جرح الحب فى بدايته سريع الالتئام .. أما إذا تعمق واتسع وأصبح غائرا فانه يحتاج إلى علاج طويل طويل قبل أن يبرأ القلب منه ويسترد نضارته .. فاختارى لنفسك يا آنستى لأنك أنت من ستتحملين تبعة الاختيار وليس أحدا غيرك . وشكرا .

الوجه الحزين

أريد أن أروى لك قصتى مع الحياة وان استشيرك فى أمر يواجهنى منذ سنوات . كنت شابا فى السابعة عشرة من عمرى طالبا بالثانوية العامة أقيم مع أبى وأمى فى إحدى المدن الساحلية ، وكانت أمى سيدة طيبة مستكينة لأقدارها تخدم أبى خدمة العبد للسيد رغم مرضها الطويل بالقلب حتى كانت تمسح له حذاءه كل يوم فلا تلق منه إلا القسوة وسوء المعاملة والسخط بلا سبب .. مع أننى كنت دائما طالبا متفوقا فى دراستى وجاء ترتيبى الرابع على محافظتى فى الاعدادية .. وكنت انجح بتفوق فى كل سنوات دراستى ولا أثير أية مشاكل له وكانت أمى تهون على الأمر دائما بأن المهم هو أن أكمل دراستى واتخرج وبعدها سوف تنتهى كل المتاعب ، فكنت اذاكر دائما وأرضى بأقل القليل الذى يعطيه لى أبى لكيلا أثير سخطه أو اتعرض لغضبه .

وطوال دراستى كانت أمى على علاقة طيبة بأسرة من الجيران . لديها فتاة فى مثل سنى وفى نفس مرحلة الدراسة ، فنشأ بينى وبين هذه الفتاة شعور صامت لم يعبر عن نفسه بأكثر من النظرات وتبادل الاحترام .. خاصة من جانبها لتقديرها لتفوقى فى الدراسة .

لكن مرض أمى الطويل قد شق على أبى فيما يبدو ففوجئنا به ذات يوم يبلغنا ببساطة بأنه قد تزوج .. وانه سوف يحضر زوجته الجديدة قريبا لتعيش معنا لأنه لم يستطع حتى الآن الحصول على شقة أخرى . فصعقنا ولم نستطع أن نتكلم أما أمى فكانت حالتها يرثى لها .. وبعد أسابيع من هذا الخبر السيئ عاودت أمى نوبة المرض واشتدت عليها ذات يوم فرأيت فمها منحرفا إلى الناحية اليسرى من وجهها وهى لاتشعر .. فانزعجت ونزلت مهرولا أطلب الأسعاف وقمت بنقلها إلى المستشفى وتم حجزها فيه وتحسنت صحتها قليلا بعد عشرين يوما وبدأنا نستعد لخروجها فإذا بها تنتكس مرة أخرى ويتم نقلها إلى العناية المركزة .. حيث امضت عدة أيام انتقلت بعدها إلى جوار ربها لتجد عنده السكينة والعدل اللذين لم تجدهما فى جوار أبى .

وكنا حين رحلت أمى فى بداية العام الدراسى .. فوجدت نفسى عاجزا عن الاستذكار وأصبحت أضيق بالشقة وأرغب فى الخروج والمشى ساعات طويلة فى برد الشتاء على شاطئ البحر ، وبعد أسابيع من رحيل أمى عدت من إحدى جولاتى هذه فوجدت فى الشقة التى نقيم فيها سيدة غريبة تضع الأحمر بشكل فاقع على وجهها فخمنت أنها زوجة أبى الجديدة فحييتها باقتضاب واتجهت إلى غرفتى ، وبعدها بقليل جاء أبى وأبلغنى بكلمات قارصة .. أن على أن أبحث عن غرفة أقيم فيها لأن الشقة صغيرة من غرفتين ولا تتسع لنا معا قائلا أنه سوف يعطينى إيجارها مع أننى ابنه الوحيد والشقة يمكن أن تسعنا حتى انتهى من دراستى على الأقل فتوقف الكلام فى فمى ولم أجد ما أقوله وانصرف

هو فحاولت أن استذكر وفتحت كتابا وبدأت اقرأ دروسى فإذا بوجه أمى الحزين يطل على منه ، ويقول لى بصوت كأنه مسموع ويتردد فى أذنى اصبر كما صبرت ولن يخزيك الله أبدا ، فبكيت حتى جفت دموعى ثم نهضت وحاولت أن أنام بلا فائدة .

ومرت أيام ونفد آخر ما كان معى من نقود .. فلم أجرؤ على طلب نقود من أبى ولم يفكر هو فى أن يعطينى شيئا منها .. فأصبحت اذهب إلى المدرسة واجئ وليس فى جيبى مليم واحد ولا أجد ثمن الساندويتش فى الفسحة وأظل اتلوى من الجوع طوال النهار وكلما عدت إلى البيت استقبلتنى زوجة أبى الجديدة بالوجوم والتقطيب .. واستقبلنى أبى بالسؤال : ماذا فعلت ؟، فأظنه يسألنى عن دراستى وأحدثه عنها فينبهنى إلى أنه يسألنى عن موضوع الغرفة فأقول انى مازلت أبحث ، فيثور على ويتهمنى بعدم الجدية مع أنى لم أقصر فى ذلك والله شهيد وتكرر السؤال وتكررت الاجابة حتى ثار على ذات يوم وسبنى أمام زوجته وأعطانى مهلة أسبوعا واحدا .. ولم يفكر فى أن يعطينى قروشا استعين بها على ركوب المواصلات للبحث عن الغرفة فضاعفت من ساعات التجول فى الشوارع إلى درجة أننى لم أعد أجد وقتا للمذاكرة ومع ذلك فلم أجد الغرفة وعدت ذات مرة إلى البيت واتجهت إلى غرفتى صامتا كعادتى ووجدت زوجة أبى تقول لى أن الغرفة لم تعد لى وأنها قد وضعت فيها صالونها وفكت السرير الذى أنام عليه ، وأن ملابسى وأشيائى فى حقيبة بجوار باب الشقة فتسمرت فى مكانى .. ونظرت إلى أبى استنجد به فإذا به يؤيدها ويقول لى أننى « شحط » واستطيع أن

أدبر أمورى ، كيف ؟ وليس لنا أقارب فى هذه المدينة وأسرة أمى من الريف وأسرة أبى من الوجه القبلى .. وأين أذهب ، وحاولت معه أن يعطينى مهلة أخرى ، فانفجر فى وعلا صوته حتى جاء الجيران وأخذونى من يدى وهم يتعجبون من حال أبى وعرض على أكثر من واحد منهم ان أبيت فى بيته حتى أجد لى مأوى ، فشكرتهم وحملت حقيبتى وتوجهت إلى بيت أحد زملائى فى المدرسة ورويت له حكايتى وطلبت منه أن يستأذن أباه فى أن أبيت عنده الليلة حتى أجد لى مأوى ورحب بى أبوه بعد أن سمع قصتى ودعانى للإقامة مع ابنه إلى أن أجد لى سكنا فشكرته وأمضيت الليل وأنا كالمحموم وجاء الصباح فحملت حقيبتى معى إلى المدرسة ثم خرجت بعدها أبحث عن عمل وعن سكن ، ولم يتخل عنى الله فعلا كما بشرنى وجه أمى الحزين ، فى أن عرضت نفسى على أول صاحب مخبز وجدته فى طريقى حتى قبلنى بشرط أن أعمل من السادسة صباحا حتى الرابعة وبأجر ١٥٠ قرشا فى اليوم ، ولم اتردد فى القبول لأنى كنت فى حاجة إلى أن اكسب طعامى رغم تعارض موعد العمل مع موعد المدرسة ، وبدأت العمل وحقيبتى إلى جوارى وبعد انتهائه أخرج إلى شاطئ البحر وأجلس على أى مقعد وأحاول الاستذكار إلى أن يأتى الليل فأبحث عن أى مكان أنام فيه فنمت ليالى فى محطة القطار ونمت ليالى فى مدخل عمارة متدثرا بنصف بطنية مهلهلة تكرم أبى بتركها لى مع ملابسى فى الحقيبة ، إلى أن رآنى ذات يوم أحد صبيان الفرن فأبلغ صاحبه ، وذهبت فى اليوم التالى فسألنى صاحب الفرن عن عنوانى ولماذا أبيت فى الشارع رغم أنى « افندى ».. وخشى

أن أكون لصا أو هاربا من شيء فرويت له حكايتي بالكامل وأخرجت له بطاقة المدرسة والبطاقة الشخصية ..، فصدقني على الفور .. وتألم لحالي وقرر زيادة أجرى إلى جنيهين وفي نهاية اليوم اصطحبني معه إلى بيته وقابلت زوجته فوجدتها ويا سبحان الله صورة من أمي في طيبتها وحنانها وجاءت بطعام وتناولنا العشاء معا ، ثم اصطحبني الرجل إلى سطوح بيته وأدخلني غرفة بها بعض الكراكيب وأبلغني أنها ستكون غرفتي بعد تنظيفها ، وشكرته بحرارة وتركني وانصرف وامضيت الليل تحت سقف يحميني من البرد لأول مرة منذ حوالي شهرين وفي الصباح أبلغني الرجل الشهم انه غير مواعيد عملي إلى فترة الليل لأستطيع الذهاب إلى المدرسة . وذهبت إلى المدرسة لأستطلع موقفي فأبلغني اساتذتي انني قد فصلت لتجاوزي فترة الغياب ، لكنهم تدبروا الأمر معي ــ إدارة المدرسة ــ وقرروا السماح لي بالحضور بصفة شخصية حرصا على مستقبلي على أن اتقدم للامتحان من الخارج مراعاة لظروفي ولثقتهم في تفوقي . وبدأت اتردد على المدرسة . ونظفت الغرفة ورتبت حياتي بها ، وأصبحت السيدة الطيبة ترسل لي كل حين طعامي رغم محاولاتي المتكررة معها ألا تفعل ، حتى وجدت نفسي بعد قليل وبدون أن أشعر اعتبرها أمي واعتبر زوجها أبي الحقيقي وأتعجب من صنع الله الذي وضع الرحمة بي في قلبيهما في حين خلا قلب أبي الذي ولدت من صلبه منها .. بل وتعجبت كيف يهنأ بحياته بدون أن يساوره أي قلق على ابنه الوحيد وبدون أن يعرف هل أجد طعامي أم لا .. وهل وجدت مأوى أم أبيت في الشوارع ؟

واقترب الامتحان فاعفانى الرجل - وبدون ان أطلب منه - من العمل قبله بثلاثة أسابيع وأصبح يصعد إلى السطوح فى المساء ليطمئن على مذاكرتى ويحضر معه أحيانا العشاء ليتناوله معى ، وأقسمت لنفسى ألا أخذل هذا الرجل أبدا فواصلت الليل بالنهار فى الاستذكار ودخلت الامتحان وأكرمنى الله بالنجاح فيه بمجموع معقول جدا بالنسبة لظروفى فكانت فرحة السيدة الطيبة وفرحة هذا الأب الحقيق بذلك فوق الوصف حتى أننى فرحت لفرحتهما باكثر مما فرحت لنجاحى . وقرر الرجل أن يعطينى مكافأة النجاح ، فإذا بها عقد إيجار لهذه الغرفة لكى اطمئن إلى أنها أصبحت سكنى الدائم فاقسمت ألا اتسلم العقد إلا إذا قبلت يده ويد زوجته التى لم أر طيبتها إلا فى أمى الراحلة وتمسكت بذلك ووافقا مرغمين والتحقت باحدى الكليات العملية ، ونظمت وقتى بينها وبين المخبز ، وبعد عامين من الدراسة اجتذبنى زميل إلى مهنة النقاشة التى يعمل بها فعملت معه وكسبت بعض النقود ، وفى الكلية التقيت بجارتى القديمة فتجددت مشاعر الود والاحترام بيننا وعرفت أنها التحقت بكلية أخرى قريبة فأصبحنا نلتقى من حين إلى آخر فى كليتى أو كليتها وكانت تعرف ظروفى فتطوعت لتصوير المحاضرات التى لا أحضرها وأصبحت اعتمد عليها فى ذلك وفى كل شىء خاص بالكلية ، وبعد شهور فاتحتها بحبى فاعترفت لى بأنها تحبنى منذ طفولتنا المشتركة وتعاهدنا على ألا نفترق ، ووصلت إلى السنة النهائية وأنا مازلت أعمل بالفرن وبالنقاشة وبأعمال النجارة والديكور وادخر ما يزيد على مصروفى فى دفتر توفير البريد ، احتياطا للزمن بعد أن

لاطمت الحياة وحدى وتخرجت بتقدير جيد من كليتى وأسفت لأول مرة على ذلك لأنى كنت أحلم بأن اتخرج بامتياز لأعمل معيدا بالكلية لكن فرحة أبى الحقيقى وأمى بنجاحى اذهلتنى وانستنى هذه المشاعر أما فرحة فتاتى به فكانت بلسما لجراح وأحزان الماضى والتحقت بأحد مكاتب الديكور والنقاشة مع زميلى الذى قادنى إلى هذا الطريق وأصبح لى أجر ثابت إلى جانب ما أكسبه من تنفيذ العمليات ، وتخرجت فتاتى وعملت مدرسة فى مدرسة قريبة من بيتها وجاء الوقت المناسب .. ففاتحت أبى الحقيقى فى رغبتى فى الزواج وشرحت له قصتى مع فتاتى ، فسألنى باهتمام عنها وأسرتها ثم بارك رغبتى وطلب منى أن اذهب إلى البيت لابلاغ زوجته كذلك فذهبت وطلبت إذنها فى التقدم لخطبة فتاتى ، وزرت بيت خطيبتى والتقيت بأبيها وبأمها فرحبا بى وتذكرا أمى بالخير وترحما عليها ،، لكن أباها طلب منى بعد قليل طلبا غريبا هو أن أبلغ أبى بنيتى فى الزواج من ابنته لأنه مهما كان ــ كما قال ــ أبى وتعجبت لذلك وتجمعت فى رأسى الذكريات السوداء كلها دفعة واحدة ، فارتجفت متأثرا وأنا أقول له أن أبى هو الحاج فلان وقد استأذنته قبل أن أجىء إليك فإذا أردته أن يأتى معى إليك فسوف احضره إليك .. أما الآخر فلا يعرفنى ولا أعرفه منذ أن رمى بى فى الشارع وتركنى أبيت فى مداخل العمارات فإذا كنت تعتبره أبا لى فقد يكون كذلك بشهادة الميلاد أما أبى بالحب والرعاية والمسئولية عنى فهو فلان فهدأ الرجل من روعى وقال لى أنه لا يطلب منى استئذانه ولا احضاره بل ولا يشترط موافقته لكنه يطلب منى فقط إبلاغه لكيلا

يقول أحد بأننا أخطأنا فى حقه وتجاهلناه ، فرفضت .. وأصر هو ، وجعل من ذلك شرطا لاتمام الخطبة فهل ترانى اخطأت حين فعلت ذلك ؟ وهل تؤيد والد فتاتى فى ضرورة أن أذهب إلى من رمانى فى الطريق لأستأذنه فى زواجى وأنال مباركته كما يفعل الأبناء مع الآباء الصالحين ؟ لقد قرأت لك ذات مرة تعليقا تقول فيه فى حالة مشابهة ان فى الأب قبسا من روح الله يشد إليه الأبناء دائما .. فأين هذا القبس فى أبى انى لا أجده يشدنى إليه .. ولا أستطيع أن أواجهه وفى قلبى كل هذه المرارة تجاهه فماذا أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : والله يا صديقى إنى لو تركت نفسى لانفعالاتى خلال قراءتى لرسالتك لنصحتك بألا تستجيب لمطلب والد فتاتك بل ولرجوتك ان تتمسك برفضك الذهاب إلى هذا الأب الصورى لابلاغه بأمر زواجك . فمثله حقا لا يستحق هذه المكرمة منك .. بل ولا يستحق أن تسعده الحياة بأن تتيح له أن يراك أمامه شابا جامعيا ناجحا معتمدا على نفسه ويتأهب للزواج .. ويا له من أمل يشقى الآباء الحقيقيون ـ بالعرق وبالدموع ـ لكى يشهدوا لحظته ليتوجوا رحلة حياتهم وقد لا يأسون كثيرا على الدنيا أن غادروها راضين بعده .

لكن ماذا أقول لك ونحن لانستطيع بكل أسف أن ندع إنفعالاتنا وحدها تتحكم فينا ، كما تتحكم الأهواء فيمن فقدوا السيطرة على أنفسهم ؟ لا نستطيع ذلك لأننا لا نتعامل مع الآخرين بأخلاقهم وقيمهم هم .. وإنما بأخلاقنا نحن وبما تفرضه علينا قيمنا الدينية

والخلقية .. ونحن حين نفعل ذلك لانطلب رضا من ظلمونا ولم يرفقوا بنا .. وإنما نطلب رضا من هو أهم وأعلى شأنا منهم ومن الجميع .. أى رضا خالقنا كما نطلب راحة ضمائرنا وقلوبنا وخلو ساحتنا من المعايب والنقائص سواء أفهم الآخرون ذلك أم لم يفهموه وبهذا المنطق أقول لك كارها : غالب نفسك على ماتكره ياصديقى واذهب إلى هذا الذى تحمل اسمه فى بطاقتك الشخصية .. وأبلغه بأمر زواجك اداء للواجب الإنسانى وابراء لذمتك أمام الله والآخرين ، ثم اجعل بعد ذلك من أبيك الحقيقى الذى استحق بنوتك بما قدمه لك من عطف وفضل ورعاية وكيلك الذى تقدمه لأسرة فتاتك والذى يتحدث معها نيابة عنك فى تفاصيل الزواج والذى يضع يده فى يد صهرك يوم عقد القران حتى لو قرر الآخر أن يحضر قرانك طلبا لسعادة لايستحقها ومباهاة بشجرة مثمرة لم يروها بعرقه .

ويكفيه هذا المشهد القاسى عقابا له على ما جنت يداه على ابنه الوحيد .. ولينتظرن بعد ذلك ــ ولن يطول انتظاره ــ عقاب السماء الذى أعده الله للظالمين .

أما أنت فلا لوم عليك ولا تثريب ان لم تجد فى قلبك عاطفة تجاهه ولا حبا لأن أداءك لواجبك الإنسانى تجاه هذا الأب بل والاستجابة أيضا لأى عون قد يطلبه منك فى المستقبل هو قسمك فيما تملك يداك .. أما قلبك فهو ما لاتملك وما لا تستطيع إرغامه على حب من أهملك وقسا عليك بوحشية لا تأتيها الضوارى مع صغارها .. إلا أن يشاء خالق القلوب غير ذلك .. وهو العليم بما خلق .

رحلة القطار

اكتب إليك لالتمس عندك السلوى فيما أعانيه ويضيق به صدرى فأنا رجل فى الأربعين من عمرى .. توفى أبى منذ عشرين سنة تاركا لى أسرة مكونة من أم وثلاث شقيقات وشقيق واحد كان عمره حين رحل أبى عن الدنيا ٦ سنوات ، أما أنا فقد كان عمرى وقتها عشرين عاما فقط وقد انهيت دراستى الثانوية وبدأت اتطلع إلى الالتحاق بالجامعة فجاءت وفاة أبى فحطمت أحلامى فى ان أعيش حياة طالب الجامعة التى طالما تمنيتها وترك أبى وراءه محلا صغيرا لبيع قطع غيار السيارات يفى بمتطلبات الأسرة بصعوبة وبعد أيام العزاء اجتمعت الأسرة الخائفة من المستقبل تبحث أمورها .. فاتجهت الأنظار إلى تلقائيا وأحسست بوطأة المسئولية وأعلنت وقلبى يتمزق انى سأخلف أبى فى محله لكى تجد الأسرة ما يقيم أودها وقوبل إعلانى بارتياح عميق من كل أفراد الأسرة لعله غاظنى أكثر مما سرنى وألقيت بكتبى وأحلامى وراء ظهرى واستقبلت مسئوليتى بقلب واجم وخائف من المستقبل ، وفتحت المحل فجاء زملاء أبى من التجار يشدون أزرى .. ويحيون رجولتى ويعرضون على خدماتهم وكنت فى حاجة إليها فعلا فى أيامى الأولى فى التجارة ..

ثم شيئا فشيئا عرفت أسرار العمل وثبتت أقدامى فيه ، وانتظم مورد الأسرة لكن العبء كان ثقيلا فلقد كانت شقيقاتى وشقيق جميعا فى مراحل التعليم المختلفة وكانت الكبرى منهن فى الثانوية العامة ، وكان المحل مدينا ببعض الديون فعشنا فترة كئيبة من الضيق والشدة .. واجهتها بصبر لكن استقر فى أعماق امتعاض دائم من ظروفى التى حكمت على بأن اتحمل المسئولية وأنا فى العشرين من عمرى بدلا من أن أعيش سنوات شبابى طليقا وغيرى يتحمل مسئوليتى ومضت الأيام وبدأت أشعر أننى محور حياة الأسرة وأن أمى وشقيقاتى يبالغن فى العناية بى ومجاملتى ورغم ذلك فقد أصبح صدرى ضيقا مع كثرة النفقات وصعوبة المسئولية وأصبحت عصبيا تندفع منى أحيانا الكلمات الجارحة رغما عنى لأخوتى وأحيانا لأمى . فلا يقابلن ذلك إلا بالدموع الصامتة ، ومع ذلك فقد مضت أيامنا وحصلت الكبرى على الثانوية العامة والتحقت بالجامعة وتخرجت وجاءها من يخطبها فقمت بواجبى معها فى حدود امكانياتى . ثم لحقت بها الأخت التالية لها وتخرجت وتزوجت وتخففت من بعض أعبائى فقررت أن اتزوج وتزوجت من ابنة مدير بالمعاش من جيران الأسرة انضمت إلى شقتنا الواسعة فى أحياء القاهرة القديمة .

وطوال هذه السنوات الصعبة كنت اتطلع إلى شقيقى الأصغر واتعجل السنوات لكى ينهى تعليمه ويشاركنى فى حمل مسئولية الأسرة ، ومن سن العاشرة بدأت افرض عليه أن يقف فى المحل لعدة ساعات كل يوم ، وكان كأى صبى يضيق بذلك ويحاول أحيانا أن

يتملص منه ، فلا أسمح له بالفكاك وانهره بعنف فيستسلم باكيا .. ثم استقر الخوف منى فى أعماقه فأصبح لايحتمل إشارة منى لكى ينفذ ما آمره به .. وبررت ذلك لنفسى بأنى أريده أن يتحمل المسئولية لمصلحته لكنى رغم ذلك كنت أحيانا أرق له وأراه غلاما محروما من الحنان لكنى لم أظهر له هذا العطف ابدا ومع تقدمه فى الدراسة كانت ساعات عمله فى المحل تزيد ، حتى جاء وقت لم يكن لدى عمال فيه فكان هو المساعد الوحيد فى المحل ، الذى يفتحه فى الصباح ويبقى فيه حتى الليل فى أيام الاجازات ، لذلك لم يكن متفوقا فى دراسته لكنه كان ينجح لأن ظروفنا لاتحتمل ان يتأخر سنة واحدة .. إلى أن جاءت الثانوية العامة ورسب فدعوت الأسرة وعقدت له جلسة تأديب انهلت عليه فيها باللوم والتقريع .. ثم أعمانى الشيطان فى لحظة حمق فانهلت عليه صفعا أمام شقيقاته .. فلم يزد عن أن حمى وجهه بذراعيه وأحنى رأسه وهو يصيح من بين بكائه حانجح السنة الجاية ياخويا .. الدكان خد منى وقت ياخويا ، وافقت فجأة من غيي فعدت إلى مقعدى لاهثا وشقيقاتى واجمات يحبسن دموعهن خوفا من انفجارى فيهن وانسحب هو إلى غرفة أمى وبعد أن خلوت لنفسى .. اكتابت لما بدر منى وارقت ليلتها فلم يغمض لى جفن وذهبت إلى المحل فى اليوم التالى عليلا ..، وكان المعتاد أن يحضر إلى المحل فى فترة الظهر فيجلس مكانى-لكى استريح وقت الغداء .. وتوقعت ألا يحضر وان يخاصمنى لعدة أيام .. ووطنت نفسى على أن أصالحه واسترضيه خاصة أنه لم تفلت منه كلمة سيئة ضدى فى قمة اهانتى له وعدوانى عليه وبلغت الساعة الثالثة فطلبت من

الصبي أن يغلق المحل لمدة ساعتين وتهيأت للانصراف فإذا بي ألمح شقيقي قادما منكسرا ، يحييني وهو خافض الرأس ويعتذر عن تأخره بأنه ذهب إلى المستوصف يطلب علاجا لأن عنده ألما فى جنبه ، فكادت الدمعة تطفر من عيني وقاومتها بصعوبة وقلت له ولماذا المستوصف .. سأذهب بك إلى أكبر طبيب فى المساء ، واذهب الآن واسترح فأصر على أن يجلس فى المحل بدلا مني ، فتركته وعدت للبيت وفى المساء اصطحبته للطبيب فاعطاه علاجا وطمأننا عن حالته ، وعندما بدأت الدراسة حاولت أن أعفيه من فترة الظهر لكي يتفرغ للمذاكرة لكنه رفض باصرار فكنت اراه يسهر الليل يذاكر ويقف فى المحل نهارا وصحته تذبل من آثار قلة النوم ، وظهرت النتيجة فكان من الناجحين ولكن بمجموع ضعيف لايؤهله للالتحاق بالجامعة فالتحق بمعهد فوق المتوسط وأصبح يجد وقتا أكبر لمساعدتى ، وخلال هذه الفترة تطورت علاقتى به تطورا جديدا .. فقد كنت أعطيه مصروفا شهريا عشرة جنيهات ينظم حياته بها ، فجاء ابن الحلال الذى همس فى أذنى أن أخاك يصاحب شلة فاسدة من شباب المعهد وانهم يدخنون السجائر ويصادقون الفتيات ، فلعب الفأر فى عبي أن يكون الشيطان قد أغواه فبدأ يمد يده إلى نقود المحل فى فترة غيابي ... وواجهته بذلك فبكى وما كان أسرع بكائه .. وقال لى كلمة ظلت توجعنى طويلا هى : انني ابن فلان مثلك وقد كان رجلا طيبا عارفا بالله فكيف أكون خائنا ؟ ولمن ؟ لأخي الذى ربانى وفى مال أسرتى التى تعيش منه أمى وأختى التى مازالت فى الجامعة فأنهيت الموضوع لكني بدأت أراقبه خفية فلا أجد

عليه مايريب فهو يصلى الفروض فى أوقاتها .. ولايدخن .. وهو المهموم دائما بأمر أخوته البنات والذى يقضى حوائجهن ويرعى أولاد المتزوجتين فيهدأ خاطرى قليلا .. ثم تعود الوساوس تطاردنى من جديد فأسىء معاملته فيتحمل ويصبر إلى أن أعود إلى حالتى الطبيعية وهكذا مضى الحال إلى انتهت دراسته فى المعهد وحصل على الشهادة وأدى فترة تجنيده .

وخلال هذه الفترة كانت تجارتى قد نجحت واستقرت وتخلصت من كل المتاعب فأعدت تأثيث شقتنا الواسعة واشتريت سيارة . وبدأت اطمئن للمستقبل وأجنى ثمرة كفاحى . وفى هذه الفترة أيضا اشتريت المحل المجاور لى وضممته إلى محلى وانفقت على عمل ديكور جديد له وأصبح لدى عاملان يتقاضيان أجرا كبيرا وعاد شقيقى يساعدنى فى انتظار التعيين ، وفكرت بينى وبين نفسى فى أن أفرغه للمحل ، وهو من دمى وله نصيب شرعى فى المحل ، وصارحته بذلك فقال لى انه يعتبرنى أبى والأب لايختار لابنه.إلا ما فى صالحه فان أردته فى المحل فهو معى وان أردته فى الوظيفة فسينفذ رغبتى وسيكون إلى جوارى دائما بعد الوظيفة ، واتفقنا على أن يعمل فى المحل فترة الانتظار وان يختار بعد ذلك ، وبدأ العمل بهمة ، وكان للحق شعلة من النشاط والذكاء ومحبوبا من كل من يتعامل معه أو يعرفه ، فهو خدوم وشهم وكريم فى حدود ماتملكه يده وهو قليل ، فقد كنت أعطيه نصف مرتب العامل وكان راضيا بذلك لأنه صاحب مال كما يقولون وأصبحت أعتمد عليه فى أعمال كثيرة .. وفجأة عاودنى الوسواس القديم ، وكان

سببه هذه المرة هو نفس السبب القديم شلة الأصدقاء الذين أراهم فاسدين ويراهم هو عاديين ، وكانوا زملاءه منذ الطفولة حتى المعهد وكنت لا ارتاح لهم وأشك فى سلوكهم وأخشى عليه من صحبتهم .

فنصحته بالابتعاد عنهم ورويت له عنهم ما لايسر ، فكان رده أننى لا أستطيع أن اتحكم فى سلوك غيرى ، وأننى أرضى الله وهذا يكفى وهؤلاء أصدقائى منذ الصغر ، ولم أقتنع . وبدأت الوساوس تلح على من جديد وذات يوم رأيت معه ساعة جيدة ، فسألته عن مصدرها فأخبرنى أن شقيقته الكبرى المتزوجة أهدتها له ، فلم أصدقه وسألت أختى فأكدت ذلك وقالت إنها اشترتها له بالتقسيط من مرتبها حين لاحظت أنه لايحمل ساعة ولايجرؤ على طلبها منى ، فلم يسترح عقلى لذلك وشككت فى أنها تدافع عنه لعطفها عليه .

وكانت أختى الثالثة قد تخرجت وخطبت ونستعد لجهازها وزواجها فكان صدرى ضيقا فانفجرت فيه بشكوكى مرة أخرى وخيرته بين الانقطاع عن هذه الشلة وبين المحل ، وانصرف صامتا وللأسف ان هذه المكاشفة قد تمت فى المحل وأمام العمال والزبائن فعرفوا أنى أشك فى أمانة أخى وسلوكه .. ولامنى كثيرون من الزبائن والتجار من جيرانى .. فزادنى ذلك عنادا وعدت للبيت فى المساء فلم أجده .. وعرفت أنه سيقضى الليل عند خالته فزادنى ذلك غضبا وصممت على ألا يعود للعمل إلا إذا قاطع كل أصدقائه وانتظرته أن يعود بعد أيام خافض الرأس منكسرا كما تعودت منه لكنه لم يعد فتنازلت عن كبريائى قليلا وسألت عنه فكانت المفاجأة أنه سافر إلى الإسكندرية ليبحث عن

عمل وأنه اقترض نقود السفر من خالته . وأحسست بألم فى قلبى لكنى تظاهرت بالاستهانة وقلت بصوت عال : فى داهيه ! وتمنيت أن يفشل سعيه وان يعود منهزما ويقبل شروطى لكنه لم يعد ياسيدى ، ومضى شهران قبل أن يأتى فى زيارة لأمه وشقيقاته اللاتى كن يتحرقن شوقا إليه وعدت إلى البيت فى الظهر وكان جالسا مع زوجتى وأمى وشقيقتى ومن حوله سعيدات به فنهض مرتبكا حين رأنى ليحيينى .. فركبنى الشيطان فجأة واشحت بوجهى بعيدا عنه ودخلت إلى غرفتى .. وجاءت ورائى زوجتى .. تلومنى فصرخت فى وجهها ، أما هو فقد جلس لمدة دقائق ثم استأذن وانصرف ، ومن زوجتى عرفت أنه يعمل عند مستورد لقطع الغيار اتعامل أنا معه منذ سنوات وأنه يقيم فى غرفة فى حى شعبى وأن هذا المستورد أحبه ويثق فى امانته ويرسله إلى الجمرك لتخليص بعض أعماله .

ولعب الفأر فى عبى وخشيت ان صحت الوساوس ، أن يضعنى فى حرج معه فاتصلت به وسألته عنه فقال لى أنه ولد سكره ووجهه فيه القبول وكلما أرسله فى مهمة يسرها الله على يديه وأنه يشكرنى على التنازل له عنه ! وأحسست بالفخر وبالغيرة معا ، ومع ذلك فقد حرصت بمنطق بعض التجار ألا لعنة الله عليه على أن أوكد له أننى غير مسئول عن أى تصرفات له ، فقاطعنى رافضا الاستماع وانتهت المكالمة .

واستمر الحال هكذا .. وقد أصبح يأتى إلى القاهرة مرة كل شهر فواصلت تجاهله ... مع حرصى على أن أعرف اخباره من زوجتى وسعت أمى كثيرا لكى تصلح بينى وبينه ، فتمسكت أن ينفذ كل

شروطي وأن يبتعد عن شلته الذين يحرص على زيارتهم كلما جاء مز الإسكندرية والذين يزورونه هناك كما سمعت .

ومضى عامان ثم ابلغتني أمي أنه ارتبط بفتاة بائعة فى محل المستورد وأنه يريد خطبتها ويطلب منى الاذن فسألت عن التفاصيل وتأكدت من أنه نسب غير ملائم وأن مستوى أسرتها الاجتماعي منخفض جدا ، فقلت لأمي أنه يريد أن يجلب لى عارا جديدا .

كما فعل حين عمل عند أحد من اتعامل معهم وبامكانه أن يتزوج من أسرة أفضل منها فهو فى النهاية ابن ناس طيبين ورفضت الموافقة باصرار .

وبعد أيام جاءنى منه خطاب يطلب فيه أن أصفح عنه ويقول لى أنه لايعرف له أبا غيرى ، ويطلب منى حضورى حفل خطبته فلم أرد عليه ، وجاء بعدها بأسبوعين وزارنى فى المحل فلم أحسن استقباله ومع ذلك فقد جلس وروى لى وهو خجلان قصة إرتباطه بهذه الفتاة وطلب « تشريفى » حفل خطبته .. فهززت رأسى أن لا فسكت قليلا ثم طلب بصوت خافت أن اسمح لأمي وشقيقاته بالحضور نيابة عنى لكيلا يبدو أمام أسرة خطيبته بلا أهل .. فهززت رأسى مرة أخرى ، فسكت قليلا ثم قال كتر خيرك ، وألقى السلام وانصرف ، وبكت أمي طويلا فلم استجب لها وأعلنت رفضى لذهاب شقيقاتى .. فبكين وأشفقن عليه من أن يكون وحيدا فى يوم خطبته فلم اتراجع وقد سلط على ذهنى أنه يعاندنى ويريد أن يجلب لى العار ولا شيء غير ذلك .. مع أنه شاب ومن حقه أن يحب ويتزوج .. لكن هكذا صور لى العناد

فهددت من تذهب من أخوتى وأمى إلى الإسكندرية بمقاطعتها فرضخن ـ ساخطات ، وطاف هو عليهن يرجوهن ألا يزعلن لأنه يعذرهن ولايريد لهن المشاكل معى .. وودعنه جميعا كما عرفت بالقبلات والدموع حتى زوجتى بكت وصرخت فى وجهى بأنى ظالم وأنه لولا أنها لاتريد أن تزيد من ألامى لما قبلت السكوت على هذا الظلم ولذهبت إلى خطبته وهو الشاب المؤدب الذى لم تر منه منذ زواجها بى إلا كل خير وفى وسط كل ذلك قررت خالتى وكانت تحب شقيقى حبا خالصا وتشفق عليه ان تذهب هى وزوجها وأولادها إلى الإسكندرية لتخطب له هذه الفتاة نيابة عن أمى وليضرب فلان الذى هو أنا رأسه فى الحائط لأن الله لايرضى بالظلم .. ولأنى كما قالت سامحها الله ظلمته صغيرا وكبيرا ولا أريد أن أرجع عن ظلمى وذهبت فعلا وعادت تروى لأمى كيف استقبلها بالدموع وتقبيل يديها لأنه لم يكن يتوقع حضورها وكيف احتضن زوج خالته وقبل رأسه معربا عن شكره .. وكيف استقبل بنات وأولاد خالته بفرحة جنونية ، وان أسرة فتاته أسرة طيبة رغم فقرها وأنهم يحبونه ويحترمونه ، وكيف أنها عاشت أسعد أيام حياتها فى هذا الفرح البسيط ، وأنها زغردت من قلبها وأصدقاؤه الذين سافروا إليه من القاهرة .. وأصدقاؤه الجدد من الإسكندرية وهو يكسب الأصدقاء سريعا ، يزفونه بالسيارات حول ضريح أبو العباس المرسى وهو يضحك سعيدا والدموع لاتفارق عينيه ، وان التاجر الذى يعمل عنده هو الذى رتب له الزفة وأعطاه نقوطا كبيرا مكافأة له على نشاطه وأمانته وسمعت كل ذلك وأحسست

بالندم يلسعنى على موقفى منه لكنى تظاهرت بتجاهل الموضوع وعرفت من زوجتى أنه سيقيم مع أسرة خطيبته بعد الزواج إلى أن يجد شقة ، ومضت أسابيع وبدأت أثار الخطبة وحرمان الأسرة من الاشتراك فيها تخف تدريجيا وعاد هو يزور أمه وشقيقاته ويحكى لهن عن خطيبته وعمله وحياته هناك .. وكان من بين ما رواه لهن أن آلام جنبه قد عاودته بسبب ساعات العمل الطويلة فذهب إلى المستشفى الأميرى فى الإسكندرية وعالجه الأطباء وشفى والحمد لله .

ومضى عام آخر والموقف بيننا لم يتغير فهو يحيينى حين يدخل فأرد تحيته باقتضاب .. فإذا غلبنى حنينى إليه وأردته أن يحكى لى عن نفسه .. أو يطلب منى الرجوع .. أو السماح كما كان يفعل ، فإنه يحكى لدقائق لاتشبع .. حنينى وشوقى له ثم يصمت .. كأنه لايجد ما يقول وينسحب بعد قليل ، وجاء مرة فى زيارته المعتادة فلاحظت عليه الارهاق فسألته عما به فروى لى أنه أحس بالتعب فذهب إلى المستشفى الأميرى وأنهم أجروا له فحوصا عديدة أتعبته أكثر .. لكنه تحسن الآن والحمد لله .. فانخلع قلبى .. وأمسكته من يده وذهبت به إلى طبيب كبير فطلب أشعات وتحاليل فحاول الاعتذار لأنه مضطر للسفر فاقسمت عليه بالطلاق ألا يسافر إلا بعد إجراء الفحوص والتحاليل وعدنا للطبيب فوصف له العلاج وطلب منه الراحة ورجعنا إلى البيت فطلبت منه ألا يعود للإسكندرية نهائيا وان يستريح فى البيت وأعلنت له أنى سأنفق على علاجه كل ما املك .. وسأدعو خطيبته وأسرتها لزيارته هنا ، فابتسم فى ضعف وقال لى أنه لابد أن يعود وأن يعمل

لأنه مدين لصاحب العمل بجزء من قيمة الشبكة ولبعض اصدقائه هناك ببعض المال لأنه اشترى دواء وأجرى فحوصا كلفته الكثير.. فطلبت منه أن يبقى وسأسدد ديونه مهما كانت وأنه ليس فى حاجة للعمل وهو مريض .. والححت عليه فى ذلك وأردت أن أحلف عليه مرة أخرى فسد فمى بيده .. ثم أمسك يدى وقبلها وشكرنى بحرارة راجيا أن أكرمه بتركه يسافر لأن حياته أصبحت هناك .. وسوف يواظب على العلاج فوافقت مرغما وأوصلته للقطار ، وأعطيته نقودا رفض أن يأخذها والححت عليه وذكرته بأن له حقا فى المحل الذى تركه أبوه وهذا جزء منه فقال لى وهو يبتسم متعبا : لقد أخذت حقى وزيادة بلقمتى وطعامى فى سنوات التعليم .. فإذا كان لى عندك حق فاعطه لأمى ولشقيقاتى . ثم تحرك القطار وصورته وهو يبتسم فى ضعف لاتفارقنى وعدت إلى البيت مهموما ، ولم أنم الليل ، وفى الصباح كان أول ما فعلت حين ذهبت إلى المحل هو أن اتصلت تليفونيا بالتاجر الذى يعمل معه أخى لأطمئن منه عليه وأبلغه أنى سأسدد دينه عنده .. وأرجوه أن يرفض عودته للعمل ويعيده للقاهرة حتى تتحسن صحته .. فما أن عرفنى حتى قال لى واجما : كنت ساتصل بك الآن فورا .. انتظرنا نحن قادمون إليك بعد ٣ ساعات .. البقاء لله ! وصرخت من أعماق وسقطت السماعة من يدى وجاء جيرانى مفزوعين .. وأركبونى سيارة أحدهم وأعادونى للبيت .. وبعد ساعات وصل الركب الحزين وبدأت رحلة الوداع وحولى أصدقاؤه واحباؤه الذين طالما كرهتهم وأسات الظن بهم يولولون ويصرخون كالثكالى ويتدافعون لحمل

صاحبهم .. ووقفت فى المساء فى العزاء منهارا أصافح الأيدى ولا أدرى بها .. وجاء اصدقاؤه فما أن وضع أولهم يده فى يدى حتى بكيت كالطفل فشجع ذلك أحدهم على أن يقول لى : لقد مضى كل شىء وراح لكنى أشهد الله أمامك ان شقيقك كان مثال الأمانة والشهامة والأخلاق وان يده لم تمتد إلى حرام .. ولم يرتكب معصية .. وإننا كنا أخوة فى الخير لا فى الشر وان أقصى ما فعلناه مما كنت تعيبه علينا إننا كنا ندخن فى مرحلة المعهد لكننا لم نعرف الخمر ولا المخدرات كما كنت تتصور .. وعاش أخوك ومات ولم يدخن سيجارة فقال : لكن ألسنة السوء لاتدع الناس فى حالها .. فسألته فجاة هل كرهنى لما فعلت معه ؟ فقال : لم يذكرك مرة بسوء حتى وأنت تقسو عليه .. وكان يقول لنا دائما لاتظلموه فلقد حمل الهم صغيرا .. وهو أخى وأبى الذى لم أر غيره ، ويكفيه أنه ستر شقيقاتى أما أنا فرجل وأستطيع أن اتحمل .

فاسترحت لذلك قليلا ... لكن ما حدث بعد ذلك لم يكن ينبئ براحة ، فبعد رحيل أخى خيم الحزن على بيتنا واستقر فيه ، وبدأت أحس باكتئاب شديد افقدنى حماسى للعمل .. فاصبحت انهض أحيانا من النوم فلا أشعر بميل للذهاب للمحل ولا لمغادرة البيت ... وضاعف من حالتى .. أنى أحس باتهام صامت فى عيون أمى وشقيقاتى بأنى ظلمت أخى وقبرته .. مع أنى يعلم الله لم أرد سوى مصلحته حتى وان أسأت التصرف وقد استقر الفتور فى علاقتى بأمى وشقيقتى الكبرى التى كانت أكثر الشقيقات عطفا على أخى الراحل بالذات . أما خالتى

التى تحدثنى بالذهاب إلى خطيبته فقد حاولت مصالحتها بعد رحيله فانهالت على بالاتهام والتجريح . وزادت من معاناتى . وسافرت إلى الإسكندرية وذهبت إلى التاجر الذى عمل معه أخى وشكرته وسددت له دينه فأبى بكل إصرار .. وقال إنها كانت هدية منه لشاب كريم وليست دينا عليه .. وقد ساءت حالتى الآن حتى أصبحت لا أذهب للمحل إلا مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع وإلى جانب ذلك فأنا أصحو كل ليلة من نومى عدة مرات وقد توقف تنفسى وقلبى ووصلت إلى مرحلة الاختناق .. وفى كل ليلة يجيئنى أخى فى المنام وأراه عابسا وهو الذى لم أره إلا مبتسما فى حياته حتى حين كان يغلبه الدمع ، ذهبت إلى الطبيب فأحالنى إلى طبيب نفسى شخص حالتى بأنها ميول إكتئابية وأعطانى بعض الأدوية ، وأنا الآن أواظب على العلاج لكنى لا أنام جيدا .. وقد فقدت كل الأشياء قيمتها عندى فلم تعد عندى رغبة فى النجاح ولا فى الثراء وأسأل نفسى كل حين ما معنى كل ذلك وأنا لم أنجب أولادا ولا بنات ولم يعد لى أخى ثم ماذا يعنى هذا المحل .. وهذه التجارة ولم تعد فى مسئوليتى سوى أمى وما هذه الجدران والرفوف التى تصورت فى حمق أنها أهم من شقيقى الوحيد وأن على أن أحميها منه بابعاده عنها ومتى يبتسم وجه أخى حين يزورنى فى الليل .

وأين راحة القلب والضمير .. أين ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : راحة القلب من راحة الضمير ياسيدى وأنت مؤرق الضمير باحساسك بالذنب تجاه شقيقك الراحل الذى ظلمته كثيرا بوساوسك وخوفك المبالغ فيه على الجدران الصماء

التى عرفت الآن أنها لاتساوى قلامة ظفر والحق أنى أعجب كثيرا من حالنا نحن البشر حين نعمى أحيانا عن بعض الحقائق الأولية .. فلا نتنبه إليها إلا بعد رحيل الأعزاء وغياب من لايعوضنا مال الدنيا عن غيابهم ، كما أعجب من حماقة المرء حين نخص بعض أعزائنا الذين يبدون أمامنا مسالمين مستسلمين بإيذائنا .. فإذا فقدناهم عرفنا أننا قد خسرنا بفقدهم وإلى الأبد من كانت محفورة فى أعماقهم محبتنا وهيبتنا ، واكتشفنا حين لاينفع الندم أننا لن نلق فى الحياة بعدهم إلا من لايردعهم حب أو احترام عن رد إيذائنا إلينا إذا عاملناهم بنفس الطريقة .. فأى حماقة بشرية نرتكبها فى حق أنفسنا وأعزائنا ؟ ولماذا نفتقد فى بعض المواقف حكمة الأعرابية الأمية التى لا تقرأ ولا تكتب والتى أدركت هذه الحقيقة البسيطة منذ عشرات القرون حين وضعت أمام اختيار صعب بين الأهل .. فقالت فى نهاية حديث طويل كلمتها الشهيرة « .. أما الأخ فلا يعوض » مشيرة إلى أن الإنسان لايستطيع أن يستولد أبويه أخا جديدا مهما كانت حاجته لذلك ولا يستطيع أن يشتريه بمال قارون .. ولو ملكه .

ولقد عرفت ذلك كله الآن بعد أن ظلمت أخاك طويلا .. ويؤرقك احساسك بالذنب تجاهه .. وتتمنى لو تعرف أنه قد سامحك لكى يطمئن جانبك .. ولست أظن أمثاله ـ ممن يعبرون الحياة فى رحلة قصيرة لايعرفون فيها سوى الآلام والأحزان .. ولا يأخذون من الدنيا خلالها شيئا قادرين على عدم الصفح عمن أذوهم .. وهم من يغفرون للحياة أصلا ما لا قوه فيها من ظلم ومعاناة . لكن لا تستكن إلى ذلك

يا سيدى وإنما أعن نفسك على التطهر من الذنب تجاه أخيك باعلان براءته من كل الشكوك والهواجس عند كل من وصلت إليهم شكوكك وهواجسك ، واقض دينه عنه لأصحابه وهو بعض ماله من دين فى عنقك وقد كان كما عرفته كريما غنى النفس عزوفا عن التطلع إلى ما بين يديك وهو المحروم منه وصاحب بعض الحق فيه .. ولعلك تعرف بعد ذلك أن الانسان يستطيع أن يكرم العزيز الراحل باكرام صاحبه وأنت قد عرفت الآن أن أصحابه لم يكونوا عند سوء ظنك .. فلا تشح بوجهك عنهم بعد الآن وتقبلهم قبولا حسنا .. ثم احرص على أن تزور أسرة خطيبة شقيقك التى تعاليت عليها فى الماضى وتعرف على من اختارها قلبه واعتذر لها عن مجافاتك لها ثم صل بعلاقات المودة هذه الأسرة المكافحة التى احتضنت أخاك حين لم يجد منك نصيرا فتشرفه فى غيبته النهائية بعد أن فاتك هذا الواجب فى حياته .

يبقى بعد ذلك أن تتوجه بقلبك إلى الله طالبا العفو والمغفرة .. فإن ظلمك لأخيك وطمع الدنيا الذى أعماك فى بعض الفترات عن إدراك انه كان نعم الأخ لك ونعم الرفيق ، وتسلطك على أسرتك ومنعك لها من مشاركته الفرحة الوحيدة تقريبا فى حياته القصيرة الحافلة بالآلام .. كل ذلك فى ظنى من الكبائر التى لايمحوها إلا الاستغفار وصدق الندم « وإن تستغفروه يغفر لكم » فادع الله كثيرا لنفسك بالمغفرة . وخير الدعاء العمل الصالح الذى يقصد به الانسان وجه ربه فاحرص على رحمك وعوض أمك بعض ما تجرعته من آلام وأحزان وتصدق كثيرا باسم أخيك .. وانشر الخير حولك وأينما توجهت .. يبتسم لك

وجه أخيك فى رؤياك وتنج من عذاب الضمير وشبح الاكتئاب .. وأهم من كل ذلك .. من عقاب السماء . الذى أعدّه الله للظالمين .

جبال من جليد

أنا سيدة من أسرة طيبة بدأت حياتى العملية عقب تخرجى فى الجامعة فى وظيفة مرموقة وكنت منذ بداية رحلتى فى العمل ناجحة ومتفوقة وأنيقة واجتماعية فأعجب بى شاب رآنى فى العمل وتقدم لأسرتى يخطبنى ـ ورأت أسرتى المحافظة أنه شاب ممتاز من أسرة محترمة وجامعى فرحبت به .. ووافقت أنا عليه وتمت الخطبة وبعد شهور تم الزواج وانتقلت إلى بيتى الجديد وكل مسامى مفتوحه لزوجى وحياتى الجديدة .. فلم تمض شهور حتى بدأت اكتشف فيه عيوبا عديدة أهمها انطوائيته وكراهيته للناس جميعا وكراهيته لأن يزور أحدا أو أن يزورنا فضلا عن أنه بلا أصدقاء ومكروه فى عمله مما أدى إلى تأخره فيه بسبب عصبيته الزائدة وسوء معاملته لزملائه ورؤسائه .

ولكن الأمل فى المستقبل الأفضل لم ينقطع عندى فأقبلت على حياتى معه وحاولت التكيف مع طباعه لكنه لم يكتمل العام الأول على زواجى إلا ووجدت نفسى فى عزلة تامة عن الناس واعانى من عنفه وعصبيته ومن اعتدائه على بالضرب المبرح الذى يترك أثارا فى جسدى تستمر بالأسابيع إلى جانب اهاناته لى بأفظع الألفاظ وفى هذه الظروف

العصبية جاء وليدى الاول .. فكأنه قد جاء حكما على بالاستمرار وتحمل الإهانة والضرب وضاعف من ضغط أسرتى على لكى أتحمل وأواصل المشوار .. لأنه من العيب أن تطلق الفتاة فى أسرتنا .. ولأن من واجبها أن تتحمل كل شىء من أجل أطفالها هكذا عشت أجمل سنوات العمر من حياتى .. فى حياة تعسة كئيبة .. تشهد كل أسابيع انفجارات مدوية أتعرض خلالها للضرب والإهانة فأغادر بيتى إلى بيت أسرتى .. لفترة تطول أو تقصر ويحاول فيها أبى أن يشجعنى على الاحتمال ثم أعود إلى بيت زوجى راضية أو راغمة ومضت الحياة بعسرها حتى انجبت ٣ أولاد وتضاعفت المشكلة حين كبر الأولاد وأصبحت خلافاتنا تجرى أمامهم .. فيسمعون سباب أبيهم لأمهم بأفظع الكلمات .. لكن الله عوضنى بهم فالتصقوا بى وأصبحوا اصدقائى ولا يخفون عنى شيئا من افكارهم وهواجسهم .. وشب الأبناء فوصل اثنان منهم إلى الجامعة واستعد الثالث لدخولها وتقدمت أنا فى عملى رغم تعاستى العائلية فوصلت إلى منصب المدير العام اصبحت أرأس عددا كبيرا من الموظفين والموظفات ويشهد لى الجميع بالعدل والحزم والكفاءة فبدأ صبرى ينفد ولولا ايمانى العميق بالله وحجى لبيته وحبى لأولادى لاستسلمت لنداء الانتحار.

وبعد أن بلغت السادسة والأربعين من العمر وأصبح ابنائى شبابا واعين لم أعد احتمل الإهانة فى بيتى وأنا المدير العام فى عملى فأثرت العزلة عن زوجى نهائيا ولم يعد هناك حديث بيننا إلا حديث الحياة اليومية من مأكل ومشرب وانفاق وانحصرت علاقاتى فى أهلى وأقاربى

فقط ، أزورهم ولا يزوروننى بسبب وجود زوجى الدائم فى البيت .

ومشكلتى الآن ياسيدى هى أن قلبى يكن لزوجى كراهية تفوق الوصف .. ومنذ أول سنة من زواجى منه بحيث أصبحت الآن لا أطيق سماع صوته ولا رائحة انفاسه ولا طريقة تناوله للطعام ولا طريقة ملبسه وأصبح كل شىء فيه ينفرنى منه ويزيدنى كراهة له ، ومن ناحية أخرى فإن خوفى من الله عظيم ، وقد علمت من قراءاتى فى كتب الدين أن من أحاديث الرسول الشريفة مامعناه أنه لاتدخل الجنة زوجة إلا وزوجها راض عنها وان الزوجة التى تبيت وزوجها غاضب عليها تلعنها الملائكة حتى تصبح فأثار ذلك حزنى وخشيتى من أن اتعذب فى الدنيا وفى الآخرة وأريد أن أسألك وأسأل رجال الدين معك ماهو حكم الزوجة كارهة زوجها والتى تعيش معه تحت سقف واحد وتتحمل معاشرته عن كراهية من أجل أولادها وبيتها والمجتمع .. وهل الزوج الذى قال الرسول مامعناه أنه لوكان ليأمر أحدا بأن يسجد لغير الله لأمر الزوجة بأن تسجد لزوجها هل هذا الزوج هو أى زوج مهما كان قاسيا وعنيفا ويؤذى مشاعرها وجسمها بالضرب والإهانة ، أم أنه الزوج الذى يجعل من الزواج مودة ورحمة وسكنا .

وهل إذا صبرت هذه الزوجة على معاشرة زوجها مع كراهيتها له .. هل يكون لها أجرها على صبرها واحتمالها من أجل ابنائها أم أن كراهيتها له تضيع أجرها فتخسر دينها ودنياها ..

ارجو أن تخرجنى من حيرتى لأنى مهمومة جدا بهذه المسألة .. التى

اكتشفت أنها أيضا مشكلة عدد كبير جدا من الزوجات من صديقاتي ومن زميلاتي في العمل .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : ياسيدتي الفاضلة .. كرهت زوجك منذ العام الأول لزواجك منه وربما من الأيام الأولى فلماذا واصلت الرحلة معه حتى جاء الابناء فحكمت عليه وعلى نفسك بهذا الجحيم المستعر منذ ٢٥ عاما ؟

إن الزواج عند العقلاء ارادة واختيار ولا مبرر عندهم للاقدام عليه ولاستمراره سوى الحب والرغبة المشروعة في السعادة والاستقرار .. أما بعد أن يجيء الأبناء فإن كثيرين منهم يضعون مصلحتهم فوق كل اعتبار ويتنازلون عن كثير من أحلامهم وحقوقهم من أجلهم ..

والابناء في رأيي هم أشرف دوافع استمرار الزواج في غيبة الحب والمودة والرحمة وللزوجة والزوج أجر عظيم على تضحيتهما بسعادتهما الشخصية لهذا الدافع النبيل .

لكنه يضيع من هذا الأجر في تقديري ان ينطوي ايهما على هذا القدر الهائل من الكره الذي تكنينه لزوجك لا لأنه لا يستحقه كزوج وإنما لأنه لايستحقه بكل تأكيد كأب لأولادك مهما جرى بينكما من أحن ومشاجرات قد لاتخلو منها حياة .

إن كل مشاجرة ياسيدتي تحتاج إلى شخصين لكي تقع لا إلى شخص واحد فقط ، وليس من المنطق ان يكون طرف واحد فقط هو المخطئ في كل الخلافات التي جرت على مدى ٢٥ عاما بلا استثناء وبالتالي فلابد أن لك نصيبا من المسئولية عن هذه الخلافات

والمشاجرات وأغلب ظنى أن استشعار زوجك للاحساس المؤلم بأنك لاتحبينه منذ الشهور الأولى لزواجكما قد أخرج من شخصيته أسوأ ما فيها .. فتعاملت مع الجانب السيئ منها فى أغلب الأحيان .. ولو غرس الله بعض الحب فى قلبك تجاهه منذ البداية لما تفاقمت الأمور إلى هذا الحد المزرى .. ولما وصلت بعد هذه السنوات الطوال إلى أن أصبحت لاترين فيه سوى العيوب والنقائص من رائحة انفاسه إلى طريقة ملبسه ، فليس هناك إنسان خال تماما من العيوب وليس هناك أيضا إنسان عاطل تماما عن أى ميزة كإنما خلقه الله ليكون عبرة للآخرين !

فلكل إنسان مهما كان بشعا مزاياه وعيوبه .. قد ترجح هذه تلك وقد تتعادلان .. لكن لكل انسان فى النهاية جانب خير يمكن أن نتعامل معه من خلاله والوجوه مرايا القلوب ياسيدتى فنظرة كارهة من الزوجة لزوجها قد تفجر حمم براكينه فى حين أن نظرة حانية باخلاص له قد تذيب جليده فيتحول إلى ينبوع من الماء العذب ولست أطالبك بالوقوع فى غرامه .. لأنه لايأمر القلوب سوى خالقها جل شأنه .. لكن أطالبك فقط بأن تخففى من هذه المشاعر البغيضة التى تحملينها له وبأن تحاولى نسيان جرائمة فى حقك ولو بمضى المدة وسقوط العقوبة مادمت قد اخترت مواصلة الحياة معه إلى النهاية .. ولاشك أن نسيانك لما أصبح الآن فى عداد الذكريات سوف يفتح بعض مسامك له فتتعاملين معه على الأقل بحياد في المشاعر يخفف عنك جحيم معاشرة من لاتطيقين رؤياه . ونحن نتعامل فى الحياة أو العمل أحيانا مع أشخاص قد لانحبهم

لكن طول المعاشرة يخلق بيننا نوعا من الألفة التى تسهل تقبلنا لهم فلماذا لاتعاملينه على هذا المستوى وهو فى النهاية شريك حياتك وأب أبنائك ؟

ولماذا لاتذكرين له انه رغم كل ماجرى لم يهدم أسرتك ولم يشرد ابناءك وارتضى لنفسه ان يعيش تحت سقف واحد مع من لاترى فيه إلا كل شىء بغيض وهو لاشك عالم بذلك ومتألم له !

أما عن تساؤلاتك الدينية .. فلست من أهل الفتيا لكى اتصدى للافتاء فيها وسأحيلها إلى من يقدرون على تحمل هذه الأمانة .. لكنى سأقول لك فقط ان الله لايحاسبنا عما تنطوى عليه صدورنا تجاه الآخرين مالم تخرج من الصدور لتتحول إلى أفعال وتصرفات وقد يجزينا الله عنها حتى وهى داخل الصدور ان كانت مشاعر طيبة وإنسانية وان الزوجة التى تلعنها الملائكة حتى تصبح هى الزوجة التى يدعوها زوجها إليه فتأبى وأنت قد اعتزلت زوجك باعترافك .. فضعى نفسك حيث اخترت . وسأقول لك أيضا أن من واجب الزوج ان يحسن معاشرة زوجته وان يرعى ربه فيها ولو لم يحبها ومن واجب الزوجة ان تحسن معاشرة زوجها وأن ترعى ربها فيه ولو لم تحبه مادامت قد اختارت مشاركته الحياة إلى الأبد وقد أحل لها الطلاق إذا ارادت .

فراجعى نفسك ياسيدتى .. فربما تكتشفين أنك لست الضحية الوحيدة فى القصة وان المشكلة التى تقولين أنها مشكلة عدد كبير جدا من الزوجات قد يكون أحد أسبابها هو إحساس المرأة فى مجتمعاتنا « بالمظلومية التاريخية » فى قصص زواج لم يستشر فيها القلب قبل

الاقدام عليها إلى جانب العقل غالبا فقادت إلى هذه المعاناة وهذه الآلام .. وهو احساس سائد للأسف عند البعض .. لكنه فى رأيى ليس مقصورا على المرأة وحدها !

الــزائــرالغــريــبّ

بدأت مشكلتى حينما طلق أبى أمى بسبب التدخل المستمر من جانب عماتى فى حياتهما ، فحملتنى أمى على كتفها طفلة عمرها عامان ولجأت إلى بيت أختها بعد أن طردها أبى سامحه الله فرحبت بها خالتى وزوجها اكرمهما الله وعشنا معهما عامين رحلت بعدهما أمى كسيرة النفس حزينة فأصبحت يتيمة الأبوين رغم وجود أبى على قيد الحياة فنشأت فى بيت خالتى لا أعرف لى أما غيرها .. ولا أبا غير زوجها الذى وجدت نفسى أناديه بكلمة « بابا » منذ بدأت أتعلم الكلام ، وكان بحق أبا حقيقيا لى لا يفرق بينى وبين أبنائه ، إن لم يميزنى فى المعاملة عليهم رحمة بى وبظروفى ويتمى وكان يعمل موظفا حكوميا ويخرج من عمله ليعمل عملا آخر يستعين به على مواجهة الحياة وتساعده زوجته بالعمل بالخياطة بقدر جهدها لكى تلبى بعض احتياجاتنا ، ومع ذلك فقد ادخلانى أحسن المدارس .. وعرضانى على أحسن الأطباء كلما مرضت ، بل وحرصا على أن يقيما حفل عيد ميلادى كل سنة ، وحفل نجاحى فى المدرسة كلما نجحت وكنت أنجح بإستمرار حتى لا أخيب ظنهما ..

وكل ذلك ياسيدى وأبى لا يدرى عنى شيئا ولا يحاول أن يرانى ولو مرة واحدة .. ويكتفى بإرسال مبلغ عشرين جنيها كل شهر مع أحد أصدقائه إلى بيت خالتى حتى لايضطر للحضور ورؤيتى ، ومضت السنوات وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة حتى التحقت بإحدى الكليات العملية وكل ذلك ومبلغ العشرين جنيها الذى يرسله لى أبى كما هو لايزيد منذ كنت فى الحضانة ولا يتأثر بأى عوامل !

وخلال هذه السنوات الطوال لم أره لكنى سمعت أنه قد تزوج ثلاث مرات وفشلت زيجاته كلها ، وأنه يعيش مع شقيقتيه اللتين لم تتزوجا ولم أرهما طوال هذه السنين إلا نادرا وأنه قد كتب ما عنده لشقيقتيه وأبناء أخيه ولم أهتم بذلك لأنى كنت قد تعودت على غيابه وعلى اعتبار نفسى فردا من أسرة خالتى .

وذات يوم فوجئت بخالتى تدخل على حجرة النوم مضطربة وتدعونى إلى مقابلة زائر فى الصالون واكتشفت بعد قليل أن هذا الزائر الغريب هو أبى الذى جاء بعد عشرين سنة ليرانى وأنا فى الثانية والعشرين من عمرى شابة وعلى وشك التخرج .. ورغم تناقض مشاعرى فلقد فرحت لأن مشاعر الأبوة قد تحركت فى قلبه فجأة فجاء ليطمئن على .. لكن الفرحة لم تطل .. فقد صدمت بعد دقائق لأنه لم يجئ لرؤيتى وإنما ليأخذنى للحياة معه ومع عمتى ، فماتت الابتسامة على شفتى فى الحال .. وتكلمت دموعى .. ونظرت إلى زوج خالتى مرتاعة .. فطمأننى .. ثم راح يرجو أبى ان يتركنى أعيش معهم عارضا عليه أن يتوقف عن أرسال العشرين جنيها فسألنى أبى عن رأيى .. فلم

اتردد فى أن أصرح له بأنى أريد أن أواصل الحياة مع أسرة خالتى ، فنهض غاضبا وهو يكاد يضربنى قائلا : إننى يجب أن أعيش معه سواء وافقت أو لم أوافق .. وحين رأى أنى لم استجب للتهديد انصرف وهو يتوعدنى بأن حسابى مع ربى كبير!

وغادر أبى البيت وتركنا ونحن جميعا نبكى أنا وخالتى وزوجها .. وأخوتى منها .. وبعد ان هدأت العاصفة قليلا قال لى زوج خالتى أنه لايرغمنى على الحياة معهم لكن بيته سيظل مفتوحا لى طوال العمر ، فانفجرت مرة أخرى فى البكاء وقلت له انى لم أعرف أبا لى غيره واننى لا أريد أن أحيا إلا فى بيته فارتاح لذلك واكد لى أنه لن يتخلى عنى .. ولن يقصر فى التمسك بى والدفاع عنى وتوقفت الأزمة مؤقتا وأريد أن أسالك هل صحيح أن الله سوف يحاسبنى لأنى رفضت أن أغادر بيت خالتى إلى بيت أبى .

إنه لا يحتاجنى كما يحتاج أى أب لابنته بدليل انه لم يرنى منذ عشرين عاما .. لكنه يحتاج إلى لكى أخدمه وأخدم شقيقتيه بعد أن تعذر عليه الزواج للمرة الرابعة .. وهو فى صحة جيدة ولايحتاج لأى رعاية من هذا الجانب لكنه وعمتى يحتاجون إلى خدمة .. وأنا من فكروا فيها لكى يعيدوها إلى البيت بعد هذا العمر الطويل لكى تخدمهم فهل يكون عدلا أن ألبى مطلبهم وأترك أهلى الذين تحملوا الكثير من أجل تربيتى .. ان ابن خالتى يحبنى ويرغب فى الزواج منى وأبى وأمى الحقيقيان سعيدان بذلك ، لكنه مسافر إلى الخارج ليبنى نفسه وانتقالى إلى بيت أبى لن يؤثر على هذا الزواج .. لكنى لا أستطيع أن اتخيل

نفسى بعيدا عن بيت أسرتى التى نشأت بينها ولا أستطيع أن أعاشر من لم أعرفهم إلا بالكاد وهم أبى الآخر وعمتاى .. وضميرى مرتاح إلى اختيارى لأسرة خالتى لكنى أسالك هل حقا سوف يحاسبنى الله على ذلك كما قال لى أبى وهو يغادرنى غاضبا ؟

ولكاتبه هذه الرسالة أقول : من يزرع الشوك ليس من حقه أن يتعجب إذا لم يجن الزهور ! والأبوة فى معناها الحقيقى ليست انتماء بالاسم أو بشهادة الميلاد فقط ، لكنها انتماء بالحب والعطاء والرعاية والمسئولية والقوامة فأين هو من كل ذلك .

إن أباك الحقيقى هو زوج خالتك الذى كافح لتربيتك وإعالتك وعاملك كأبنائه بل وميزك عنهم رحمة بك وبظروفك ، وأمك بالرعاية والحنان هى هذه السيدة الفاضلة التى تحملت مسئولية تربيتك كاملة منذ كنت فى الرابعة من عمرك ، ورأيى واستغفر الله إن أخطأت أو تجاوزت ـ أن تخليك عنهما بعد أن شقيا فى تربيتك وتنشئتك حتى صرت شابة ناضجة على وشك التخرج فى الجامعة هو ماسوف يحاسبك الله عليه ، وليس أى شىء آخر .. أما أبوك فلقد أهدر معظم حقه عليك حين تخلى عنك وعاش ٢٠ سنة لايفكر فى رؤيتك حتى حركته دوافع المصلحة غالبا إلى التفكير فى ضمك إليه .. وليس هكذا تكون علاقات الأبوة كما أرادها الله سبحانه وتعالى ولا العلاقات الإنسانية .. عموما فإنى أقول لك إننى استريح إلى اختيارك لأسرة خالتك لكنى أطالبك فقط ان ترعى الله فى علاقتك بأبيك فلا تقطعى صلتك به .. وزوريه من حين إلى آخر ، وصليه كما تصل الفتاة المتزوجة أباها ..

واسأليه برفق ان يتقبل رغبتك فى الاستمرار بين أسرة خالتك بحكم النشأة والرعاية والعرفان بالجميل .. وهونى عليه الأمر بأنك ستتزوجين بعد قليل وستغادرينه أن عاجلا أو آجلا إلى بيت زوجك .. فليعتبرك منذ الآن زوجة تقيم فى بيت زوجها .. عفا الله عنه وعنك وعن الجميع .

عقـــول الأمـــة

ليس عندى قصة مؤثرة أحكيها لك .. ولا تجربة إنسانية فريدة تثير التأمل .. لكن عندى « حالة » لاتخصنى وحدى وإنما تخص كثيرين غيرى . فأنا استاذ جامعى فى كلية نظرية عمرى ٤٥ سنة ومتزوج وعندى ثلاثة ابناء ، وقد أمضيت ٢٥ عاما حتى الآن مشتغلا بالتعليم ، وأعيش براتبى فقط وهو ٤٥٠ جنيها . وأقيم فى شقة ضيقة من غرفتين بحى شعبى أدفع مائة جنيه كل شهر إيجارًا لها ، وليست لدى أية مدخرات .. ولا أملك سيارة والتزم بالشرف والأمانة فى تربية أبنائى الطلاب بالكلية وتعليمهم لكنى أصبحت عاجزا عن دفع مصروفات أبنائى الثلاثة فى المدارس ، لأن « الجمعيات » التى ندفع أقساطها والتى لجأنا إليها لدفع مصروفات العام الماضى مازالت تثقل كاهلنا فلا نستطيع أن نشترك فى « جمعيات » جديدة ، وأنا بالطبع لا أطلب مساعدة وأبحث حاليا عن عمل يساعدنى على تحمل نفقات المعيشة ، لكنى اتأمل حالنا نحن عقول الأمة الذين نفكر فى مشاكلها وأرانا والمشاكل اليومية الصغيرة تستغرقنا فأحزن .. إذ متى نجد وقتا للتفكير فى مشاكل بلادنا وللانجاز من أجلها أليست هذه مؤامرة لتخريب عقول الأمة

بشغلها على العلم والابداع والانجاز بالبحث عن رغيف العيش وزجاجة الزيت .

إننى أرفض السفر والإعارة لأن ما خرب التعليم عندنا هو عدم وجود خطة تفصيلية فى أقسام الكلية المختلفة بسبب سفر من يقومون بتنفيذ هذه الخطط .. وكم من أقسام بأكملها تم تخريبها بسبب الهجرة وسفر الأساتذة ، كما أن لدى أيضا ظروفا صحية صعبة تمنعنى من التفكير فى السفر .. وأنا أصرخ فيك أن تسمع صراخنا .. إذ لا يمكن أن تتخيل المهانة والخوف اللذين أحس بهما وأنا أحمل أوراق امتحان الطلاب معى فى الأتوبيس أو التاكسى إلى مسكنى الضيق لأصححها فيه ، وأنا أعانى الخوف كل لحظة من أن يتهور طالب فيخطف منى هذه الأوراق فى الطريق ويضيع مستقبلى العلمى .. وكم أتمنى أن تجبر الجامعة أساتذتها على تصحيح هذه الأوراق فى الكليات حيث تتوفر لها أيام الامتحانات الحراسة .. فنشعر على الأقل بالحد الأدنى من الأمان ونحن نصححها أما فى الأيام العادية فليس لى كرسى فى الكلية أجلس عليه ولا مكتب وليست هناك مكتبات تساعدنا وقد نشترى الكتاب الأجنبى الواحد بـ ١٥٠ جنيها واسأل مكتبات الأهرام عن أسعار هذه الكتب الأجنبية إننى اقرأ لجيل الرواد طه حسين والعقاد وزكى نجيب محمود فأترحم على جيلنا الضائع فى تفاصيل حياته الصعبة .. إذ لاتدرى كيف يمر الشهر الطويل علينا ، ومعى للدهشة معيدون بالقسم لم يمض على عملهم سوى سنوات معدودة ومع ذلك فقد اشتروا السيارات والشقق من الدروس الخصوصية ويبدو أن القاعدة الآن هى

أن تتساءل عن أسباب فقر هذا .. لكن لاتسل كيف أثرى ذلك .. لكنى خرجت على هذه القاعدة فسألت أحد المعيدين عن كيفية تحقيقه « لمعجزته » الاقتصادية فى سنوات معدودة ، فأجابنى بمنطقه بأن مفهوم الشرف قد تغير الآن يا أستاذ !

إننى لست ضد أحد .. لكنى فى لحظات الضيق والحصار لا أفهم شيئا ويكاد يخيل إلى أن « الرسالة » التى يريد أن يوصلها إلينا المعنيون بأمرنا هى أن على كل واحد منا أن « يدبر أمره » بالطريقة التى تناسبه .. فهل هذا هو المطلوب فعلا .. وهل تستقيم الأوضاع هكذا .. إننا لابد أن نتوقف مع النفس لنعرف كم تأخذ هذه الأمور المعيشية الصغيرة من عقولنا ومشاعرنا لنعرف .. هل ما يبقى منا بعدها ينفع الناس ؟ وأى نفع .

إن لى أملا فيك أن تكتب عن هذه الفئة المظلومة من أساتذة الكليات النظرية الذين لم يسافروا للخارج ويؤمنوا بدورهم فى بناء بلادهم فهل تفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : إنها ليست مشكلة عقول الأمة وحدهم يا سيدى .. لكنها مشكلة جسمها كلهِ فى الأغلب الأعم إلا من نجا من المعاناة بسبب أو بآخر وهى أشد قسوة لدى بعض فئاته الأخرى وإنما تتحول إلى « محنة » تثير التأمل حين تضغط على « العقول » فتصرفها عن التفكير فى العام إلى التفكير فى الخاص وعن الاهتمام بأمر مجتمعهم إلى الاهتمام بأمر أنفسهم ومن الطموح إلى الابداع والانجاز وتحقيق الانتصارات العلمية .. إلى الكفاح لتحقيق

الانتصارات الصغيرة فى معركة البقاء والاستمرار وتلبية مطالب الحياة الضرورية .

.. ولا أحد يستطيع أن يصور خطورة ذلك بأبلغ مما فعل الإمام الشافعى حين قال : لاتشاور من ليس فى بيته دقيق .. فإنه موله العقل ! وهذا صحيح تماما لأن المهموم بأمر معاشه لايستطيع مهما صدقت نيته أن ينزع نفسه من مشاكله الأساسية ويخلص بها للتفكير فى أمر الآخرين . ولقد تنبهت دول العالم الثرية لهذه الحقيقة الهامة منذ زمن طويل فكفت علماءها ومفكريها ومعلميها ومسئوليها التنفيذيين وغيرهم مئونة التفكير فى أمر معاشهم ليخلصوا بأنفسهم وعقولهم للإبداع والانجاز الذى يؤتى ثماره الطيبة لفئات الشعب كله ، فازدادوا ثراء وتقدما وإزددنا نحن فقرا وتخلفا .. وما زال هذا هو الحال فى معظم دول العالم الثالث .. التى تعانى من نفس ظروفنا .

يا سيدى رسالتك خطيرة وليس عندى ما أضيفه إليها سوى أن أضعها تحت أنظار من يهمهم الأمر بما تعكسه من حقائق وأحاسيس « ونذر » .. لا عن العقول وحدهم وإنما عن كل الأعضاء .. وأرجو ألا تبدد صرختك هذه فى ذرات الأثير .. وشكرا .

زهـــــور الصـــــبار

أنا فتاة فى الثالثة والعشرين من عمرى أعيش مع أبى وأمى وشقيقة تكبرنى بعامين ونحيا حياة عادية ونسكن فى شقة من ثلاث غرف واسعة فى حى قديم .. بها كل الكماليات ولنا أنا وأختى غرفة خاصة بنا بها سريران وبعض المقاعد وتسريحة واسمها فى البيت غرفة البنات ولأمى وأبى غرفة خاصة بهما والثالثة للصالون .. أما السفرة فمكانها الصالة وقد استبدلناها منذ فترة قصيرة بسفرة مستديرة صغيرة الحجم ليتسع لنا المجال للحركة فى الصالة .. ولكى نحول جزءا منها إلى غرفة معيشة نشاهد فيها التليفزيون ، وأمى سيدة تعلمت حتى الأعدادية وتقرأ الصحف والمجلات وتحب مشاهدة المسلسلات التليفزيونية ومباريات الكرة ، أما أبى فهو أيضا تعلم فى المدرسة وحصل على الابتدائية القديمة ولم يواصل تعليمه الثانوى لأنه تفرغ للعمل مع والده وهو الآن فى الرابعة والخمسين من عمره ويجيد القراءة والكتابة ويهتم بقراءة الصحف اليومية ويقرأ كل شىء فيها حتى الاعلانات ويهتم اهتماما خاصا بقراءة صفحة الوفيات . وقد حرص على تعليمنا وعلى توفير الجو الملائم لنا ولم يبخل علينا بشىء من ناحية الكتب والدروس

الخصوصية وخاصة فى الثانوية العامة حتى تمكنا من اجتياز عقبتها من أول مرة وبمجموع متوسط فالتحقت أختى بكلية نظرية .. وتخرجت فيها بتقدير جيد .. ولحقت أنا بها فى نفس الكلية بعد عام وتخرجت فيها بنفس التقدير ثم خرجنا للعمل ، ولأن فرصتنا فى التعيين لم تأت بعد فقد عملنا فى أكثر من عمل بالقطاع الخاص ونحن حاليا نعمل فى مكتبين مختلفين وننتظر فرصة أفضل لعمل أكثر ثباتا وضمانا .

وخلال دراستنا فى الكلية وخلال عملنا حرصنا أنا وأختى على أن نظهر دائما بالمظهر اللائق من حيث الملابس فكنا ـ ومازلنا ـ والحمد لله نرتدى الملابس الأنيقة البسيطة التى تساعدنا أمى فى تفصيل بعضها ونشترى البعض الآخر من راتبينا .. ويهدينا أبى بعضها فى المناسبات والحقيقة أننا وبغير تواضع جميلتان .. إن لم نكن جميلتين جدا كما أننا معروفتان بالأناقة والشياكة .. وجيراننا وحتى والدنا يتعجبون من اناقتنا ومن أن كل ما نرتديه يصبح جميلا علينا ولو كان رخيصا .. والحمد لله على ذلك لأننا نرى حولنا فى العمل من يرتدين ملابس فاخرة لا نقدر على ثمنها ومع ذلك لسن أنيقات وآسفة لأننى ساضطر لأن أمدح نفسى واختى مرة أخرى لكنها الحقيقة والله عالم بكل شىء وأقول لك أيضا أننا مهذبتان وملتزمتان أخلاقيا ولم نعرف اللهو فى حياتنا .. أضف إلى ذلك أن « لساننا حلو » كما يقولون والجميع فى شارعنا « يحلفون » بحياتنا وأدبنا وخفة دمنا ولباقتنا .. فنحن « ظريفتان » فعلا والله العظيم وجاراتنا يحببن جلستنا وكلامنا ، وربما أكون قد أطلت فى وصف « مميزاتنا » لأقول لك أنه كان من الطبيعى مع هذه المؤهلات أن يكثر

خطابنا والراغبون فى الارتباط بنا .. وقد كثروا فعلا منذ أواخر أيام الدراسة الجامعية لكن شاء حظنا أن يكون كل من يقترب منا ويرغب فى الارتباط بنا دائما من علية القوم أى ابن موظف كبير فى درجة نائب وزير مثلا . أو ابن مدير كبير أو ابن رجل أعمال ينجذب كل منهم إلى واحدة منا .. ويقترب ويبدى اهتمامه ورغبته فى الارتباط بها ، ويطلب معلومات عنها ، فتفتح صدرها له وتعطيه مايريد من معلومات فما أن يعرف مهنة أبى حتى يطير ويختفى كأنه « فص ملح وذاب » . وتكررت هذه الحكاية معنا فى الجامعة .. وفى الأعمال التى التحقنا بها عدة مرات حتى أن اختى تركت شركة خاصة كان عملها مريحا ومرتبها جيدا خصيصا لهذا السبب . مع أن مهنة أبى شريفة وهى التى صنعت منا هاتين الفتاتين المتعلمتين الانيقتين اللبقتين اللتين يتهافت عليهما الخطاب ولقد تكررت هذه الحكاية معنا عدة مرات حتى بدأنا نتعقد .. وبدأنا نحكى لأمنا عنها ، لكن ذلك لم يؤثر ابدا على حبنا لأبينا واحترامنا له .. فهو مثال الأب الحنون الذى لا يبخل علينا بشىء .. وهو يدخر لكل منا منذ طفولتها مبلغا لكى يكون لنا ما نستند إليه عند الزواج .

ومع ذلك فقد أحس بمشكلتنا .. وقال لنا أنه ورث مهنته أبا عن جد وأن كثيرين يتصارعون للحصول على ترخيص كالترخيص الذى ورثه عن أبيه .. وانه لولا أن العمر تقدم به لفكر فى أن يستبدله بعمل آخر كالتجارة .. لكنه يخشى إن فعل الآن أن يخسر كل شىء لأنها ليست مهنته ولا يجيدها .. ولأنه لم يعرف فى حياته عملا آخر إلا هذا العمل . فأسرعنا أنا وأختى نقطع عليه كلامه ونقول له أننا فخورتان به

وأنه يكفى أنه ربانا وعلمنا تعليما عاليا .. وانتهى الموضوع عند هذا الحد .. لكن أزمتنا لم تنته .. فالمشكلة مازالت مستمرة .. ومازال من يقترب منا يسرع بالفرار بعد أن يعلم أما من يتقدمون إلينا ويرضون بمهنة أبى فيكونون دائما متزوجين لكنهم محتاجون إلى الحنان .. كما يقولون ! فماذا نفعل ياسيدى لكى ننال حقنا فى الزواج الطبيعى والسعادة هل نرغم أبانا وهو فى هذه السن أن يغير مهنته .. وهو مالا نرضاه له .. أم نتبرأ منه كما يفعل الأشرار وهو مالانرضاه لنفسينا ولدينا .. ولماذا يحمل الناس هذه النظرة الضيقة لبعض المهن الشريفة الضرورية وهل يمكن أن تقول كلمة لهؤلاء الذين يعرضوننا كل مرة لهذا الاحراج السخيف وأنت طبعا قد فهمت أن مهنة أبى الشريفة هى بمجال الدفن !

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : عند الانجليز مثل غريب يقول « من أحبنى أحب كلبى » .. أى من أحبنى بصدق فلسوف يحب كلبى بالتبعية لأنى أحبه ولأنه سيحب كل من أحبه حتى كلبى الصغير .. وفى الشعر العربى القديم بيت ظريف يقول فيه الشاعر :

« وأحبها وتحبنى ... وتحب ناقتها بعيرى ! »

بمعنى أن الحب قد امتد من الحبيبين إلى مطيتيهما فأحبت ناقتها بعيره .. وأحب بعيره ناقتها وأريد بذلك أن أقول لك ان من يرغب بصدق فى الارتباط بإنسانة رأى فيها حلم حياته وشريكة عمره لا يتوقف عند مثل هذه الاعتبارات .. بل يقبل بها وبكل ظروفها ويحب أعزاءها ويعتز بهم كما تحبهم هى وتعتز بهم .. وكل الشبان الذين اقتربوا

منكما ثم ولوا الأدبار بمجرد معرفتهم بمهنة أبيكما الشريفة والضرورية للحياة وإلا انتشر الطاعون والأوبئة فى المجتمع ، لم تتعد رغبة أحدهم فيكما حدود الاعجاب المبدئى بجمالكما .. لهذا لم يصمد الاعجاب للمفارقة التى يلمسونها بين مظهركما المغرى وبين حياتكما بحقائقها الاجتماعية التى لاتعيبكما لكنها تصدمهم .. ومشكلتكما الحقيقية ليست فى ذلك .. « لكنها إن صح تقديرى » فى تطلعكما الداخلى إلى الخروج من اطار حياتكما الاجتماعية إلى حياة أخرى تريان أن جمالكما واناقتكما يرشحانكما لها . لهذا أكثر الاقتراب .. وكثر الفرار .. لأن من اقتربوا كانوا دائما من رموز هذه الحياة التى تريانها جديرة بكما .. ولو كان الأمر غير ذلك لانجذب أيضا إلى جمالكما آخرون من دائرة الأسرة والحى الذى تقيمان فيه ولابد أن هناك فى دائرة الأسرة المحيطة بكما شبانا جامعيين من غير الباحثين عن الحنان يعجبون بجمالكما وظرفكما ومؤهلاتكما التى تنال تقدير سيدات الحى كما تقولين ولو حدث ذلك لما واجهتما المحنة كل مرة .. لأن من يقترب منكما سيكون بكل شىء يعلم قبل الاقتراب . على أية حال لاتقلق فانتما مازلتما فى أول الشباب .. وستأتى فرصكما تجرى .. والجمال فى النهاية تاج يجذب إليه الكثيرون وقد أضفتما إليه مؤهلات أهم منه كالالتزام واللباقة والذكاء الاجتماعى وحلاوة اللسان .. لهذا سيأتى فارس الأحلام الذى يرغب فيكما بصدق ويرتبط بكما عاطفيا . والارتباط العاطفى الصادق هو الذى يصمد لأية مفارقة ويتحداها .. وحبذا لو كان من محيطكما العائلى أو الاجتماعى لأن التكافؤ الأسرى من أهم مقومات الزواج الناجح .. ولأن من

لايقبل بكما وبكل ظروفكما عن اقتناع صادق وحقيقى وليس عن ضعف عابر أمام الجمال لن تسعدا معه ولن تجدا عنده ما ترغبان فيه من أمان واستقرار .. وكل آت قريب بإذن الله .

الوجه الضاحك

أنا ياسيدى شاب فى الثانية والعشرين من عمرى أدرس بإحدى كليات الصعيد وأقيم مع أسرتى فى إحدى المدن الصغيرة القريبة. من عاصمة الإقليم وخلال الدراسة أسافر كل يوم إلى كليتى وأعود قرب المساء فأنعم بجو عائلى حميم فأبى يعمل موظفا بإحدى المصالح الحكومية فى نفس العاصمة ويذهب لعمله كل يوم معى وقد يمضى أياما فى استراحة المصلحة كل فترة، وأمى سيدة بيت متعلمة أثرت رعاية بيتها على العمل ولى شقيقة متزوجة فى نفس المدينة وشقيقة أخرى صغرى تدرس بالمرحلة الاعدادية، وشقيق أكبر تخرج فى كليته الاقليمية وعمل فى مدينة أخرى قريبة وأصبح يزورنا فى نهاية الأسبوع فيشتعل البيت مرحا وبهجة بمجرد عودته فهو من هذا النوع من البشر الذى لايعرف فى حياته إلا المرح والدعابة والابتسام مع استقامته وتدينه ومواظبته على الصلاة وكان دائما الوحيد الذى لايستطيع أبى المعروف بجديته وتحفظه أن يقاوم دعاباته المهذبة فى حدود الاحترام فإذا أحس بأن وقاره فى خطر صاح به وهو يغالب الضحك «اسكت أيها المهرج» فيسكت لأنه يكن له احتراما عميقا ويقول لى دائما عنه أنه أب عظيم

ويعتبره مثله الأعلى فى الاستقامة وحسن السمعة واحترام الأهل والناس له ، كما أنه أب عادل لا يفرق بين ابنائه ولايقبل الظلم لأحد ، أما أمى فإن فراملها تسيب بمجرد أن ترى وجه أخى الضاحك وهو قادم إلى البيت ظهر يوم الخميس حاملا معه حقيبة ملابسه الصغيرة لكى يستبدلها بملابس نظيفة .. وحاملا معه « هدية » للأسرة من مدينته ولابد أن تكون دائما شيئا غريبا يثير التعليق والابتسام .. فمرة يأتى إلينا حاملا من مدينته كمية من البطاطا المتوافرة فى مدينتنا ! ومرة أخرى حزمة من القصب الذى يملأ مدينتنا .. ومرة ثالثة كيسا هائلا من « الشيبسى » مع أن تحت بيتنا محلا للبقالة به أكوام منه .. وذات مرة لم يجد ما يشتريه فجاءنا بجوال من الفحم ! صادف رجلا يحمله قرب بيتنا فاشتراه منه حتى لا يدخل إلينا بيده خالية .. ولكى « تثمر » فينا هداياه فى المستقبل كما كان يقول !

وفى كل مرة لابد له من قصة حدثت فى القطار وهو فى طريقه إلينا فيرويها لنا ونحن نتناول طعام الغداء وتنفجر جنوبنا من الضحك . وفى هذا وغيره يمضى معنا يومى الخميس والجمعة ، ولاينسى فى كل أسبوع أن يزور شقيقتى المتزوجة ويتحفها بهداياه المبتكرة وان يطمئن على دراسة أختى الصغرى ودراستى ويسألنى ويسألها دائما هل نحتاج إلى نقود ويبدى استعداده دائما لأن يعطينا مانريد مع أن راتبه صغير وينفق معظمه على السكن الذى يتقاسمه مع اثنين من زملائه وعلى المواصلات .. فنعتذر دائما شاكرين لأن أبى لايقصر فى حقنا والحمد لله ..

وفى أحد أيام الخميس السعيدة هذه قبل امتحانى بشهر واحد .. جاءنا أخى من مدينته حاملا معه غرائبه المعتادة من عرقسوس وفول سودانى وكركديه مؤكدا أنها من أنواع خاصة غير التى نعرفها فى مدينتنا ولم يكن أبى فى البيت لأن عمله اقتضى ان يمضى نهاية الأسبوع فى عاصمة الإقليم فانطلق أخى على سجيته وجلسنا بعد تناول الغداء وسماع القصة التقليدية نشرب الشاى ونتسامر .. فتألق أخى أكثر من أى مرة فى اسعادنا واضحاكنا حتى دمعت عينا أمى واختى من الضحك .. وعجزت أنا عن ملاحقته .. فرجونه أن يخف قليلا ، فنهض مغادرا الحجرة إلى غرفة نوم أبى ثم عاد بعد قليل حاملا معه مسدس أبى القديم الذى يحتفظ به فى دولاب ملابسه والذى لم يستخدمه منذ ٢٠ سنة ، ويجدد رخصته كل عام ، لأنه كان فى شبابه مطلوبا بثأر ثم مات طالبه وامن على نفسه واستراح وحمل أخى المسدس الخالى من الطلقات منذ ٢٠ سنة وراح يداعبنى به فيسدده إلى ثم يطلق الزناد .. مرة ومرتين وثلاثا فانصرفت عن أخى بنظرى قليلا لاتابع التليفزيون ومل هو اللعبة فجلس قريبا منا ينظف المسدس القديم .. وانشغلنا عنه بمتابعة التليفزيون عشر دقائق فإذا بنا نفيق على صوت رهيب وصرخة هلع مروعة .. ونرى أمام أعيننا ابشع منظر يمكن ان يراه إنسان .. فلم ادر ماحدث إلا من خلال صراخ أمى وأخى الذى يمزق القلب وهما يريان وجه الضاحك وقد غطته الدماء وتجمد من الرعب وبعد ساعات قليلة ياسيدى من هذه الجلسة التى بدأت سعيدة كان أبى قد جاء مهرولا من العاصمة يتعثر فى مشيته ويحيط به اشقاؤه وأقاربه .. وكان

بيتنا قد امتلأ بالناس عن آخره ..

وكنت أنا واقفا بين اليقظة والغيبوبة إلى جوار أبى وأعمامى وأقاربى أمد يدى لاصافح بلا وعى من جاءوا ليشاركونا هذه المصيبة .

وخيم السواد على بيتنا السعيد .. وخلا من معظم أهله .. فلقد نقلت أمى إلى المستشفى لاصابتها بصدمة عصبية شديدة .. وضم عمى شقيقتى إلى أسرته ليبعدها عن بيتا وألح على أبى وعلى أن نقيم معه عدة أسابيع فرفض أبى ورفضت أنا أن اتركه وحده وسط اشباح الذكريات السعيدة وجاءت شقيقتى المتزوجة لتعيش معنا عدة أيام وتقاسمنا هذه الحياة الكئيبة وبعد شهر خرجت أمى من المستشفى ذابلة الصحة متهدمة كأنما زاد عمرها عشرين عاما فما ان خطت إلى داخل البيت الذى أخلى بسرعة من كل شىء يخص أخى الراحل ـ رحمه الله ـ حتى انتابتها نوبة من الصراخ والعويل والهياج فأمرنى أبى أن أحملها حملا إلى بيت شقيقتى وتعاون معى فى نقلها عنوة إليه .. ومن هناك طلب شقيقها المقيم فى المنيا ودعاه لأن يحضر مع زوجته ليصطحباها إلى بيتهما لفترة حتى تهدأ أعصابها .

أما شقيقتى الصغرى فلقد ذهبت إلى امتحانها من بيت عمى .. ووفقها الله فى اجتيازه رغم الآلام .. وأما أنا فقد ذهبت بعدها إلى امتحانى بعقل غائب فأحاطنى اساتذتى وزملائى بعطفهم ورعايتهم .. وجاءنى أحد أسدتذتى المقيمين فى عاصمة الاقليم وكان أحبهم إلى حاملا فى يده زجاجة كوكاكولا وجلس بجانبى وأمرنى أن اشربها وحدثنى طويلا عن القضاء والقدر وضرورة الاستسلام لأمر الله ..

وطلب منى ان أقرأ الفاتحة على روح أخى كلما تذكرته وان أقرأ له سورة « يس » كل صباح .. وأبلغنى ان الميت يتعذب فى قبره ببكاء أهله عليه .. وان أفضل ما اقدمه له هو أن أحقق له احلامه بنجاحى فى الامتحان وبرعاية شقيقتى وأبى وأمى وكان يحدثنى وهو مبتسم وغلالة من الدموع فى عينيه لأنه مجروح بفقد إحدى بنتيه فى حادث تصادم منذ عامين وكثيرا ماحدثنا فى بعض محاضراته عن محن الحياة وضرورة أحتمالها .. فشكرته من قلبى ودعوت له .. فدعا لى بالتوفيق وغادرنى .. وأوصى المراقبين بحسن معاملتى وكان يجيئنى كل يوم طوال الامتحان ليطمئن على أحوالى حتى انتهى الامتحان .. وفوجئت بنجاحى بتقدير مقبول مع أنى كنت يائسا تماما من النجاح .

ولم افرح بنجاحى كما لم تفرح أختى بنجاحها .. فقد غابت البهجة عن بيتنا إلى الأبد وأصبح صامتا موحشا وأصبحت الحياة شديدة المرارة فى فمى .. ثم تضاعفت مرارتها حين عرفت بعد أسابيع من الكارثة ماجاء بتقرير الطبيب الشرعى عنها .. فقد أكد أن المسدس الخالى كانت به طلقة محشورة منذ ٢٠ عاما ظلت كامنة فيه طوال هذه السنوات وأنها فى هذه الحالة لاتستجيب للانطلاق عند أول ضغطة على الزناد .. وإنما تنطلق إذا ضغط الإنسان عليه عدة مرات فتسخن من جديد وتنطلق !

وحين علمت ذلك تعجبت مما تفعله بنا الأقدار .. لقد سدد أخى المسدس إلى وضغط على الزناد عدة مرات وهو يداعبنى وكان من المحتمل فى كل مرة أن تستيقظ الطلقة من سباتها فتختارنى لكن القدر

اختاره هو ليضع هذه النهاية الأليمة لحياته القصيرة الباسمة .. وليخطف الفرحة والسعادة من قلوبنا إلى الأبد فلماذا اختارته ولم تخترنى وما معنى هذا ياسيدى ؟

لقد تضاعف عذابى عندما علمت بهذه الحقيقة وما أكثر ماتمنيت فى أعماقى لوكانت هذه الطلقة قد استجابت فى المرات الأولى فاصابتنى ونجا هو لكن ماذا أقول فيما أراده الله لنا .. وماذا أفعل لكى اخفف عن أبى وأمى واختى ، ولكى استطيع احتمال الحياة التعسة !؟ وقد رفعنا كل شىء يذكرنا به من البيت .. واصبحنا نتجنب ذكر اسمه .. ولايجرؤ أحد على أن ينطق به .. مع أنى أشعر فى كثير من الأحيان أنى أريد أن اتحدث عنه ، لكنى احجم اشفاقا على أبى .. لقد أصبح من كان لاتمضى لحظة دون أن يتردد اسمه فى البيت مقيما أم غائبا .. اسما ليس من الرحمة أن يذكره أحد فهل هذا عدل وماذا أفعل وأنا لا أنام سوى لحظات قلقة كل ليلة منذ خيم الظلام على عشنا القديم ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : ازاء تصاريف القدر لايملك الإنسان ان يسأل لم .. أو لماذا .. أوكيف ....؟؟ وإنما عليه أن يقول دائما شاء الله وكما شاء فعل وأراد جل شأنه ولاراد لقضائه فلا تسرف على نفسك فى هذا الأمر ، وتشاغل عنه بالاندماج فى الحياة الاجتماعية من حولك ، وبالصبر والصلاة والرضا بقضاء الله وقدره وهو من أركان الإيمان .

إن الأحزان ياصديقى ككل شىء فى الحياة لها أطوار فتبدأ قوية ثم تعلو إلى مرحلة « الأوار » المستعر .. ثم تبدأ فى الانكسار بعد حين وتخبو

شيئا فشيئا .. حتى تتحول إلى جذوة دافئة بالألم الإنسانى النبيل وهذه الجذوة هى التى تستقر فى النهاية فى أعماقنا وتترك علينا بصمتها فتصبح كالندوب أو اثار الجروح القديمة وتكمن فى داخلنا إلى أن يستدعيها داع جديد من احزان الحياة فتطل برأسها من جديد أقل حدة وأكثر احتمالا ، ولقد علمتنا التجارب الأليمة إننا نستطيع ان نحتمل حياتنا وفى أعماقنا هذه الندوب وان من واجبنا تجاه انفسنا ألا نضاعف خسائرنا القدرية التى لاحيلة لنا فيها بخسائر اضافية أخرى نملك لو أردنا ألا نتكلفها .. كالخسائر الصحية والنفسية والاجتماعية التى نخسرها بالاستسلام للأحزان بلا مقاومة .

وأنت ياصديقى فى مرحلة الأوار المشتعل اعانك الله عليها وليس هناك وقت يحتاج فيه الإنسان لأن يتجلد أكثر من هذه المرحلة .. لهذا قال رسولنا الكريم « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » أى ونحن نعانى من هذا اللهيب القاسى الذى يدمر النفس والروح والصحة .. فاصبر وتجلد . وحبذا لو استطعت أن تمارس خلال هذه الاجازة الصيفية عملا بدنيا مرهقا يعادل معاناتك النفسية ويخفف من أضرارها ويسلمك إلى الفراش .. لتحظى بساعات من النوم كل ليلة . ولا بأس بعد ذلك بأن تتخطى حاجز الصمت الذى نخطئ دائما فى أعقاب التجارب الأليمة فنفرضه على ذكر اعزائنا الراحلين تجنبا لتجديد الأحزان .. فالحق ان تذكرهم والحديث عنهم مع أحبائهم وأصدقائهم يخفف عنا بعض آلامنا المكتومة .. فتحدث عنه بلا حرج مع أصدقائك ومع اصدقائه واعتز بذكراه واحمل له دائما أجمل

الذكريات .. وحقق له أحلامه الموءودة التى لم يمهله العمر لتحقيقها .. بتحقيق أهدافك أنت فى الحياة وبرعاية أسرتك وبالحفاظ على علاقات المودة والتراحم التى تجمع أفرادها .. عسى ان يأذن الله لطائر السعادة بأن يعود إلى بيتك الحزين مرة أخرى .. ولو بعد حين ..

الخيـــوط الحـــريريـــة

منذ أن وعيت للحياة لم أعرف لى أما ولا أبا ولا عائلة ... وإنما سمعت الجميع يقولون انه كان لى بيت وأب وأم ككل الأطفال ثم انهار البيت على من فيه فلم ينج من أهله سواى وعمرى عامان فضمنى بعض الجيران إليهم ونشأت بينهم وقمت بخدمتهم والحقونى بالمدرسة حتى بلغت الثانية عشرة من عمرى ثم وجدت نفسى مرة أخرى وحيدا تماما فى ظروف لا أحب أن اتذكرها .. فخرجت إلى الحياة صبيا وامضيت الليالى نائما بلا غطاء فى مستودع للأخشاب وفى الصباح أذهب إلى مدرستى ثم أعود فيها إلى العمل ومضت بى الحياة هكذا انتقل من عمل إلى عمل .. واكسب رزقى .. واذاكر دروسى واؤدى امتحاناتى وأنا وحيد تماما فى الحياة كشجرة نبتت خطأ فى الصحراء القاحلة إلى ان التحقت بكلية التجارة وبلغت من العمر العشرين .. ومازلت أواصل دراستى بنجاح .. واكسب ما يكفى متطلبات حياتى البسيطة ونفقات تعليمى ومظهرى كطالب جامعى .. ثم بدأت تلح على منذ شهور أمنية طالما تخيلتها فى أحلام اليقظة وتجسدت لى فى أحلام الليل كأنها واقع جميل .

فلقد تمنيت دائما ياسيدى ومنذ كنت فى سن الثانية عشرة أن يكون لى أم توقظنى فى الصباح لأذهب إلى المدرسة .. وتصنع لى بعض الساندوتشات وتنهرنى لأشرب كوب اللبن .. فأشربه متأففا من مذاقه الذى لا أحبه ، ثم أحمل كتبى وأودعها وأذهب إلى مدرستى نشيطا مبتهجا ، وأعود إليها فى الظهر فأجدها فى انتظارى لتسألنى عما فعلت فى يومى وأروى لها عما أسعدنى أو ضايقنى من زملائى أو من المدرسين .. وأتناول طعام الغداء الذى صنعته لى بيديها .. وانتظر كوب الشاى لأشربه ثم أبدأ مذاكرتى لدروسى وعندما يتقدم الليل أجلس إلى جوارها لأشاهد معها برامج التليفزيون وأرجوها كل ليلة أن تدعنى أسهر هذه المرة بعض الوقت مع وعدى لها بأنى سأصحو فى موعدى .. فترفض بإصرار .. وتدفعنى دفعا إلى فراشى بمزيج من الحنان والحزم وتغطينى فى ليالى الشتاء .. وأحس بدفء أنفاسها وأنا نائم كلما جاءت لتحكم وضع الغطاء حولى .

واتمادى فى أحلامى فأراها فى ليالى الامتحان تسهر بجوارى وتودعنى بدعواتها فى الصباح وتنتظرنى بلهفة عند العودة وتفرح وتزغرد البهجة فى وجهها حين أزف إليها خبر نجاحى فلقد نجحت مرارا وتكرارا ياسيدى فلم أجد من أبلغه خبر النجاح .. ولا من أعود إليه بالخبر وأنا اتوقع أن أسعده به .. وكنت أعود من المدرسة وقد علمت بنجاحى إلى عملى فلا انطق بحرف عنه ولا يسألنى أحد عن النتيجة إلا مصادفة وبعد ظهورها بأسابيع انى لا أعرف لماذا تلح على هذه الخواطر الآن فأتذكر فجأة إنى لم أقل لأحد أبدا طوالى حياتى يا أمى أو يا أبى أو

يا أخى ولا أعرف لماذا اشتدت حاجتى العاطفية الملحة هذه وأنا فى سن العشرين إلى أم تحنو بل وتقسو على أيضا من أجل مصلحتى فى حين أن بعض زملائى يضيقون بقيود أبائهم وأمهاتهم .. ويتمنون ان يكونوا « احرارا » من هذه القيود . أهكذا الدنيا دائما ياسيدى تعطى البعض مالا يحسبون بقيمته .. وتحرم البعض مما يكونون أكثر الناس ادراكا لقيمته ! أننى اسمع هذه الشكوى واتعجب لأننى « اتمتع » بهذه الحرية اللعينة منذ صباى وأتمنى من كل قلبى لو استبدل الله قيودا عائلية حبيبة بها .. لكن ماذا أقول أكثر من أن ارادة الله فوق الجميع دائما .. إننى اكتب إليك لأطلب منك طلبا قد يبدو غريبا لكنه لا يعرف أهميته إلا من عاش مثل ظروفى .. إننى أريد أمًّا تهتم بأمرى .. و « تشخط » فى إذا رأت فى سلوكى ما لاترضاه لى .. وان كان سلوكى ـ والحمد لله ـ قويما لأنى تحملت مسئولية حياتى منذ صغرى فلم أجد وقتا للعبث فهل تستطيع مساعدتى فى تحقيق هذا الطلب .. أننى لا أريد منها أية مسئولية مادية عنى لأنى أعمل واتكفل بنفقات حياتى وإنما أطمع منها فقط فى الرعاية الروحية والعاطفية لمن كتبت عليه الأقدار أن يحرم منها فهل يمكن أن أجد من تتبانى روحيا وتسمح لى بزيارتها من حين إلى آخر .. وتتابع تقدمى فى دراستى .. وتفكر معى فى اختيار شريكة حياتى فى المستقبل وتسمح لى بأن انتسب إليها وأن أدعوها أمام الآخرين ولو مرة واحدة فى عمرى « يا أمى » ؟ لقد قرأت فى بعض الرسائل عن أمهات يشكين من انشغال ابنائهن عنهن بحياتهم وأنا لا شىء يشغلنى عن الاهتمام بأم فهل يمكن أن يتحقق هذا الأمل .. أم ترى أنى قد

استسلمت لأحلام اليقظة حتى افسدت على تقديرى للأمور ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : لا ياصديقى لم تسرف فى أحلامك . ولم يختل تقديرك بل عبرت ـ بصدق يؤلم ـ عن آفة الإنسان الذى قال عنه شكسبير فى رائعته هاملت أن العادة تخلق عنده أحيانا الشعو بالاستخفاف فلا يعرف للأشياء قيمتها الحقيقية مادامت متاحة له وفى متناول يده ومن حقائق حياته .. ورسالتك تصور هذا الخطأ البشرى أصدق تصوير وأنت تتحدث عمن يضيقون بقيود الأهل الحريرية غير مدركين أنها قيود مجدولة من خيوط الاهتمام الإنسانى الذى يفتقد آخرون .. وان هذا الاهتمام ميزة يتمتعون بها وليس « ألما » يشكون منه .. فالإنسان يحتاج دائما إلى من يهتم بأمره خاصة فى سن الصبا والشباب فعسى أن تنزل رسالتك المؤلمة هذه ماء باردا فوق رءوس من لايفهمون دوافع هذا الاهتمام .. ولا يقدرنه حق قدره وعسى أن استطيع ان احقق لك ماتتصوره حلما من أحلام اليقظة فما أكثر من يسعدهم الاهتمام بأمر شاب محروم مثلك .. وما أكثر من يرون فيه عبادة وقربى لله وتعويضا لهم عن جراح الحياة الدامية .

الصفحة الجديدة

أنا سيدة فى الخامسة والعشرين من عمرى متزوجة من رجل فى مثل عمرى جمعتنا قصة حب عنيفة وطويلة التقينا فيها فى صبانا فكبرنا معا وكبر حبنا معنا .. وأحببته وهو لم تتكون بعد معالم شخصيته وأحببته بكل عناصر شخصيته التى اكتملت وأنا معه فتقبلته بعيوبه وتقبلنى بما أنا عليه وأصبحنا لانستطيع أن نفترق وتزوجنا بعد صراع طويل مع مشاكل المراهقة ومع الأهل الذين بدأ القلق يساورهم تجاه مستقبلنا بسبب حبنا . وأنجبنا ولدا أصبح الآن فى التاسعة من عمره وبنتا فى السادسة وأتم الله نعمته علينا بالرزق الحلال وأنعم علينا بالصحة فأصبحنا بنعمته أسرة سعيدة والحمد لله فزوجى يحبنى جدا ويمتدحنى فى كل مناسبة ويقول دائما أنه لا يرى فى عيبا يمكن أن يشكو منه وأنه لو لم يتزوجنى لما طال له زواج وأنا من ناحيتى لايشغلنى فى حياتى شىء سوى أن أرضيه وان أحافظ على الحب الذى يجمع بيننا .. وأنا متوسطة الجمال وجامعية وعلى قدر من اللباقة وعلاقتى بأهله طيبة جدا .. ومنذ ٣ سنوات أصبح لزوجى عمل خاص به وبدأ عمله ينجح ويستقر فبدأت اعراض الخيانة تظهر عليه لأول مرة ! فارتبط باحدى

سكرتيراته وكانت فتاة مخطوبة .. وعلمت بارتباطه بها وكانت أول خيانة وصدمة غير متوقعة مع كل مايجمع بيننا من حب فهزت كيانى من أعماقه وكدت أفقد عقلى بسببها وبدأت رحلة العذاب والشك والغيرة وعدم الثقة فى نفسى وفى زوجى وبدأ زوجى يعانى منى ومن ملاحقتى له فى التليفون .. ومن رفضى لأية مبررات يقدمها لتأخره فى أى مشوار رغم علمى بأن ذلك ليس امرا صحيا لزواجنا وانتهت المحنة أخيرا بزواج السكرتيرة من خطيبها .. وبدأت التقط أنفاسى وأحاول أن أنسى ما حدث فإذا بزوجى يلطمنى لطمة أخرى كدنا ننفصل على أثرها .. وكانت « البطلة » هذه المرة أيضا مرتبطة حتى أننى شككت فى أنه يتعمد اختيار البطلات كذلك حتى لايتورط معهن فى زواج أما أكثر ما يحيرنى فى هذا الأمر فهو أن كلا منهما تعلم تماما منزلتى عنده وأنه لايستطيع الابتعاد عنى أو الزواج منها ومع ذلك يقبلن اقامة علاقات معه وبعد عذاب أطول انتهت المشكلة واقسم زوجى بالطلاق أنه قد انهى الأمر .. وأنه اذا كرر فعلته مرة أخرى فستكون النهاية بيننا واسترحت لذلك قليلا وبدأت استرد ثقتى فيه فإذا به يعود إلى نفس الأمر ومع نفس الفتاة ! فقررت الانفصال عنه وطلبت منه مغادرة البيت تمهيدا للطلاق .. وخرج زوجى بالفعل دون أن يحاول ترضيتى أو الدفاع عن نفسه تاركا لى أن أقرر ما اختاره لينفذه متظاهرا بالبراءة .. وفعلا غادر البيت لمدة يومين فأحسست بافتقاده وبعدم قدرتى على تربية الطفلين وحدى وبعجزى عن ان أتحمل شوقهما له وسؤالهما عنه خاصة أنهما يحبانه وهو يحبهما .. وتدخل بعض الأصدقاء بيننا وقرروا أن نبدأ

صفحة جديدة وعاد زوجى إلى البيت واقسم لى أنه يحبنى وانه لايستطيع ان يعيش بدونى وبدون أولاده .. وهو لايكذب فى ذلك وأصدقه فيه لكن المشكلة هى فى الصراع المحتدم الآن بين قلبى الذى يعشقه وبين كرامتى التى جرحها وكبريائى الذى حطمه .. لقد صدقته لكنى لم أثق فى أنه قد أنهى الأمر تماما خصوصا ان هناك بعض « العلاقات » التى تثير قلقى وتشعرنى بالإذلال لأنى لم أصمد ولم انفذ تهديدى له بالطلاق إذا عاد لخيانتى .. وأحس أن تأكده من أنى غير قادرة على تركه يجعله يتمادى فى غيه وهو يعرف أن الأمر لن يكلفه سوى اظهار مزيد من الحب لى والتقرب منى .. خاصة أنه يعتبر هذه العلاقات عابرة لاتؤثر على علاقته بى وبأولاده لكنى لست راضية عن حياتى معه بعد كل ما عانيته من آلام نفسية ومن جنون الغيرة والشك فى الأزمات السابقةوأريده أن يعلم ان ما يفعله هو كفر بنعمة الله عليه .. وأننى أشعر أحيانا بالخوف من أن ينتقم الله منه لذلك فى عزيز من أعزائه وأشد ما أخاف منه أن يكون هذا العزيز لا قدر الله أحد طفلينا .. كذلك أريده أن يعلم أن من يساعد فتاة أو سيدة على أن تتلاعب بعرض خطيبها أو زوجها قد يعاقبه الله بمن يعتدى على عرضه كذلك أريد أن توجه كلمة شديدة إلى هؤلاء الفتيات اللاتى يلهثن وراء الرجال المتزوجين لأنه لولا أن هناك من ترضى بأن ترتبط برجل متزوج ماكان هناك أزواج خائنون .. وارجو أن تشفى كلماتك غليلى .. وان يجد زوجى النصح عندك .. والسلام .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : فى كلماتك المحترقة بنار الحنق كل

الكفاية ، فمهما نسجت من كلمات لن استطيع أن اشحنها ببعض هذا « الغل » الشعورى الذى تتأجج به كلماتك لهذا سأتجاوز عن هذه النقطة إلى نقطة أهم وأقول لك ان هناك مثلا عربيا قديما يقول « ان ذكر الجفاء فى الصفاء .. جفاء !» وأنت ياسيدتى قد فتحت مع زوجك صفحة جديدة وعاد هو إليك مقسما يمين الولاء بين يديك .. وتأكدت أنت خلال غيابه أنك لن تطيب لك الحياة بعيدا عنه فلماذا تجترين الآن أسباب العذاب بعد أن عفوت عما سلف !

إننى معك تماما فى ان مايسميه علاقات عابرة هو اثم لاشك فيه وبطر بنعمة الله عليه وكفر بهذا الحب العظيم الذى يظلل حياته .. بل وأخشى أن أقول انه صورة أخرى مما يفعله البعض حين تستقر أحوالهم المادية « فيشكرون » الله على نعمته بالاجتراء على حدوده بدلا من شكره بطاعته واتقاء غضبه .. والا فلماذا لم تظهر عليه هذه الأعراض إلا بعد أن أصبح له عمل خاص وأصبح له سكرتيرات يستطيع أغواءهن ! لكنى لن أطيل فى هذه النقطة والا لعدت على رغمى إلى أسباب الجفاء التى أدعوك لتجاوزها .. لهذا فأنى أقول لك مرة أخرى أنك قد فتحت معه صفحة جديدة .. فحاولى أن تصدقيه وأن تغفرى له ضعفه البشرى وهناته .. وألا تسمحى للغيرة الجامحة بأن تفسد عليك حياتك وسلامك النفسى لأن الغيرة وحش يلد نفسه بنفسه ولايحتاج أحيانا إلى علامات أو شواهد لكى يطل برأسه فيلتهم أسباب السعادة ووحش الغيرة يلد وحشا آخر هو القلق النفسى الذى يؤدى إلى توتر الأعصاب وحدة المزاج فلماذا تفتحين على نفسك أبواب الجحيم ..

وكيف يرضى لك هو بكل هذه المعاناة وأنت رفيقة قلبه منذ عزف أولى أنغام الحب !

فانسي ماجرى لكى تهنأ لك الحياة .. وساعديه على الالتزام الخلقى بك وبأسرته باشعاره انك قد استعدت بعض ثقتك فيه . لأن سوء الظن الدائم قد يدفع المرء أحيانا إلى الخطأ مهونا الأمر على نفسه بأنه متهم فى كلا الحالين سواء أخطأ أو لم يخطئ .. واصبرى عليه قليلا فسوف يعود إلى رشده عاجلا أم آجلا فمن لم يلتزم بالحب التزم بغيره من غوائل الحياة التى تعلم الإنسان مالم يعلم .. حماه الله من أجلك وحماك منها مع تمنياتى لك براحة البال .

الهـالات السـوداء

منذ تفتحت مداركى اكتشفت أننى لست طفلا ككل الأطفال .. وإنما مشكلة عائلية ! فلقد اختلف أبى وأمى وانفصلا بالطلاق وعمرى ٤ سنوات فعادت أمى إلى بيت جدتى وبدأ أبى يزورنى مرة كل أسبوعين فيجلس فى محل البقالة الذى يقع أسفل البيت ويرسل صبى المحل لاستدعائى فأخرج معه خائفا أن اظهر فرحتى تجنبا لنظرات أمى العاتبة .. وبعد عودتى أخضع لاستجواب دقيق منها ومن جدتى ماذا قال لك وماذا فعل .. وهل بدا سعيدا أم تعيسا إلخ .. وقد ازداد جو بيت جدتى قتامة وانخرطت أمى وجدتى فى بكاء طويل وعرفت بعد قليل أن أبى تزوج وبعد عام من زواجه بدأت روح جديدة تسرى فى البيت فجدتى تجدد الصالون المتهالك .. وأمى وخالى يستغرقان فى أحاديث هامسة طويلة .. ثم جاء إلى البيت رجل طويل أنيق حاول أن يتودد لى فشعرت بنفور غريب منه .. وبعد قليل انتحت بى جدتى جانبا ومهدت لحديثها معى بأننى قد أصبحت « رجلا » ويجب أن أواجه الواقع ، أما هذا الواقع الذى كان على أن أواجهه وأنا « رجل » فى السادسة من عمره فهو أن أمى سوف تتزوج وتنتقل إلى بيت هذا الرجل

الطويل أما أنا فسابق مع جدتى لأونس وحدتها .. ثم سرعان ماخلا البيت من أمى الحبيبة كما سبق أن خلت حياتى من أبى بعد انشغاله عنى بزواجه وبعد شهور اصطحبنى خالى لزيارة أمى فى المستشفى فقدمت لى مولودا صغيرا عرفت أنه أخى الجديد ثم جاء أبى بعد أسابيع لزيارتى وفى يده طفلة صغيرة عرفت أيضا أنها أخت جديدة لى .. وعشت طفولتى فى بيت جدتى الحزينة دائما لسبب لا أعرفه اتلهف على موعد زيارة أمى لى كل أسبوعين وموعد زيارة أبى لى كل عدة أسابيع .. واتشوق إلى رؤيتهما ورؤية أخوتى الجدد وليس من حقى زيارتهما فى بيتيهما تجنبا للاحراج .. وعندما وصلت إلى السنة الأولى الثانوية رحلت جدتى عن الدنيا .. وانفض المعزون فجلست أمى وخالى وأبى والأقارب يتدبرون أمرى بعد أن أصبحت مشكلة للجميع .. وأن نسيت كل شىء فى حياتى فلن أنسى هذه اللحظات القاسية وأقرب الناس لى يلقى كل منهم عبئى الثقيل على الآخر فتقترح أمى ان يضمنى أبى فيرفض لأن شقته ضيقة وزوجته موظفة ولن تتحمل ثم يعرض هو عليها أن تضمنى إلى أسرتها ويدفع نفقتى فتقول صراحة أن زوجها لن يستريح لى كذلك وأنها مثقلة بالأعباء .. وهكذا ظلوا يتناقلوننى كالكرة وأنا جالس صامت أحس بهوان الدنيا كله ولا أملك أن أقرر مصيرى إلى أن استقر رأيهم على أن أبقى وحدى فى شقة جدتى القديمة وان أعتمد على نفسى لأنى « رجل » فى الخامسة عشرة من عمره ! فتقبلت قرارهم صامتا ولم يكن لى طلب سوى أن يسمحوا لأخوتى الذين أحبهم بأن يزورونى من حين إلى آخر ليخففوا من وحدتى .. وواجهت حياتى

بمصروفى الشهرى الصغير الذى كان يعطيه لى أبى .. وعرفت جفاف الحياة فى أقسى صورها وأصبحت مسئولا عن دراستى وطعامى وملابسى وتنظيف البيت وليس لى مورد سوى خمسة عشر جنيها كنت أفعل المستحيل لكى أعيش بها .. فكانت تمضى أيام طويلة لا أطعم فيها سوى الخبز والحلاوة الطحينية ومع ذلك فلقد كنت أرفض دعوات خالى للغداء عنده خجلا من زوجته ومن رثاثة ملابسى .. واعتصمت بالصبر والصلاة وتلاوة القرآن كلما ضاقت بى الدنيا أو كلما استشعرت الخوف فى الليالى الباردة فى الشقة القديمة .. ووجدت فى الصلاة عزائى وسلواى .. فكنت كلما ضاق صدرى قمت إلى الصلاة وأطلت التلاوة بصوت متهدج .. حتى إذا سجدت لله انهمرت دموعى بغزارة وبللت السجادة .. وشعرت بعدها بالراحة إلى أن جاء خالى ذات يوم وأنا أصلى وكان يحمل مفتاحا للشقة ولم أشعر به إلا بعد أن انتهيت من صلاتى فإذا به جالس إلى جوارى يرقبنى ودموعه تتساقط على خده ثم ينهض فيحتضننى ويقبلنى ويطلب منى الصبر ويؤكد لى أنه ما وافق على بقائى بالشقة إلا لكيلا يضيع حقى فيها وانه يسعى لتغيير عقدها باسمى لتكون ضمانا لى للمستقبل . وصدق خالى الطيب فى وعده فجاءنى بعد أيام واصطحبنى إلى بيت صاحبة البيت وقدمنى لها فرحبت بى بعطف وشدت من أزرى وطالبتنى بزيارتها كلما استطعت وغيرت عقد الشقة باسمى .

وكنت أدرك أن ظروفى لاتسمح لى بأى تهاون فركزت جهدى فى دراستى ونجحت بتفوق فى الثانوية العامة والتحقت بكلية الهندسة وبعد

التحاق بها ازدادت قسوة الحياة على بسبب نفقاتها فخرجت للعمل صبيا فى نفس محل البقالة الذى كان أبى يرسل صبيه لاستدعائى . ووفقنى الله فى احتمال كل ظروف حياتى وحمانى من الانحراف رغم معيشتى منفردا فى شقة واسعة وتخرجت واديت الخدمة العسكرية والتحقت باحدى شركات القطاع العام وقبضت أول مرتب لى فحرصت على شراء هدايا صغيرة لأخوتى من أبى وأخوتى من أمى وزرتهم وطالبتهم بألا يغيبوا كثيرا عنى وتفرغت لعملى بجديتى التى اعتدت عليها منذ الصغر فأصبحت بعد عدة سنوات رئيسا لأحد أقسامها وجاءتنى فرصة العمل فى الخارج فاعتذرت عنها لأنى قد شبعت من الوحدة ولست فى حاجة إلى المزيد منها .. ثم كلفتنى الشركة ذات يوم بانهاء بعض معاملاتها فى إحدى المصالح الحكومية فترددت عليها كثيرا فتعرفت على من بيدهم الأمر .. وكان من بينهم فتاة متوسطة الجمال تبدو دائما ساهمة وحزينة وقليلة الابتسام ، فلفتت نظرى وسعيت للحديث معها فرحبت بى بتحفظ ، وذهبت يوما للمكتب الذى تعمل به فلم يكن به غيرها فتشجعت وسألتها عن سبب اكتئابها المستمر .. فنظرت إلى طويلا ثم قالت إنه لاسبب مباشر لديها لكنها ربما تكون طفولتها غير السعيدة هى التى اكسبتها هذا الطابع فاشتعل الاهتمام بها فى قلبى والححت عليها أن تحدثنى عن طفولتها فإذا بها تروى لى قصة مماثلة تماما لقصتى تمزقت خلالها بين أبوين منفصلين ومتزوجين .. وأنها تنقلت بين البيتين طوال حياتها ولم تسترح فى أيهما .. فاستقرت مؤخرا فى بيت جدها الذى خلا من الأبناء بعد زواجهم ! يا آلهى لست إذن

وحدى الذى ذاق نفس هذه المرارة ! ووجدت نفسى مشدودا إليها بشدة وعدت لزيارة المكتب عدة مرات .. ثم صارحتها بمشاعرى وصارحتنى واتفقنا على الزواج .. وتعجبت من تصاريف القدر التى جمعت بينى وبينها .. واقتنعت بأنه لم يكون فى الدنيا اثنان حريصان على ألا يفرطا فى علاقتهما مثلنا .. فوراءنا حرمان طويل من العطف والاهتمام وكلانا سوف يبلع الزلط لكى يحافظ على حياته الزوجية مع من يحب حتى لو ضاع الحب يوما حرصا على ألا يذيق ابناءه ما ذاقه هو من تمزق وضياع .. وقربت بيننا الأيام التى جرى فيها الاستعداد للقران اكثر واكثر وكنا نتكلم لغة واحدة .. ونعرف معنى حساسيات وضعنا .. فقررت مثلا أن تتم الخطبة والقران فى بيت جدها لنرفع الحرج عن جميع الأطراف وفى يوم زفافنا كنا العروسين الوحيدين تقريبا فى العالم اللذين لكل منهما أربعة أباء وأمهات أى ثمانية فى مكانة الأب والأم بغير اداء أى واجب من واجبات الأمهات والآباء تجاه ابنائهم .. ورغم ذلك كنت سعيدا بأهلى وان لم يؤدوا إلى حقوقى وسعيدا بإخوتى .. أما هى فلاحظت تحفظها مع أبويها وزوج الأم وزوجة الأب والأخوة غير الاشقاء وفهمت أن مرارتها القديمة معهم لم تطب بعد .. وتزوجنا فى شقتى بعد أن جددتها .. وبدأنا حياتنا معا بشوق كبير إلى ان يحتمى كل منا بالآخر من الوحدة .. ومضت أيامنا سعيدة هانئة .. وكنت اتلهف على الانجاب .. لكننى صدمت بعدم حماسها له .. وفهمت منها ان تراثها العائلى من التعاسة يجعلها تشفق من ان تنجب اطفالا قد يتعرضون لما تعرضنا له إذا «لا قدر الله» وقع خلاف بيننا

وتفهمت ظروفها .. فحاولت اقناعها بأن تثق فى ربها وفىّ وان تتفاءل خيرا وان تبعد هذه الهواجس عنها .. وانجبنا طفلة وطفلا ملآ علينا حياتنا .. لكن الهواجس عادت تلح على زوجتى من جديد خوفا من المستقبل وطلبا للأمان .. فراحت تلح على أن أبحث عن عمل فى الخارج لكى نؤمن مستقبل الطفلين حتى لاندعهما فى مهب الريح كما وجدنا انفسنا .. فتحمست للعمل فى الخارج هذه المرة مادامت زوجتى وطفلاى معى .. وبحثت عن عمل ووفقنى الله فى الحصول على عمل ممتاز باحدى الدول وحصلت أنا وزوجتى على اجازة من عملينا وسافرنا .

وزادت الغربة من تقاربنا ومن تماسكنا ولم يفسد علينا أوقاتنا سوى خوفها المستمر من المجهول ومن المستقبل .. وانعكس هذا الخوف عليها فى رغبتها ان ادخر كل قرش اكسبه للأولاد .. وفى الحاحها على بأن اسمح لها بالعمل هناك لكى يكون لها رصيد تستند عليه فى مواجهة الحياة .. وعارضت فكرة عملها طويلا لحاجة الطفلين إلى رعايتها لكنها أصرت .. وظهر الخلاف فى حياتنا لأول مرة فاجتنبتنى ونحن غريبان ولا سند لكل منا سوى الآخر ووجدت نفسى وحيدا مرة أخرى تحت سقف واحد مع زوجتى الحبيبة وضعفت مقاومتى فوافقت .. فبكت وأكدت لى أنها تحبنى ولاتتصور لنفسها حياة إلا معى لكنها تخاف من المستقبل وتريد أن تحتمى من غدره وعملت زوجتى بمرتب معقول كنت اضعه لها فى البنك فى مصر أولا بأول واكثرت من هداياى الذهبية لها لكى تزداد احساسا بالأمان وزدت على ذلك ان وضعت معظم

مدخراتى باسم ابنى وابنتى فى البنك وخصصت جزءا منها لها باسمها وعاد الهدوء إلى حياتنا .. لكنه هدوء مشوب بالحذر دائما من جانبى توقعا للعواصف .

وأرسلت الشركة تستدعينى بعد ٥ سنوات .. فهاجت زوجتى وطالبتنى بعدم العودة وبالاستقالة .. ورفضت ان أضحى بوظيفتى وفرصتى فى التقدم فى عملى فى مصر فحولت حياتى إلى جحيم .. واشركت بعض الأصدقاء فى أمرنا فأيد البعض عودتى وأيد البعض الآخر استمرارى .. فقاطعت زوجتى كل من أيد العودة .. وانقذنى الله من هذا التمزق فوافقت الشركة على مد الاجازة سنة أخيرة .. وانتهت السنة سريعا وتكررت المشكلة .. وزادت زوجتى من ضغطها على هذه المرة لاستمر فغادرت بيتى فى الغربة إلى بيت أقرب اصدقائى هناك واقامت مع زوجته وحرمتنى من الهدوء والسكينة حتى أعادتها زوجة صديقى واقنعتها بالرضا بما اختاره لنا الله .. وعدنا إلى بلادنا وكنا قد اشترينا « شقة تمليك » دفعت معظم اقساطها واقترب موعد تسلمها فإذا بها تطالبنى بان اكتب هذه الشقة باسمها وان اسجل السيارة التى اشتريناها أيضا باسمها بحجة الأمان والمستقبل والخوف على الأطفال ووجدت الأمر جارحا لكرامتى فحاولت أن اتفاهم معها بالحسنى فلم تزد إلا اصرارا .. وعدت من عملى ذات يوم فوجدت الشقة خالية وفى الحوض كيس من أكياس اللحم ينسكب عليه الماء من الحنفية لعلها كانت تستعد لطهيه حين ركبها شيطان الخلاف فهجرت البيت فجأة وهرولت كالمجنون إلى بيت جدها فوجدتها هناك فصحت فيها إننى لا

أريد لابنائى أن يعيشوا ضيوفا فى بيت أحد فاما أن تعودى معى أو أعود بأطفالى .. فزجرها جدها ودفعها دفعا للخروج معى .

وهكذا عشنا أيامنا بين شد وجذب .. وحين تصفو تكون كالنسيم وإن كانت حزينة وحين يأتيها هاجس المستقبل تركبها الشياطين حتى صارت حياتى جحيما لايطاق .. واصبحت اتعجب هل هذه هى الإنسانة التى جادت على بها الأقدار ليطمئن إليها جانبى وتعوضنى من تعاستى القديمة .

وتكررت حكاية هجرها لى وعودتها بتدخل جدها أو أبيها عدة مرات ثم هجرت البيت نهائيا منذ سنة .. لنفس السبب وأصبحت معظم علاقتنا تليفونيا هى فى بيت جدها وأنا فى مسكنى ونتواصل عن طريق التليفون .. وبعد أسبوع من مغادرتها للبيت لأول مرة ذهبت لرؤية أطفالى فقابلتنى زوجتى بجياء تام وترحيب عادى كما نرحب بالغرباء ثم طلبت منى ان اصطحب الأطفال للنزهة وشراء بعض الأشياء الضرورية لهم .. فطلبت منها ان تأتى معى لنشترى لابنائنا مانريد فاعتذرت فاصطحبت الطفلين وهبطت الدرج وهما يتقافزان حولى سعيدين .. فتذكرت فجأة نزهاتى القديمة مع أبى وانقبض صدرى وقدت السيارة وأنا لا أرى الطريق من سحابة الدموع التى ظللت عينى .

ولأن لكل شيء آخرا ياسيدى كما تقول أنت كثيرا .. فلقد تعمق احساسى بأنها ظلمتنى ولم تقابل محاولاتى لاسعادها بأى قدر من الحرص على اسعادى لها وبعد استقرارها فى بيت جدها وفشل محاولات

أهلها لاقناعها عادت هى لعملها .. وبدأت أنا اتكيف مع وضعى وأسلم أمرى لله .. وان كانت ساعات نومى قد قلت كثيرا وهزلت وظهرت هالات سوداء تحت عينى وفى هذه الظروف بدأت أحس باهتمام زميلة لى فى العمل وكنت غارقا فى احزانى فلم اشعر بها إلا وهى تحاول اخراجى من اكتئابى والتسرية عنى ، وحاولت ادماجى فى وسط الزملاء والزميلات ثم نظمت الشركة رحلة للاسماعيلية ففوجئت بها تدفع لى الاشتراك نيابة عنى لكى أخرج مع الزملاء .. واتشاغل عما يحزننى وفعلا ذهبت إلى الرحلة معهم .. وسريت عن نفسى قليلا وتأملتها طويلا أنها فتاة جميلة عاشت حياة طبيعية بين أبويها .. وتتعامل مع الجميع بأدب وباسمة دائما والجميع يحترمونها ويحبونها .. ولاتحمل كراهية لأحد وسألت نفسى لماذا لم يهبنى الله زوجة باسمة تضمد جراحى كهذه الفتاة ؟

وترددت طويلا فى الاقتراب منها ثم وجدتنى منساقا إلى عالمها واشتركت فى دورة اللغة الفرنسية بالمركز الثقافى الفرنسى مثلها لكى اندمج فى عالمها البهيج الذى لايخاف من المستقبل ولايحملنى دائما هوما لاذنب لى فيها .

وفى غمرة محاولاتى لتضميد جراحى .. رن جرس التليفون فى شقتى فى الليل وجاءنى صوت زوجتى يحمل إلى كل هموم الدنيا كالعادة الولد مرض بكذا خذه للطبيب غدا .. البنت جرحت أصبعها وتحتاج إلى فك الغرزة التى أجريت لها .. جاء موعد القسط الأخير من الشقة فادفعه غدا .. وبينما هى تواصل تحميلى بكل الواجبات بغير أى

مقدمة .. قلت لها فجأة لماذا لاتعودين لى ونفعل كل ذلك معا ونضم أطفالنا تحت جناحينا .. فإذا بها تكرر مطلبها القديم .. وتضعنى أمام خيار قاس هو إما هذا وإما الطلاق ! .. الطلاق يا زوجتى الحبيبة التى عرفت مرارة التمزق بين الأب والأم .. ومن أجل شقة لاتعنينى كثيرا لولا استشعارى فقط بالهوان لاصرارك عليها ؟ . نعم ، وفى نوبة انفعالى قلت إذن فليكن الطلاق وسأتى إليك بعد أسبوع لأتمم الاجراءات .

وفى اليوم التالى وجدتنى ابادر بالاقتراب من زميلتى فى العمل وأسألها عن أسرتها فتدعونى ببساطة لزيارة بيتها لأن كل الزملاء يزورونها .. واقبل الدعوة وأذهب لزيارتها فأجد بيتا بهيجا يحب افراده الناس ويرحبون بهم وأجد بعض الزميلات فى زيارتها والجميع سعداء .. فخرجت ورأسى يدور .. وهممت أكثر من مرة بأن أعود إليها واطلب يدها وأبدأ حياتى من جديد .. لكنى فى كل مرة اتراجع كلما تذكرت ابنى وابنتى .. وذكريات طفولتى الحزينة وعهدى لنفسى ألا أفعل بأطفالى مافعله بى أبواى .

انني اكتب لك لأسألك هل صحيح أن هناك بشرا لم يكتب الله لهم السعادة فى كل حياتهم من مولدهم إلى مماتهم بدليل أننى شقيت فى طفولتى وصباى وشبابى ومازلت أشقى الآن بزوجتى ووحدتى وبم تنصحنى أن أفعل هل استجيب لطلب زوجتى واكتب لها الشقة والسيارة أم أواصل الرفض وانفصل عنها وهل لطلبها هذا سند من الشرع والدين أم هل تنصحنى بأن أبدأ حياة جديدة مع هذه الفتاة

الباسمة الواعدة بالسعادة وهل سيغفر لى أطفالى أنى بحثت عن سعادتى على حسابهم أم ماذا أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : زوجتك ياصديقى لاتريد الطلاق فى أعماقها وستكون أول من يشقى به إذا وقع لكنها تستغل فيك خوفك النبيل من تعريض ابنائك لما تعرضت أنت له فى طفولتك وتبتزك إنسانيا بهذا الجرح القديم مع إنه جرحها هى الأخرى وكان الظن أن تكون أحرص منك على أن تجنب أطفالها هذه التجربة الحزينة . لكن ماذا نقول عن النفس البشرية وبعض الحمقى من الأزواج والزوجات يتعاملون فيما بينهم أحيانا بقانون من قوانين إدارة الصراع هو قانون حافة الحرب بمعنى أن يضغط طرف على آخر ويصعد المشكلة معه حتى تصل إلى حافة الحرب فيستسلم الطرف الأقل استعدادا لخوضها ويلبى مطالب الآخر طائعا أوكارها .. والمؤلم ان هذا القانون المرذول ان صلح لإدارة الصراع بين الدول أو حتى بين الأشخاص الغرباء فإنه لايصلح أبدا للتعامل به بين شركاء الحياة ومن ينبغى أن تقوم شركتهم على التعاطف والمودة والرحمة .. وإن صلح تجاوزا لأى إنسان فإنه قطعا ما كان يصلح للتعامل معك وأنت الزوج المحب العطوف على أبنائه الحريص على زوجته وعلى التمسك باستمرار الحياة معها . فضلا عن أنه سلاح ذو حدين قد ينقلب على من يستخدمه فيجره إلى الأزمة التى لايريدها فى أعماقه كما تنذر الأحداث الآن بينك وبين زوجتك . ان الحرص على نجاح الحياة الزوجية لابد أن يكون متكافئا لدى الطرفين وإلا تحول عند طرف منهما إلى نقطة من نقاط ضعفه تتيح للآخر ان يبتزه إنسانيا وان

يرغمه على ما لايريد استغلالاً لحرصه على استمرار الحياة ، وأنت يا صديقى ، مدفوعا بأنبل الدوافع ، كنت حريصا دائما على نجاح حياتك الزوجية ويحركك حنين قديم إلى السعادة ورغبة إنسانية فى ألا يتجرع ابناؤك كأس المرارة التى تجرعتها أنت صغيرا وكان الظن أن تكون زوجتك أكثر حرصا منك على ذلك ولنفس الأسباب .. لكنها بعقلية حسابية باردة استغلت فيك هذا الدافع وشجعها تنازلك وتراجعك أمامها على التمادى حتى تجاوزت معك الحدود وقد علمتنا التجارب المريرة أن مثل هذه الزوجة الجحود لاتثوب إلى رشدها إلا إذا هوت مطارق الحياة فوق رأسها .. لهذا فإنى انصحك بألا تستسلم لمطلبها غير المشروع فليس من حقها أن تطالبك بملكية الشقة وليس فى الشرع مايقضى سوى بان تكون للزوجة ذمتها المالية المنفصلة عن ذمة زوجها فيكون لها الحق فى أن تحتفظ بمالها الموروث والمكتسب بغير ان يختلط بمال الزوج أو يذوب فيه وأنت قد فعلت كل ذلك وأكثر واغدقت عليها مالك الخاص وكتبت معظم مدخراتك باسم طفليك لتشعرها بالأمان فماذا تريد هى أكثر من ذلك ؟ ان من حق الإنسان أن يهب زوجته مايشاء لكنه ليس من حقها بكل تأكيد ان تطلب الهبة وان تجعل الحصول عليها شرطا لاستمرار الحياة الزوجية أو لعودة السلام لحياته فما هكذا تكون علاقة الزواج السليم كما أراده الله سبحانه وتعالى .

ولو عقلت زوجتك الأمر لعرفت أن كل ما للزوج هو فى الواقع لزوجته وابنائه طال المدى أم قصر وان المستقبل بيد الله وحده مهما

احتطنا له من احتياطات وأن السعادة الحقيقية لاتقدر بمال ولاتوزن بجوائط شقة مهما بلغت وانه ليس فى الدنيا مايعدل ابتسامة طفل سعيد آمن بين احضان أبويه المحبين .. فماذا تريد من الدنيا أكثر مما أعطتها .. ولماذا نتخفى أحيانا وراء هواجس لامعنى لها لكى نبرر أنانيتنا وحبنا للتسلط وفرض الارادة . ياصديقى أصمد لهذا الضغط غير الإنسانى الذى تتعرض له وانذرها الإنذار الأخير بالعودة وطى الصفحة القديمة وإعادة الحياة الطبيعية بينكما أو فليكن الانفصال بالطلاق الذى ماشرعه الله وهو أبغض الحلال إليه إلا لمثيلات زوجتك إذا عميت قلوبهن وأبصارهن ورفضن الاستماع لنداء العقل والعدل والإنسانية وذلك جزاء الظالمين .

لكنى لا انصحك بالمسارعة بالارتباط بغيرها لأنى اتوقع لو بلغ الأمر حد الطلاق بينكما ان تكون صدمته كفيلة باعادتها إلى رشدها بعد حين .. وعندها ستكون أنت أسعد الناس بعودة الأمان والسلام إلى حياتك ليس فقط لأنى استشف صدق رغبتك فيها وإنما أيضا لأنى أدرك تماما أن مثلك لن يعرض أطفاله لما يكرهه لهم وعلى حساب سعادته الشخصية أما إذا لم تتعلم هى درس التجربة فلاشك أنه سيكون من حقك بعد انتظار معقول ترضى به ضميرك وربك أن تبدأ حياة جديدة وليفعل الله مايشاء ولست فى حاجة لأن أذكرك بواجبك الإنسانى تجاه طفليك اللذين اتمنى ألا تقضى المقادير لهما بما لاتحب ولاترضى . أما السعادة والشقاء فلكل إنسان نصيبه المقدور منهما

وسيوفى إليه كاملا غير منقوص فلتكن سعادتك حقيقية كما كان شقاؤك حقيقيا أيضا ولندع الله ان تزول هذه الهالات السوداء من تحت عينيك ومن حياتك إلى الأبد إن شاء الله .

الثوب الأبيض

أكتب إليك من إحدى العواصم الأوربية لأروى لك قصتى بعد أن شاركت قراءك همومهم طوال السنوات الماضية . وخصوصا فى الفترة الأخيرة التى اغتربت فيها عن وطنى وأسرتى فأنا ياسيدى رجل فى الرابعة والأربعين من عمرى ، نشأت فى أسرة بسيطة ابنا لأب موظف بالحكومة وشقيقا وحيدا لثلاث فتيات يصغرننى وما أن تخرجت فى إحدى الكليات العملية وعملت بإحدى شركات القطاع العام حتى أحيل أبى للمعاش وانخفض دخله للربع بعد حرمانه من الموارد الاضافية فوجدت نفسى مسئولا عن الأسرة وعن شقيقاتى الصغيرات اللاتى رضعت حبهن منذ طفولتى ، وتمتعت دائما بحبهن واحترامهن .. ويوم قبض أبى معاشه الأول رأيته جالسا مع أمى يحاولان تدبير حياتنا بالمبلغ الصغير وملامح الانكسار تعلو وجه أبى . فلم أطق ان أراه مهزوما فتقدمت منه وقبلت يده وقلت له لقد أحسنت إلى كثيرا وحرمت نفسك من كل شىء فى الحياة لتعلمنى وجاء دورى لأرد لك الجميل ، فاعتبرنى من الآن مسئولا عن شقيقاتى ولا تشغل نفسك بأمرهن ، وأخرجت راتبى كاملا وكان وقتها أربعين جنيها وأعطيته لأمى

فحاول أبى الاعتراض مذكرا إياى بأنى شاب وسوف اتزوج ذات يوم ، فطمأنته ورجوته ألا يفكر إلا فى نفسه وصحته ، ولم أقبل من راتبى سوى خمسة جنيهات لمواصلاتى ونثرياتى وتركتهما ودعاؤهما يلاحقنى بأن يبارك الله لى فى صحتى وعملى وشبابى وخرجت منتشيا بهذا الدعاء إلى لقاء صديق فى المقهى القريب فوالله ما جلست معه ساعة حتى جاءنى صديق ثالث يعرض على أن أعمل رساما هندسيا فى مكتب عمه الذى يبحث عن شاب مجتهد ليعمل معه ساعات المساء مقابل ثلاثين جنيها ، فقمت معه إليه .. وتسلمت عملى فى نفس الليلة وعدت لبيتى وفى جيبى عشرة جنيهات من أجرى ، أصر صاحب المكتب على أن يعطيها لى فى أول لقاء . وواجهت الحياة متفائلا رغم ثقل المسئولية ونظمت وقتى بين عملى الحكومى وعملى الحر فى المساء وخصصت لشقيقاتى مصروف يد خمسة جنيهات لكل منهن بعيدا عن مصروف البيت الذى لا يتحمل هذا الترف .. ومضت حياتنا هادئة رغم الصعوبات وواصلت شقيقاتى تعليمهن بنجاح وكنت مدرسهن وصديقهن ومستشارهن فى كل ما يعرض لهن من أمور .. حتى أمور العاطفة .. واشعرتهن دائما بثقتى فيهن وبجدارتهن بهذه الثقة .. فلم يخذلننى أبدا وتخرجت كبرى شقيقاتى وحصلت على تقدير متفوق بفضل اجتهادها وسهرى معها للصباح فى ليالى الامتحان .. وعملت بعد شهور من تخرجها وجاءنا من يطلب يدها فتمت خطبتها وساهمت فى تجهيزها بكل قرش كسبته خلال السنوات الماضية وزففناها إلى زوجها بشكل كريم يتناسب مع امكاناتنا .. وواصلت كفاحى مع الشقيقة

الوسطى حتى تخرجت فى كلية نظرية بعدها بعامين وتزوجت هى الأخرى وخلا بيتنا إلا من الصغرى التى كانت قد وصلت إلى السنة الثانية فى كليتها وجلست التقط أنفاسى بعد زواج الشقيقتين . فجاءنى أبى يقول لى أنه أن الأوان لأن افكر فى الزواج قبل ان يفوتنى القطار .. وكنت فى حاجة فعلا لذلك فقد قاربت الثلاثين ولم أفكر فى الارتباط بأى إنسانة .. وكنت قد ترقيت فى عملى بالقطاع العام وتضاعف راتبى كما تضاعف أجرى من المكتب عدة مرات ، وزاد دخلى منه بما بدأت انفذه لحسابى من أعمال يخصنى بها صاحبه .. وسألت نفسى إذا كنت استطيع الزواج فأين هى شريكة العمر . وأحست أمى بما يدور داخلى فابلغتنى بأن عروسى جاهزة وأنها متيمة بى ، لكن هموم الحياة قد شغلتنى عن ملاحظة عيونها الهائمة .. وسألتها عنها فعرفت أنها صديقة صغرى شقيقاتى التى تزورها كثيرا وتبدى لى الود فعلا ولم انتبه إليها من قبل .. ووجدت نفسى أفكر فيها ، انها تصغرنى بتسع سنوات وجميلة جمالا أخاذا كشقيقاتى الثلاث ومن أسرة صديقة طيبة .. وسرعان ما أحببتها .. وتمت خطبتى عليها فانفجر ينبوع حبها الصامت لى منذ ٣ سنوات متدفقا ، وكانت زميلة شقيقتى فى الكلية فأصبحت جلسات المراجعة تضمنا نحن الثلاثة ، وحين وصلت إلى السنة النهائية من كليتها قررت أن نتزوج وان تواصل دراستها وهى زوجة ، وتم الزواج فعلا واقمت فى شقة صغيرة حصلت عليها عن طريق عملى ، وتخرجت زوجتى وشقيقتى فى يوم واحد ، وانتهت بذلك مسئوليتى العائلية تماما فيما عدا مساعدتى الشهرية الصغيرة لأبى وقسط « الجمعية » الذى ادفعه

لأمى لتجهيز شقيقتى الصغرى للزواج عندما يأتيها النصيب ، ولم يتأخر حظها طويلا فلقد عملت وخطبت لزميل فى العمل .. وتزوجت بعد عامين وفى يوم زفافها اكتمل شملنا جميعا : شقيقاتى وازواجهن وأنا وزوجتى واحسست بالرضا عن نفسى ان وفقنى الله لأداء مسئولياتى العائلية وخجلت حين طلب أبى من صهر شقيقتى الصغرى ان يضع يده فى يدى أنا لأنى ـ كما قال ـ أبوهن الحقيقى .. ورفضت باصرار ومضت حياتنا سعيدة هادئة لايعكر صفوها شىء نلتقى كل يوم جمعة حول أبى وأمى فى شقتنا القديمة ونلتقى مرة أخرى فى بيتى مساء الأحد حيث لايعمل المكتب الهندسى ونستمتع بسهرة سعيدة يظللها الحب والتفاهم .

ولم تخل الحياة بالطبع من بعض المنغضات .. وقد اختارتنى أنا فتقبلت نصيبى منها راضيا فلقد حملت زوجتى بعد عام من زواجنا ، لكن حملها لم يعش سوى أربعة شهور وبعد عام آخر حملت مرة ثانية وطال حملها لمدة سبعة شهور ثم مات الجنين داخلها واضطر الأطباء لتوليدها بجراحة قيصرية لإخراجه وتأكدت من عدم قدرتها على الانجاب فطلبت منها ألا تكرر التجربة مرة أخرى خوفا على حياتها لكنها تاقت إلى الانجاب فتكررت نفس المأساة وكادت تهلك أثناء الجراحة ثم استسلمت بعدها لرأى الأطباء وكفت عن المحاولة لكن أشياء كثيرة تغيرت فى روحها بعد ذلك ، فبدأت تضيق بلقاء الأحد الذى يجمع شقيقاتى وأطفالهن وأزواجهن فى بيتى ، وبدأت تختلق الأعذار لتعوقنى عن الذهاب إلى بيت أبى يوم الجمعة وتضيق بحبى لأبناء شقيقاتى

وملاعبتى لهم وبدأت شقيقاتى يلاحظن سهومى واكتئابى ويحاولن التخفيف عنى وفى هذه الفترة انتقلت من الشركة التى أعمل بها إلى منصب مرموق فى شركة كبرى ، وأصبحت لى سيارة وسكرتيرة .. ففقدت زوجتى اتزانها وتسلط عليها الشك فى تصرفاتى .. والاحساس بعدم الأمان معى ثم سافرت فى مهمة قصيرة للخارج فوجدت نفسى أفكر فى حياتى معها واعترف لنفسى بأنى اتمزق داخليا بالرغبة فى انجاب طفل وان هذا هو سبب متاعبى معها رغم حبها الجارف لى بل وحبى أيضا لها وعدت من السفر عازما على أن اذهب إلى بيت أبى وأقيم فيه إلى أن أضع حلا لمشكلتى معها . ووصلت إلى المطار ففوجئت بها تنتظرنى فيه بالرغم من عدم ابلاغها بموعد عودتى .. فعجزت عن مصارحتها برغبتى وعدت معها إلى مسكننا .. وعشت عدة أسابيع بعدها لا أرى منها إلا عذوبة الفتاة الجميلة الرقيقة التى أحبتنى حبا صامتا ثلاث سنوات قبل الخطبة .. وقررت العدول عما فكرت فيه .. لكن آه من وساوس النفس الباحثة دائما عما ينقصها فبعد شهور عاودتنى نفس الأفكار وضقت بهمى فحزمت أمرى وعدت من مكتبى إلى بيت أسرتى وصارحت أبى وأمى برغبتى فى طلاق زوجتى لكى اتزوج أخرى وانجب فعارضانى بشدة وجاءت شقيقاتى فعارضننى اشفاقا عليها .. مع تسليمهن بحقى المشروع فى الانجاب ، وبكت شقيقتى الصغرى واستحلفتنى ان أرجع عن قرارى إدراكا لمدى حب زوجتى لى وطالبنى أبى بمراجعة نفسى لفترة فاستجبت له وقررت الإقامة فى بيته لفترة وعرفت زوجتى بالأمر .. فبكت طويلا ورفضت مغادرة

الشقة إلى بيت أسرتها أملا فى أن أعود إليها وبعد أسبوعين أرسلت إلى شقيقتى الصغرى تبلغنى موافقتها على زواجى من أخرى بشرط ألا أطلقها وان أعدل معها .. لكنى تخوفت مما سأعانيه من تمزق وغيرة ومتاعب معها فرفضت ، واستاء أبوها من موقفها فذهب إليها وحملها على مغادرة الشقة ونقل اشيائها وأثاثها إلى بيته وجاء يوم الطلاق فأصرت هى على أن تذهب إلى المأذون لتتم الاجراءات فى حضورها حتى تعفى نفسها من مهانة تسلم ورقة الطلاق عن طريق قسم الشرطة ، وذهبت مع أبى وأزواج شقيقاتى واجما فوجدتها مع أبيها جالسة مطأطأة الرأس ترتدى فستانا أبيض كأنها تذكرنى بثوب زفافها وذكرياتنا السعيدة وجمالها الحزين يشع فى المكان ومرت الإجراءات التقليدية ففوجئت بها تصافحنى ودموعها تنساب من عينيها ثم تقول لى لقد شققت بطنى من أجلك مرتين وكنت على استعداد لأن أشقها مرة أخرى .. لكنك اخترت غير ذلك وظلمتنى .. فليسامحك الله على ظلمك لى .. مع السلامة .. فلم استطع أن أمنع دموعى وهرولت خارجا وأثر فى هذا الموقف فاكتأبت طويلا .. ثم بدأت ذكرياته تتراجع من رأسى شيئا فشيئا وعدت إلى شقتى واعدت تأثيثها .. وعشت وحيدا عدة شهور ، ثم تعرفت بمهندسة زميلة لى فى العمل فى الثلاثين من عمرها سبق لها الزواج وطلقت من زوجها لرفضه الانجاب لأن له أبنا وابنة من زواج سابق وبسبب اجباره لها على اجهاض نفسها كلما حملت فوجدت فيها ضالتى وتعجبت من تصاريف القدر وتقاربنا سريعا ولم ألبث ان صارحتها بحبى وصارحتنى بحبها ، ثم خطبتها وتم

زواجى الثانى بعد سنة من طلاقى وأنا فى الثامنة والثلاثين من عمرى وبعد عام من زواجى انجبت طفلة جميلة سعدت بها سعادة طاغية . وشكرت الله كثيرا وسعدت بكل لحظة فى حياتى الجديدة وعرضت على زوجتى ان تتفرغ لبيتها فلم تتردد ، واستقالت وتفرغت لى ولطفلتها .. ورشفت من رحيق السعادة معها ومع ابنتى حتى الثمالة .. حتى خشيت على سعادتى من غدر الزمان فبدأت استقصى اخبار زوجتى السابقة من شقيقتى واحلم باليوم الذى تتزوج فيه حتى لا تظل المرارة مستقرة فى اعماقها تجاهى وحزنت حين عرفت انها لم تتزوج وفضلت ان تعمل مدرسة انتظارا لشفاء نفسها من مرارة التجربة ثم شغلتنى ابنتى الصغيرة بعد قليل عن أى شيء آخر وواصلت نجاحى فى حياتى العملية واستقرت أحوالى المادية .. واعطيت عملى كل جهدى وطاقتى وذات يوم كنت أشرف على أحد مشروعات الشركة فى ضواحى القاهرة فأصبت باغماء مفاجئ . وحملنى الزملاء إلى أقرب مستشفى حيث عالجنى الأطباء وخرجت وفسرت الأمر بالاجهاد .. لكنى بعدها بدأت أشعر بجمود غريب فى جسمى ، فذهبت إلى الطبيب وبدأت دورة لا تنتهى من التحاليل والأشعات والفحوص وبعدها طالبنى الأطباء بعدم الاجهاد وبالعمل بنصف طاقتى وبالالتزام بنظام غذائى وعلاجى مستمر .. والتزمت بتعاليم الأطباء إلى أن تكررت نوبات المرض وتلاحقت فقررت الشركة ايفادى للعلاج بالخارج .

وسافرت وحيدا ودخلت المستشفى وبدأت العلاج .. حتى جاء الموعد الذى سيبدى فيه الطبيب الكبير رأيه النهائى فى حالتى فوجف

قلبى لأن الأطباء فى هذه البلاد لا يجاملون المريض ولا يعرفون الاعتبارات العاطفية التى تمنع أطباءنا من مصارحة المريض بحقيقة حالته .. وارهفت أذنى له فإذا به يصارحنى ببساطة بحقيقة مرضى الذى اشفق الأطباء فى مصر من مصارحتى به .. وبحثت عن صوتى لأسأله عن مدى سوء الحالة فأجاب بنفس الواقعية القاسية وبكلمات مقتضبة : أنها متأخرة جدا ! ثم طالبنى بالبقاء تحت اشرافه ٣ أسابيع ان استطعت أو بمتابعة العلاج مع اطبائى فى مصر وهكذا سمعت حكم الإعدام الوشيك بأذنى ياسيدى فغرقت فى حزن عميق ثم قمت للصلاة فى غربتى ، واتصلت برئيسى فى العمل وابلغته فتأثر بما سمع .. وطلب منى البقاء تحت إشراف الطبيب والعودة بعد ٣ أسابيع فمضت على الدقائق ثقيلة وأنا سجين فى أفكارى .. اتحاور مع نفسى وتتوالى الخواطر والصور على مخيلتى فأرى ابنتى وزوجتى وأبى وأمى وشقيقاتى واتخيل وقع الخبر عليهم ، بل وأرى زوجتى السابقة بجمالها الحزين وفستانها الأبيض يوم الطلاق .. واتساءل هل سامحتنى حقا أم أن مرارتها مازالت فى الأعماق فنالنى من ظلمى لها ما نالنى .. واقترب فى هذيانى وحوارى الباطنى من حافة الخطر أحيانا فأتساءل استغفر الله ـ لم اذن انجبت إذا كان الرحيل مقدرا سريعا هكذا ؟!.. هل لأترك زهرتى الجميلة لليتم قبل ان تتم عامها الخامس ! ومادام كل شىء بقضائه وبقدره .. لماذا لم يلهمنى الله أن أبقى على زوجتى الأولى فأخفف من ذنوبى ومن همى بأمر طفلتى وأرحل خفيفا وحيدا بلا خسائر أخرى ! انى أعرف ان الأعمار بيد الله وحده لكنى اهذى وحيدا فى

غربتى واحتاج إلى من يسمع تساؤلاتى ويجيب عنها فهل تستطيع ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : كل إنسان ياصديقى مكتوب عمره بين عينيه هكذا جاء فى المرويات أن الله سبحانه وتعالى قد ابلغ آدم حين أمره بالهبوط من الجنة . فلا تزد من أشجانك بهذه الخواطر الحزينة التى تعين مرضك عليك .. ولاتساعدك على مقاومته .. والإنسان قد تؤذيه هواجس نفسه أحيانا بأكثر مما تستطيع أمراض جسمه .. فأعن نفسك على مرضك ولاتسل عما لا تعلم ولاتملك من أمره شيئا فما أنت من جئت من عالم الغيب بهذه الزهرة الجميلة إلى الحياة وما أنت من اخترت لزوجتك الأولى ألا تنجب ، ولا أنت تستطيع ان تجزم بأن زواجك منها لو استمر لم يكن ليحقق أمل الانجاب لكما بعد حين فتأتى إلى الدنيا زهرة أخرى ربما فى نفس الموعد .. وإنما قدر الله فى كل الأحوال وكما شاء فعل .. ولايسأل جل شأنه عما فعل وتجارب الحياة تعلمنا أننا إنما نفر من قضاء الله دوما إلى قدره لهذا نعيش حياتنا ونحن نعرف دائما أن الستار الأخير قد ينزل عليها فى أى لحظة .. ولايمنعنا ذلك من أن نحيا ونستمتع بأيامنا ونخطط للمستقبل ونزرع الأشجار أملا فى أن نقطف ثمارها لهذا فلابد دائما من الأمل فى رحمة الله وعدالته . وهناك دائرة مجهولة يعجز طب الأطباء عن الاقتراب من حدودها هى دائرة الغيب الذى لا يعلمه سواه . وكم كذب الغيب نبوءات الأطباء وعلم العلماء .. فلنثق إذن فى أن من منحنا هبة الحياة هو وحده من يقدر على أن يستردها حين يشاء وانه لايصرح بعلمه هذا لغيره .

فهون عليك ياصديقى فربما تكون أطولنا عمرا ! وتخفف من احساسك بالذنب لكيلا يتحالف مع أدواء جسمك عليك وأنت فى النهاية وان ظلمت زوجتك الأولى لست أول من ظلم قلبا أحبه جريا وراء أمل الانجاب ولن تكون آخرهم واحساسك هذا بالذنب رغم بعد الذكرى دليل جديد على نفسك الطيبة الخيرة يضاف بكل تأكيد إلى سجلك النبيل فى بر أبويك . ورعاية شقيقاتك وهو سجل لا يضيع أجره عند من لاتضيع عنده الودائع وبعد كل ذلك فانك لو أردت أن تبرئ ذمتك وتهدئ خواطرك مما تحسه من ذنب تجاه زوجتك الأولى فأنى انصحك بأن تكتب إليها من غربتك سائلا إياها الصفح الجميل عما جرت به المقادير بعد ان انقضى الآن كل شيء وسحب النسيان عليه ذيوله أو خفف على الأقل من مرارته ، وكلى ثقة أنها لن تضن عليك به لأن من أحب إنسانا حبا حقيقيا ذات يوم لم يكرهه ولو اساء إليه أو ظلمه ولم يرج له ضررا أو سعد بما يناله من آلام الحياة ، فالحب الحقيقى قد يخمد وقد تذبل أوراقه ويموت كما تموت الورود لكنه يبقى دائما من أريجه القديم نفحة لاتسمح له أبدا بأن يتحول ذات يوم إلى كراهية حاقدة مدمرة فاطمئن تماما إلى أن قلبها الأبيض مثل ثوبها سوف يغفر لك ما جرى .. وسوف يتمنى لك الشفاء مخلصا ، والتزم بتعاليم الأطباء بدقة وثق دائما بربك ولسوف تحمل لك الأيام ماتطيب له نفسك ان شاء الله .. إنه على كل شيء قدير.

الجائزة الثانية

أنا ياسيدى رجل فى السادسة والأربعين من عمرى أشغل وظيفة فى الأبحاث الفنية حيث يتطلب عملى إيجاد حلول للمشاكل الفنية مما يستدعى التفكير والتركيز واجراء عشرات التجارب وأجد متعتى فى هذا العمل واحقق فيه نجاحا طيبا والحمد لله .. لكنى عاجز عن ايجاد حل لمشكلتى الشخصية مع زوجتى التى تصغرنى بعشرة أعوام .. فرغم أنى أحب أسرتى ولا أخرج إلا معها ومع أولادى ودائما أذهب بهم إلى المصايف والنزهات .. فهى لا تشاركنى مشاكلى وحياتى واهتماماتى ولاتتحدث معى إلا نادرا .!

وبالرغم من ارتفاع اسهم جمال وجهها الذى كان يشرق بالبسمة والمرح قبل الزواج وبعده وحتى انجاب الأطفال ، فإنها دائما عابسة مكفهرة الوجه وصوتها عال مع كل من تتحدث معه سواء كنت أنا أو رئيسها فى العمل ودائمة الشجار مع الأبناء « فى الفاضى والمليان » ولا تأخذ الأمور بالمرح .. وتحول أبسط الأمور إلى مشاجرة بالضجيج والتشنج والعصبية ولا تتسامر معى أو تؤنس وحدتى أو تخفف عنى متاعب العمل والتفكير ، فإذا خرجنا لزيارة عائلية لأحد أقاربنا نعود

فتتشاجر معى لأن « فلانا » الذى كان فى الجلسة ثقيل الدم وكان يردد كلاما يقصدها به ، أو لأن فلانة صافحت الجميع ما عداها وتطلب منى ان أرد لها حقها واتشاجر مع من تظن أنه يقصدها بكلامه وإلا كنت مقصرا فى حقها ومتخاذلا ولا أحميها . ثم تغلق على نفسها باب الحجرة ولا تكلم أحدا ولا تأكل ولا تشرب وتترك لى رعاية الأولاد . بل وأحيانا تترك البيت بلا نظافة وبلا طهى للطعام سواء للأبناء أم لى عدة أيام فيبدو وكأنه بيت مهجور بل وأحيانا أيضا تنام بنفس « الفستان » الذى خرجت به وتظل مرتديه له يومين ليلا ونهارا مع ان ثمنه لا يقل عن مائتى جنيه ، ثم قد ترميه بعد ذلك بلا اكتراث وهكذا كل شىء فى البيت تستطيع الاستغناء عنه بلا تفكير ؛ فأحيانا تهدى فستانها الجديد لاحدى صديقاتها .. وأحيانا تهدى الغسالة القديمة أو البانيو القديم لأى أحد بحجة أنها أشياء قديمة وتزحم البيت .

فإذا حصلت على اجازة واصطحبتها مع الأولاد إلى أحد المصايف أملا فى أن نقضى بعض الأيام السعيدة أجدها محتملة يوما أو بضعة أيام . ثم ترتد إلى النكد والعبوس والصياح الذى يصل إلى التشنج فى بعض الأحيان فلا أكمل الاجازة وأعود قبل انتهائها .

وكثيرا ما نصحتها وطلبت منها أن تريحنى وان نتفاهم فى كل شىء واوضح لها الخطأ والصواب وكثيرا ما واجهتها أمام أهلها بما تفعل بلا فائدة .. ولا أجد مفرا سوى تركها على ماهى عليه والصبر عليها لأنى لا أريد أن اضحى بمستقبل أولادى فأصبر لعل الله يهديها أو يحكم بيننا بالحق فى الدنيا أو الآخرة لكنى أضيق ياسيدى بما احتمل فى بعض

الأحيان . وأجد نفسى بعد انتهاء عملى وبعد عناء يوم طويل غير راغب فى العودة للبيت الذى لا أجد فيه راحتى ولا أجد فيه من يستقبلنى ويسامرنى ويشعرنى بأن لى زوجة تشاركنى الحياة إذ كثيرا ما تركتنى أنام وأنا غاضب عليها .. وكثيرا ما تركت البيت إلى العمل وأنا غاضب من أفعالها مما عرضنى أكثر من مرة لبعض الحوادث بسبب قيادتى للسيارة وأنا مغتم ومهموم ولا أكاد أرى الطريق من سوء فعالها .. فهى دائما نكدية وغير مهتمة بنفسها وغير نظيفة رغم جمالها وغير عابئة بأى شىء فلا حنان ولا مودة ولامشاركة .. وهى إذا أرادت شيئا ولم انفذه لها تظل ثائرة غاضبة وصوتها عال وإذا فتحت الراديو فالصوت عال وكل اهتمامها مركز فى مشاهدة الفيديو.

إن جمال زوجتى ياسيدى لم يعد يساوى عندى شيئا .. ولم أعد أحس به أو أراه لأنه يختفى تحت قبح الطباع .. ودوام النكد والعبوس .. وارجو ألا تتصور أنى مقصر فى حقها .. فالحق أننى مثالى معها ومع الأبناء وآخذ الأمور أحيانا بالحزم وأحيانا باللين وفى معظم الأحيان بالصبر.

لكن زوجتى لاتشعر بالمسئولية رغم أنها حاصلة على الماجستير.. وقد نصحتها مرارا وشكوت لها متاعبى معها فكان ردها على هو ان اتزوج لكى أرى الفارق بينها وبين غيرها لأنها ـ ولاتعجب ـ تعتبر نفسها « مثالية » مع أنى لست أول من يحكم عليها بغير ذلك وليس لها صديقات سوى اثنتين فقط ، ولقد بدأ تركيزى فى عملى يتأثر بما اعانيه

من هموم مع هذه الزوجة بماذا تنصحنى ان أفعل معها .. هل اسرحها باحسان !

إننى أخشى أن أفعل ليس حبا فيها وإنما حرصا على أولادى فماذا أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : مأساة بعض الزوجات انهن يحفرن قبور سعادتهن الزوجية بالتدريج بسلسلة من حفرات النكد الصغيرة التى تبدو تافهة فى البداية .. ثم تنهدم الجدران الهشة بين الحفر الصغيرة ذات يوم فتتحول فجأة إلى هوة سحيقة تفصل بين الزوجين حتى ليتعذر عليهما بعد ذلك الاتصال والاستمرار .. ومن هنا تأتى خطورة هذا الرصيد المتزايد من حفر النكد التى تحفرها بعض الزوجات وبعض الأزواج لشركاء الحياة .. فالنكد هو امضى سلاح لقتل الحب والسعادة . وهو الذى دفع كاتبا عظيما كتولستوى إلى أن يتسلل من بيته ذات ليلة شتاء ممطرة وهو فى الثامنة والثمانين من عمره ليهيم على وجهه فرارا من زوجته البشعة ولكى يعثروا عليه بعد ١١ يوما ميتا بالالتهاب الرئوى فى محطة مهجورة للسكة الحديد ثم فيما بعد تعترف زوجته لابنتيها بأنها قتلت أباهما بالنكد .. فيؤمنان على اعترافها الخطير .. بعد فوات الأوان .

وهو أيضا الذى دفع الفيلسوف الاغريقى لأن ينصح مريده قائلا له تزوج يا ولدى فأنت الفائز فى الحالين فإن كانت زوجتك طيبة عشت سعيدا .. وان كانت سيئة .. تعلمت الحكمة وصرت فيلسوفا !

ويبدو ان اقدار بعض الأزواج والزوجات هى ان يتعلموا الحكمة

حرصا على مصلحة ابنائهم وعلى حساب سعادتهم وهنائهم معظم سنوات العمر لكن الحرص على سعادة الأبناء ينبغى أن يكون من ناحية أخرى حرصا متبادلا من الطرفين .. فإذا افتقده طرف ولم يرع الله فيهم كان حرص الآخر على استمرار الحياة من أجلهم إلى مالا نهاية تنازلا مستمرا يغريه بالتمادى والاستهتار . لهذا يحتاج الإنسان أحيانا إلى ان يحس بالخطر لكى يدافع عن حياته ومملكته بإعادة النظر فى أمره ومراجعة تصرفاته والتقدم من الطرف الآخر خطوات لكى يتواصل اللقاء ولا تتسع الهوة باستمرار بينهما . وأغلب ظنى ان زوجتك فى حاجة إلى شىء من هذا « الخوف » البناء الذى يدفع الإنسان لأن يبادل الآخرين حرصهم عليه بحرصه عليهم ولو أوتيت زوجتك البصيرة لفهمت مغزى حديثك المرير عن جمالها الذى لم يعد يساوى شيئا عندك ولم تعد تحس به .. لأن الجمال فعلا هو جمال الروح والطبع وليس جمال التماثيل الجامدة التى لاروح فيها ولا ايناس .. ولأن المرأة الجميلة تفقد جمالها فى اللحظة التى يعلو فيها صوتها بالشجار والتشنج والايلام ولاتشك أنك كنت تحبها حبا كبيرا مازالت بعض بقاياه مستقرة فى قلبك . لكن ادمانها للنكد والتشنج واهمالها لحقوقك كاد ينزع من قلبك مابقى لها من رصيد فيه . لأن النكد هو فعلا قاتل الحب والسعادة وليس أى شىء آخر ، فانذرها ياصديقى بأنك لن تستطيع أن تحتمل الحياة معها على هذا النحو إلى مالانهاية .. وقاوم بعض ضعفك تجاهها .. واهجرها بغيران تغادر البيت .. ثم دعها لنفسها لفترة لتعيد التفكير فى الأمر لعلها تفيق وتتذكر واجباتها تجاه ابنائها وتجاهك وتجاه

ربها .. فإن استمرت فى غيها .. ولم تشأ انت ـ غير ملوم وتقديرا لمصلحة ابنائك ـ ان تفصل مابينك وبينها .. فواصل الصبر والاحتمال من أجلهم لعلهم يعرفون لك ذلك ذات يوم وفز فى هذه الحالة بالجائزة الثانية من جائزتى الزواج وتعلم الحكمة على حساب راحة القلب .. والأمر لله !.

الجـائـزة الأولـــى

أنا من القارئات المعجبات ببريد الجمعة .. وكان ذلك هو ما دفع زوجي إلى إرسال الرسالة التى نشرت منذ أسبوعين بعنوان « الجائزة الثانية » وقد قرأتها وعرفت انني الزوجة المشكو منها لأنها كما قال « نكدية » ولا تتحدث معه ولا تحس به وعابسة دائما وقد وقفت إلى جانبه وأنصفته دون أن تعرف وجهة نظري .. فقد شكا زوجي من أنني اتشاحن معه بعد أن نعود من زيارة أحد الأقارب وأنا أسألك يا سيدي تخيل أنك جئت لزيارتي وكنت فى غاية السرور ثم لم أقابلك أو قابلتك ولم أصافحك ماذا سيكون شعورك ؟.. ألن تغضب .. وربما لاتعود لزيارتي مرة ثانية ؟ ان هذا هو مالا أريد أن أفعله فأنا لا أريد أن اقاطع أهل زوجي لأني أحبهم مثل اخوتي وأهلي تماما .. ولهذا فأني أصارحه بعد الزيارة بغضبي من فلان أو فلانة على سبيل الفضفضة .. ولكي تصفو نفسي فيأخذ ذلك على محمل آخر ويتهمني بأنني اكره فلانا أو فلانة ..

أما عن شكواه بخصوص الاستغناء عن بعض الأشياء من البيت وإهدائها للبعض فلماذا نزحم بيتنا بأشياء لاضرورة لها .. ولماذا يكون فى

الحمام أكثر من بانيو أو أكثر من ثلاث غسالات ؟

أما عن الوجه العابس فذلك ليس على سبيل الدوام .. فأنت تعرف ياسيدى أن رتابة الحياة والمعاناة من الملل تجعل الفرد منا مرهف الحس فى بعض الأحيان .. وأخيرا أشكرك على رأيك الذى اقتنع به ونفذه بالفعل فقد هجرنى كما ارشدته ! والسلام عليكم ورحمة الله !

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لم يخطئ من قال « قاض فى الجنة .. وقاضيان فى النار » إشارة إلى ثقل الأمانة التى يتحملها من يتصدى للحكم بين الناس بعد أن يسمع للطرفين ويمتحن أدلة كل منهما .. ومع ذلك فقد يظلم بريئا ويتحمل وزره أمام خالقه .. فما بالك ياسيدتى بمن لا يملك وسيلة لتحرى الحقيقة سوى أن يحاول استشفافها من بين ثنايا السطور ، وان يعتمد على صدق إحساسه وسابق تجاربه مع مشاكل الآخرين فى إصدار الأحكام .

إننى لا أقصد بذلك أن اتنصل مما أقول .. لكنى أوضح فقط أننى لا استطيع أن أفعل مافعله العادل عمر بن الخطاب حين جاءه شخص فقئت عينه فلم يحكم له انتظارا لأن يسمع لخصمه قائلا كلمته المشهورة « فلربما يكون قد فقئت عيناه الاثنتان ! » ذلك لأنى لا أجلس إلى منصة قضاء .. وإنما اجتهد فى أن أقدم مشورتى لمن يطلبها منى فى ضوء ما يعرضه على من وقائع وما يهدينى إليه احساسى بصدقه :

فإذا كان صادقا فيما يقول فقد تفيده مشورتى .. وان لم يكن كذلك فلقد خدع نفسه قبل أن يخدعنى ولن تكون نصيحتى هى الرأى السليم فى مشكلته ولعل رسالتك قد اتاحت لى الفرصة لأوضح هذه الحقيقة

التى طالما ألحت على من قبل .. أما عن مشكلتك .. فان رسالتك صادقة وأمينة لأنها تكاد لم تنكر شيئا مما جاء فى رسالة زوجك اللهم إلا مسألة الصوت العالى لكنها أوضحت وجهة النظر الأخرى فيه ، وهذا ما نحتاج إليه دائما لأن لكل حقيقة وجهين .. وسماع الرأى الآخر قد يقرب وجهات النظر ويحقق نوعا من التلاقى فى منتصف الطريق . وصدقك فى رسالتك ياسيدتى وأسلوبك المهذب فى الرد بالرغم مما نالك من أذى نفسى من ردى على رسالة زوجك يقطع بامانتك وأصالتك وكرم أخلاقك ورقة مشاعرك .. وكل ذلك يرشحك للسعادة والوفاق مع زوجك المحب الحريص عليك المتلهف على ان تشاركيه حياته واهتماماته الصغيرة وآماله وأحاديث الحياة اليومية التى تروح عن القلب بعض همه ولا شك أن ذلك من حقه .. كما هو من حقك عليه أيضا .

وخطورة عزوف الزوجة عن مشاركة زوجها حياته وآماله واهتماماته .. مع العبوس والتجهم والانفراد بالنفس هو أنه يوحى بموقف متحفظ متكبر تجاه الزوج يشى بجفاف المشاعر والعواطف .. ربما لاتعنيه الزوجة لكنها قد تؤخذ به وقد يكون سببا كافيا لهدم عشها وسعادتها ، فحين يحل الخصام ويسود الاكتئاب وافتقاد الايناس يغيب السلام النفسى وتفقد الأشياء قيمتها .. فلا يصبح لمال ولا لمركز اجتماعى قيمة .. لهذا يقول سليمان الحكيم فى سفر الأمثال « لقمة يابسة مع سلام .. خير من بيت ملآن بالذبائح مع خصام » .

وأنت إنسانة صادقة مع نفسك ومع الآخرين فكيف لاتنالين ما

تستحقين من سلام نفسى بقليل من مغالبة النفس على أن تستجيب لما يطلبه منك زوجك من مشاركته حياته والتخلى عن بعض مايثير شكواه .

على أية حال فانى اعتبر رسالتك هذه إشارة ضوء إلى انك قد استشعرت كل ذلك وإلى تغيرات هامة فى افكارك .. وإشارة ضوء أهم إلى زوجك لكى يعدل عن هجره ويعود إلى الائتناس بك ورشف رحيق السعادة معك .. وأبشره نيابة عنك بأنه سيفوز إن شاء الله بالجائزة الأولى من جائزتى الزواج .. وهى السعادة الزوجية .. فلا يبيتن الليلة إلا وانتما متصافيان متحابان بأمر الله .. وهنيئا لكما عودة الوفاق والسعادة ودفء المشاعر وكفانى ما اتحمله من أوزار أرجو زوجك رجاء شخصيا أن يخصم منها وزر إبتعاده عنك .

المرايا

لن أبدأ رسالتى بالمقدمة التقليدية عن إعجابى بـبريد الجمعة.. ولا عن تأثرى ببعض ما اقرؤه فيه إلى حد أن تدمع العين لبعض المشاكل وينفطر القلب لبعضها الآخر.. فقد كنت اعتزم ان اكتب إليك بمشكلتى فإذا لى اقرؤها على لسان قارئ آخر فى رسالة الجائزة الثانية التى يشكو فيها كاتبها من زوجته .. وهكذا الحياة تتشابه مشاكل الناس فيها ، وتتكرر كأنها تنعكس فى مرايا الآخرين ، وكأنى بكاتب هذه الرسالة قد اعفانى من ان أعيد سرد قصتى عليك .. أما أكثر مالفت نظرى بوجه خاص فهو أننى كنت مثله فى السادسة والأربعين من عمرى حين واجهت هذا الاختيار الذى أسميته فى ردك بين أن يفوز الإنسان بالجائزة الأولى للزواج وهى السعادة الزوجية .. أو يرضى بالجائزة الثانية وهى جائزة الحكمة ويصبر على مايلاقيه من عناء وتعاسة مع زوجته ..

فى هذه السن نفسها واجهت مثله هذا الاختيار .. بعد أن وصلت إلى المرحلة التى نصحت فيها الزوج ان يستثير خوف الزوجة على استمرار حياتها الزوجية لكى تبذل بعض الحرص على ارضاء زوجها ونجاح

الزواج ولكن التخويف والتهديد لم يجديا فى ظروفى مع زوجتى لأنها مقتنعة تماما بأنها أحسن الناس وأفضلهم .. بل بأنها أفضل من الملائكة فى تصرفاتها لكن عينى المريضة هى التى تعمى عن محاسنها . فإذا ماسقت إليها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى وجوب طاعة الزوجة لزوجها .. كان ردها أن « الرجال » الذين قصدهم الرسول بحديثه لم يعد لهم وجود الآن ! ! ومع مافى ذلك من اهانة لى فقد كنت أتحملها من أجل أولادى حتى تمكن منها تماما هذا الاحساس بتفضيل ذاتها وأهلها على كافة البشر.. ولم تعد تجدى معها أية محاولات .

فماذا كان على أن أفعل .. هل اكتفى بالمعاناة والصبر واجترار الآلام إلى مالانهاية قانعا بالجائزة الثانية ؟..

لقد قررت أن اختار الجائزة الأولى وتجاوزت مرحلة التهديد إلى الزواج وتزوجت فعلا غيرها وأما كيف .. فلست أدرى .. وممن تزوجت ؟.. فأى إنسانة .. فلقد كنت مشتت الفكر كصديقى كاتب الرسالة الأولى حتى وصلت إلى مرحلة الشك فى أنى إنسان سيىء فعلا إلى هذا الحد .. فكيف ترضى بى إنسانة أخرى .. فإذا برحمة ربك تنتشلنى من حيرتى وعذابى وإذا بأبنة العشرين ترضى بى زوجا وهى سعيدة وإذا بى وقد تزوجتها منذ ست سنوات فعرفت للزواج شكلا ومعنى ومذاقا مختلفا تماما عن محنتى الأولى .. فلقد رباها أهلها على أن الزوج هو رب الأسرة المطاع وان المرأة هى السكن والمودة والرحمة .. ولا أريد الاسترسال فى ذكر محاسنها حتى لايتصور أحد أنى قد فتنت بها لفارق السن بينى وبينها وهو مالم يحدث واقسم لك على ذلك .. فماذا

حدث على الجانب الآخر؟..

لقد ازداد عناد زوجتى الأولى وازداد ضجيجها الذى كان يتم داخل جدران بيتنا فامتد إلى بيوت الآخرين من الأقارب وغير الأقارب .. ووجدت فى اقدامى على الزواج بعد أن أعيانى أمر اصلاحها والتفاهم معها مبررا لكل تصرفاتها السابقة واللاحقة .. وازداد الهجوم على بأنى خائن للعشرة وغير معترف بأفضالها .. وغير شاكر لنعمة الله التى انعمها على بزواجى منها .. ثم امتد الأمر بعد ذلك إلى الاتهامات المألوفة فى الظروف المماثلة من نوع أنى قصرت دائما فى حقوقها فلم تر معى يوما واحدا سعيدا .. ولم اشتر لها ماتحتاجه من ملابس .. بل ومن قوت ضرورى أيضا سامحها الله وسامح كل من يفترى ظلما على غيره .. مع أنها لاتعمل وليس لها مصدر دخل سواى وأننا والحمد لله نعيش فى مستوى معقول بين متوسطى الدخل .. ولم يقف الأمر عند ذلك .. بل بدأت فى اقناع أولادى بأننى ماكنت لها يوما وأنها قد تحملت آلاما لاطاقة لبشر بها من أجلهم ومن أجل تربيتهم .. فإذا بأبنائى الذين كانوا يوبخونها بسبب تصرفاتها معى ينحازون إليها وإذا بى قد أصبحت الأنانى الذى سيقتل امهم بعد أن تصنعت المرض أمامهم وادعت أنها تأتيها الكوابيس فتنهض مذعورة .. أولادى .. البحر .. الحريقة .. قلبى .. الضغط .. منه لله !!!

مع أن كل الأطباء الذين عادوها اكدوا أنها لاتشكو من أى مرض عضوى .. لكنهم بالطبع كما قلت أطباء لايفهمون فى الطب !!

سيدى ... ماذا يفعل صاحب الجائزة الثانية إذا خرج من مرحلة

التخويف والتهديد التى مررت بها إلى مرحلة الاقتناع والتنفيذ كما حدث معى .. أننى أقول لك صادقا أنه وغيره من الأزواج التعساء الذين يعانون من نفس هذه المشكلة يصبحون صيدا سهلا لأى طائر يحوم حولهم مهما كان سن الرجل أو وضعه الاجتماعى .. لأن الرجل إذا تشكك فى رجولته من جانب أقرب الناس إليه وهى زوجته أقدم على ارتكاب أى شيء وأى زوجة تشق زوجها بكبريائها وعبوسها ونكدها وعدم التجاوب معه إنما ترفض رجولة الرجل وتحاول أن تكون هى رجل الأسرة الذى تنازل وقبل الارتباط بالزوج واعطاه اسمه !.. وعليه أن يكون لذلك من الشاكرين .. فماذا يفعل مثل هذا الزوج .. اما ماذا أفعل أنا فتلك رسالة أخرى أرجو أن يتسع لها قلبك ذات يوم والسلام عليكم ورحمة الله ..

ولكاتب هذه الرسالة أقول : يفعل الزوج ما أشرت إليه من قبل وهو ان يختار بين الجائزتين إما أن يبحث عن سعادته الخاصة مهما كانت التبعات والمشاكل التى تترتب على ذلك .. واما أن يضع مسئولياته الأسرية دائما أمام ناظريه ويضحى بسعادته الخاصة لحساب ابنائه ويرضى بجائزة الحكمة .. وانت قد اخترت .. لكنى مااخترته قد يصلح لك ولايصلح لغيرك . لأن لكل إنسان ظروفه الخاصة التى لايستطيع أحد تقديرها سواه .. لهذا فأنى لا أنصح حائرا بأحد هذين الاختيارين واترك دائما لضميره وقلبه ومدى قدرته على التضحية والاحتمال ان ترجح كفة أحدهما .. وان كنت أفضل شخصيا ألا ينفد صبر الزوج وألا ييأس ابدأ من المحاولة حماية للأبناء من التمزق بين الأبوين .. فقد

علمتنى الأيام وما أقرؤه فى رسائل بريد الجمعة ان الأبناء لايفهمون ابدا لغة السعادة الخاصة التى يبحث عنها الزوج مهما كانت زوجته لاتحتمل .. لأنها فى النهاية أمهم .. ولأنهم يريدون لأنفسهم دائما الأفضل والأحسن .. والأفضل بالنسبة لهم دائما هو الحافظ على كيان الأسرة مهما كانت التضحيات التى يتحملها الأب أو الأم .. وقصتك خير تصوير لموقف الأبناء من هذه القضية .. فأبناؤك الذين كانوا يلومون أمهم على سوء تصرفها معك .. قد انحازوا إليها بعد اقدامك على الزواج ورأوا فى ذلك انانية سوف تقتل أمهم . وتغلبت عاطفتهم تجاه أمهم على مشاعرهم لأنهم احسوا أيضا انهم قد أضيروا نفسيا بزواجك من أخرى .. والأم عموما أكثر تأثيرا من الأب .. والجانب العاطفى أكثر تأثيرا عليهم فى هذه الظروف من الجانب العقلانى والمنطقى .. وهو على أية حال موقف شائك وشديد التعقيد دائما .. ورسالتك على أية حال فرصة طيبة لكى نقترب من أفكار « الرجل » ومشاعره حين يواجه هذا الموقف العصيب وفى ذلك بالتأكيد مايفيد بعض الزوجات .. ومايحقق بعض العدالة فى طرح وجهتى النظر فى المسألة ، وهى أيضا رد مناسب على بعض من يرون أنى أفسح المجال فى بريد الجمعة لوجهة نظر المرأة ومشاعرها فى هذا الموقف .. وهو اتهام لاسند له لأنى أعرض ما اتلقاه من رسائل تصور مواقف الحياة المختلفة وحيرة الإنسان الأزلية ازاءها .. فإذا كانت رسائل المرأة أكثر .. فأنها الأكثر شكوى .. والأقل حيلة فى بعض الأحيان .. وان كانت رسائل الرجال أقل فلأنهم أقدر على التصرف فى حياتهم حين يواجهون هذه العقبات .. لهذا فنحن نسمع

فقط للمعذبين بحيرتهم .. وبعدم قدرتهم على اتخاذ القرار تقديرا للاعتبارات العديدة أما ذوو الحسم والجرأة على الاختيار مثلك .. فقليلا مانقرأ لهم إلا بعد ان يكون السيف قد نفذ ليحدثونا عما فعلوا .. وليشرحوا دوافعهم والقادرون على الحسم قليلون دائما فى كل مكان وزمان ..

أما كاتب الرسالة الأولى .. فلا تقلق عليه .. ولعلك قد قرأت رسالة زوجته التى تشرح فيها وجهة نظرها فيما يشكو منه زوجها .. مما يفيد أنها تستشعر ضرورة التفاهم والتقارب والالتقاء معه حول نقطة وسط وهى علامة مبشرة .. تؤكد أنه لن يحتاج إلى مواجهة الاختيار وان جائزته الأولى مع زوجته وابنائه قد أصبحت قريبة المنال بالنسبة له .. ومبارك عليه ما استحق .. وعقبى لكل المعذبين والمعذبات فى كل مكان ان شاء الله .

الـرّجــل الغــريـبّ

مشكلتى باختصار هى أننى واحد من أبناء جيل الهجرة فلقد هاجر أبى أو سافر للعمل فى إحدى الدول العربية وأنا طفل عمره ٣ سنوات وشقيقى الأصغر لم يكمل عامه الأول ، واستمر أبى فى عمله فى الخارج لمدة ١٧ سنة لم نكن نراه خلالها سوى لمدة شهر واحد كل عامين ، لأنه كان يفضل أن يعمل عاما بلا إجازات ليتقاضى أجر الإجازة ، ثم يعود فى العام التالى لزيارتنا لمدة شهر ولقد وفر لنا سفره للخارج أشياء عديدة ، فانتقلنا إلى شقة أوسع وأرقى وأصبحت لى سيارة خاصة ، وأصبح مستوى انفاق أكبر من انفاق زملائى بلا انحراف والحمد لله لأن أمنا نشأتنا على التمسك بالدين والأخلاق القويمة . وفجأة منذ ٤ شهور قرر أبى مكرها أن يعود من الخارج وان يستقر معنا فى مصر فعاد واستقر وبدأت مشكلتنا العجيبة .. فالمشكلة هى أننى وأخى نشعر منذ عاد أبى أن هناك رجلا غريبا عنا يعيش معنا فى شقتنا .. رجلا لم نألفه ولم نعتد الحياة معه ولانعرف عنه الكثير اللهم إذا اعتبرت الإجازات القصيرة المتباعدة فترة كافية لمعرفة

إنسان والتآلف معه ، لكن الواقع الذى نحسه يقول لنا غير ذلك .. فنحن ـ وأكرر مرة أخرى ـ نشعر بأن رجلا غريبا يعيش بيننا .. وبلا سبب واضح ! كما إنه لايعرف كيف يتعامل معنا ولا يزال يتصور أننا مازلنا أطفالا صغارا ويتعامل معنا على هذا الأساس ويعاملنا أحيانا كما لو كنا مرضى بمرض عقلى ويتصرف أحيانا بطريقة غريبة علينا لا أعرف كيف أصفها لك وفى بداية وجوده معنا طلبت منا أمنا أن نقترب منه وأن نجعله يتألف معنا ومع طريقة حياتنا ، وبالفعل بدأنا نخرج سويا ونحاول أن نجتذبه إلى عالمنا لكنه رفض باصرار فهو لايحب الموسيقى ، ويعتبر مثلا أن سهرة فى ملهى ليلى أفضل ألف مرة من سهرة فى الأوبرا وقد حاولنا كثيرا أن نتأقلم معه لكننا وبعد أربعة شهور من عودته نشعر بأن الحياة معه مستحيلة ويتعاظم داخلنا الشعور بالغربة عنه وبالكراهية له !

إننى أشعر بالذنب لهذا الإحساس بل وأخجل منه لأنه بينما يشعر الجميع بالحب لآبائهم فأنى أشعر تجاهه بالكره والاغتراب .. فماذا تنصحنى أن أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة الخطيرة أقول : الطريق إلى جهنم قد يكون مفروشا أحيانا بالنوايا الطيبة ! فلا شك أن نوايا أبيك عند هجرته كانت طيبة وشريفة وكان إسعادكم وتوفير امكانات الحياة الكريمة لكم هى غايته وهدفه ، لكن سفره وحيدا وغيابه الطويل عنكم بلا مبرر وتباعد الاجازات وقصرها قد أفسد عليه أهدافه الشريفة من حيث لايدرى ـ ونحن نشجع الجميع على أن يسعوا فى الأرض فى

مصر وفى خارجها وعلى أن يكافحوا لرفع مستوى حياتهم وحياة ذويهم لكننا نطالب دائما بالحفاظ على وحدة الأسرة بقدر الامكان هنا وفى أى مكان ، فإذا تعذر اصطحاب الأسرة فلتكن الهجرة إذن قصيرة ومحددة بأهداف قريبة اتقاء لمخاطر عديدة من بينها هذا الخطر الجديد الذى تعرضه رسالتك بقسوة بالغة ! إن الغياب الطويل قد يضعف الروابط لاشك فى ذلك .. لكن أيصل الأمر إلى هذا الحد حقا ؟ أم أن هناك نقصا ما لم تلتفت إليه أمكما فى ربطكما وجدانيا بابيكما خلال سنوات الغياب الطويل هو الذى أثمر هذا الشعور بالغربة والكراهية تجاهه .

لا أستطيع أن أجزم بالإجابة .. لكنى أقول لك على أية حال أن الاقتراب من الآخرين يتطلب تنازلات متبادلة من الطرفين والصبر على اختلاف الطباع وتلمس جوانب الاتفاق وتجاهل جوانب الاختلاف وانتما الطرف المرشح أكثر من غيره لتقديم التنازلات لانكما مازلتما فى دور التكوين ولم تترسخ طباعكما بعد كما هو الحال مع ابيكما فحاولا أن تدخلا عالمه بنفس القدر الذى تحاولان فيه اجتذابه إلى عالمكما مع تأييدى لكما فى رفض حكاية الملهى الليلى هذه وخير ما تفعلانه لمقاومة هذا الاحساس الآثم هو أن تتذكرا دائما أنكما تتعاملان مع أبيكما الذى لايوجد على ظهر الأرض من يعنيه أمركما أكثر منه وأن الأب رمز رفيع لمعان جليلة وعميقة وتاج على رءوس الأبناء قد لايراه أحيانا إلا من حرموا منه فلا تتبطرا على هذه النعمة الجليلة التى افاء الله بها عليكما .. وتذكرا دائما أن محاولاتكما لقبوله

والتآلف معه والاقتراب منه هى أولا وأخيرا واجب إنسانى تجاه نفسيكما وتجاهه وحق لأبيكما .. وعبادة لربكما فلا تقصرا فيها .. والزمن كفيل بتذويب الجليد .

تحيـــة المســـاء

لا أعرف كيف أبدأ خطابي لك .. فالكلمات تتسابق فى خاطرى للقفز إلى الورق والأفكار تتزاحم داخلى وتثير حيرتى من أين أبدأ .. وأخيرا استقر اختيارى على أن أبدأ بالسنة الأخيرة من دراستى الجامعية وأنا طالبة بكلية التجارة .. فقد كنت واقفة ذات أصيل على محطة الأتوبيس انتظر عودتى لبيتى فإذا بشاب يتقدم منى بثبات غريب ويحيينى تحية المساء فنظرت إليه مستطلعة لعله يكون من أقاربى البعيدين أو من زملاء الكلية .. لكنى لدهشتى لم أعرفه فلم أرد تحيته فإذا به بجرأة عجيبة يقدم لى نفسه بأنه طالب بليسانس الحقوق وسوف يتخرج بعد شهور ومعجب بى منذ فترة طويلة ... إلخ ... فوجدت نفسى اقفز فى الأتوبيس وابتعد عنه وأنا اتعجب وأحاول استرجاع صورته فأجد ملابسه شبه رثة لكنه لايحس بذلك ويتكلم بثقة غريبة ـ وبعد قليل نسيت أمره فى زحام الأتوبيس وزحام الحياة ..

وبعد يومين وجدته أمامى على نفس المحطة فأشحت بوجهى عنه .. فإذا به يتقدم إلى كأنه أحد أقاربى ويواصل حديثه كما لو كان بدأه منذ لحظات ويقول لى أنه يريد أن يتقدم لخطبتى بعد التخرج لكنه يريد أن

يعرف رأيي أولا ! ، فالجمت الدهشة لسانى .. أى خطبة .. وأى رأى .. ولم أجبه وتحركت بعيدا إلى أن جاء الأتوبيس .. ثم ركبته وهو يودعنى ببساطة كأننا أصدقاء وفى هذه المرة لم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير فيه .. وكان أكثر ما يحيرنى فيه هو هذه الثقة التى يتحدث بها وكأنه ملك رغم تواضع ملابسه التى لاحظت أنه لم يغيرها كما لاحظت أنه يرتدى نفس البنطلون الرصاصى المتهالك الذى رأيته به فى المرة الأولى وتكرر اللقاء بنفس الطريقة عدة مرات ، وفى كل مرة يقدم لى بعض المعلومات عنه بلا طلب وبلا رد منى فعرفت أنه ابن لموظف على المعاش كثير الأبناء وأنه يعمل فى الصيف عامل محارة ويدخر بعض الجنيهات التى ينفق منها على تعليمه طوال السنة .. وأنه لاينتظر أى مساعدة من أبيه المثقل بالأعباء وفى المرة العاشرة طلب منى بأدب وإلحاح أن نتمشى على كوبرى الجامعة ليحدثنى عن أحلامه .. فلم استطع المقاومة وتمشيت معه لفترة قصيرة عرفت خلالها أنه يعرف عنى كل شىء .. وأنه راقبنى طويلا وتتبعنى عن بعد وعرف عنوانى .. وعرف أن أبى موظف بمصلحة كذا وأن لى أخوة وأخوات ... إلخ واعترفت لنفسى فى هذه اللحظة أنى ارتبطت به .. وان أكثر ما شدنى إليه هو هذه الثقة التى يتطلع بها إلى المستقبل وأنه لايشعر بأى نقص رغم سوء الحال بل ويرى نفسه جديرا بأفضل الأشياء وفاتحت أمى بالأمر فلم تجد فيه خطيبا واعدا بمستقبل مضمون .. فهو شاب لا امكانات له ومشواره طويل لكنى تمسكت به فوافقت مرغمة وانتهى الأمر بالاتفاق على ان يتقدم لخطبتى بعد الامتحان ، وجاء الموعد فجاء

خطيبى مع أبيه لقراءة الفاتحة وتقديم الدبلة وفى هذه الجلسة اكتشفت أن والده ليس موظفا بالمعاش كما قال لى وإنما سائق متقاعد لضعف نظره وغير متعلم ، وحين لفت نظره إلى أنه كذب على فى ذلك رغم عدم أهميته قال ببساطة أننا كنا فى فترة التعارف الأولى .. وأنه حاول أن يظهر أمامى فى صورة مقبولة ليفوز بى وأنه لاضرر فى ذلك !. ولم اتوقف كثيرا أمام هذه « الكذبة » بل لعلى اعتبرتها دليلا على شدة رغبته فى الارتباط بى وقتها وتخرجنا .. وبدأ يعمل فى المحارة فى انتظار أداء الخدمة العسكرية واقتصرت مقابلاتنا على يوم الجمعة .. ثم التحق بالجيش فطالت خدمته ثلاث سنوات بسبب ظروف حرب أكتوبر وخرج يبحث عن عمل .. فجاءه التعيين بالإدارة القانونية فى إحدى المصالح الحكومية وعينت مثله فى مصلحة أخرى .. وبدأنا نستعد للزواج فلم نستطع إيجاد الشقة وطلبت منه الانتظار إلى أن يتجمع لدينا ما نوفر به الشقة فرفض وأصر على الاسراع بالزواج وان نتزوج فى شقة أسرته أو فى بيت أسرتى إذا أردت وراجعت نفسى فوجدت أن ٤ سنوات قد مضت على خطبتى .. وأنه من مصلحتى أن اتزوج على أى وضع فقبلت واخترت أن نتزوج فى شقة أسرته وتزوجنا بأثاث غرفة نوم فقط وضعناه فى غرفة الصالون فى الشقة المكدسة بالأبناء ... وعشنا أيامًا سعيدة رغم الزحام والمتاعب التى لابد منها .. ثم ضقت بحياتى مع أسرته فانتقلنا إلى بيت أسرتى لعدة شهور .. حتى بدأت أمى تحثنى على مطالبته بشقة أو سكن مستقل .. ولم أكن فى حاجة إلى ذلك فقد كنت اطالبه كل يوم بالبحث عن شقة وأضع كل ما معى من مدخرات بين

يديه ، وبحث هو طويلا ثم عاد إلى ذات يوم بفكرة غريبة هى الاقامة فى غرفة من غرف شقة مكاتب فى وسط المدينة كان يؤجرها أحد المحامين وطلب مبلغا معقولا فيها .. واستغربت الفكرة لكن ضيقى بالاقامة بين أسرتى بعد زواجى .. دفعنى للموافقة ، فأسرع يبيع أثاث غرفة نومنا ويدفع المبلغ المطلوب ثم اشترى كنبة سرير ووضعها فى الغرفة ودعانى لرؤية بيت الزوجية فوجدتها غرفة بها مكتب وبعض المقاعد الجلدية العتيقة وهذه الكنبة التى تطوى فى النهار وتفرد فى الليل ، ورغم ذلك فقد سعدت ولم يقلل من فرحتى بها أن إلى جوارها غرفتين إحداهما لمحام والأخرى لمهندس ، وأن الشقة بابها مفتوح باستمرار لاستقبال زبائن المكاتب ! فلقد كانت لهفتى إلى جدران غرفة مستقلة أكبر من أى شىء ، وبدأت حياتى فى هذه الشقة العجيبة .. وكان أحب مافيها إلى أن فترة الصباح كانت خالصة لنا لأن العمل فى المكتبين لايبدأ قبل الظهر.

وفى هذه الشقة عشت عامين وأنجبت طفلا .. وكان زوجى قد انضم إلى نقابة المحامين فراح يساعد جاره المحامى فى بعض أعماله ويكسب بعض الدخل الذى ندخره لاستئجار شقة فى المستقبل ثم أوقف المهندس نشاطه وأغلق المكتب فعرض عليه زوجى أن يشترى غرفته واشتراها فعلا وأصبح لنا غرفتان من الشقة ذات الغرف الثلاثة لكن بقيت مشكلة هى أنهما غير متجاورتين وان مساعى زوجى قد فشلت فى إقناع المحامى باستبدال غرفته بالأخرى لتتجاور الغرفتان وإن كان لم يقطع تعاونه معه ! ثم فاجأنى زوجى بقرار جرىء آخر من

قراراته هو الاستقالة من الحكومة والعمل بالإدارة القانونية لإحدى شركات الاستثمار الجديدة .. ولم ينتظر موافقتى ونفذه بالفعل وأصبح له راتب كبير .. وعاد يحاول مع جارنا المحامى بلا يأس ومضت ٤ سنوات أنجبت خلالها طفلة أخرى ولم تخل الحياة فيها من متاعب الاقامة مع مكتب مفتوح للرواد لكنى تحملت كل شىء من أجل أولادى ومن أجل زوجى الذى كان بلسما لكل جراحى .

وبعد عامين من عمل زوجى فى الشركة الاستثمارية نجح فى إقناع جارنا المحامى بالتنازل له عن الغرفة نهائيا مقابل إلحاقة بوظيفة فى نفس الشركة .. ولا أعرف كيف نجح فى ذلك .. ولا كيف الحقه بالعمل فعلا لكنه حدث وأضفته أنا إلى قائمة معجزاته التى يصنعها بالاصرار والجرأة والثقة المتزايدة فى النفس .. وجاءت ذات يوم عربة نقل لتحمل أثاث المحامى .. وجاء زوجى بنجار ليقوم بتغيير الكالون ، ثم إستدار إلى بعد انصراف النجار وقال لى بفخر شديد : تفضلى ياسيدتى مفتاح شقتك الخاصة ! وهكذا أصبحت لى شقة مستقلة لأول مرة بعد الزواج بـ ٩ سنوات كاملة ! ولا تسل عن فرحتى بها .. ولا عن الأيام التى امضيتها فى تنظيفها من مخلفات سنين طويلة ، ثم علقت فيها الستائر .. واشتريت بعض الأثاث المستعمل ووضعته فيها . ومضت الأيام جميلة سعيدة .. وبدأنا نعرف طعم الرخاء فى حياتنا بعد أن زال عنا هم الشقة .. ثم تعثرت الشركة التى يعمل بها زوجى واستغنت عن معظم موظفيها .. ومنهم زوجى فلم يهتز .. وإنما اختفى ذات يوم وعاد معه لافتة باسمه وضعها على باب الشقة .. وحول غرفة الصالون إلى

مكتب وبدأ يعمل بالمحاماة ولم يمض وقت طويل حتى أصبح مستشارا لشركة أخرى مع استمراره فى العمل كمحام ثم اشترى سيارة وراح يتنقل بها بين الأقاليم لمتابعة قضايا الشركة وقضاياه الخاصة .. ثم اشترى شقة فى مصر الجديدة وأثثناها لتكون مسكننا وانتقلنا إليها وأخلينا الشقة القديمة لتكون مكتبا خاصا له .. وأصبح لزوجى مساعدون فى مكتبه منهم جارنا المحامى القديم !

وكبر الأولاد فالحقناهم بمدرسة راقية .. وكثرت مطالبهم فطلب منى زوجى الاستقالة من العمل والتفرغ لهم وله .. واستجبت لطلبه فكافأنى بأن اشترى لى سيارة صغيرة لأزور بها أهلى وشقيقاتى وتوسع زوجى فى عمله وأصبح عنده موظفون وسكرتيرة ، واهتم بمظهره اهتماما مبالغا فيه فأصبح لايرتدى إلا البذل الفاخرة ويبالغ فى ذلك حتى ذكرته ذات يوم بالبنطلون الرصاصى المتهالك فغضب قليلا .. ثم صفا .

واردت أن أشكر الله على نعمته فتحجبت بغير دعوة منه .. واكثرت من الصلاة والتصدق ، ودعوته للصلاة .. فوعدنى بالمواظبة لكنه أخلف وعده وتركزت حياتى فى رعاية أولادى الذين أصبحوا ثلاثة .. ورعاية زوجى فارسى القديم وزيارة أهلى وأهل زوجى طلبا لرضاء الله .. وطلبت منه ان نحج معا فاعتذر لى بكثرة مشاغله ورتب لى رحلة الحج مع أبى ودفع نفقاتنا معا فأديت الفريضة ودعوت له كثيرا .. وعدت سعيدة شاكرة وفى غمرة السكينة التى نزلت على بعد أداء فريضة الحج فوجئت بإحدى صديقات النادى الذى أذهب إليه

كل أسبوع مرة مع الأبناء تنظر إلى بغموض ثم تسألنى بعد تردد : ألم تسمعى شيئا عن زوجك ؟ فانقبض قلبى بلا سبب وسألتها عما تعنى فإذا بها تنزل على بخبر لم اتصور ان أعيش لأسمعه ذات يوم فقد قالت لى إن زوجى تزوج وأنا فى الحج .. وان الجميع يعرفون ذلك .. وممن تزوج ؟ من أرملة فى الثامنة والأربعين تكبرنى بعشر سنوات وتكبره بـ ٤ أعوام .. لكنها ثرية ومن أسرة عريقة .. ولها أبناء تخرجوا فى الجامعة ! ولم أصدق ما سمعت لكنها أقسمت لى على صدقه وأنه يظهر معها فى المجتمعات وتزوره فى مكتبه ويزورها فى بيتها .. ويحضر الدعوات العائلية معها .

وعجزت عن النهوض من مقعدى فطلبت من صديقاتى أن تستدعى أولادى من الملاعب وان تقود سيارتى للبيت ففعلت .. وجالسنى فى بيتى فترة تحاول تهدئتى فغبت عن الوعى ولم أشعر إلا .. وهى ترش على الكولونيا . ثم شكرتها وطلبت منها أن تتركنى لاستريح فى فراشى .. وساعدتنى فى النهوض لغرفة نومى وأوصت الأولاد بالاهتمام بى وانصرفت وأغلقت باب حجرتى على ودخلت فراشى .. وانفجرت فى البكاء حتى جفت دموعى .. وبقيت فى فراشى حتى جاء زوجى ورآنى فتوجس خيفة .. ثم وضع يده على جبهتى ليتحسس حرارتى .. فدفعت يده بعيدا عنى واغمضت عينى لكيلا أراه .. ثم انصرف وعاد بعد قليل بطبيب تفحصنى وقال أن ضغطى منخفض للغاية أنى فى حاجة إلى راحة وبعض الأدوية وظللت فى فراشى ثلاثة أيام لا أغادره إلا للحمام ولا أشعر بالقدرة على المشى ورجوته أن ينام فى

غرفة الأبناء لحاجتى للراحة وفى اليوم الرابع جاء يسألنى عن صحتى فقلت له : كلمة واحدة .. أريد الطلاق !

ففهم ما حدث .. لكنه لم يخفض رأسه كما يفعل الخونة حين يضبطون متلبسين بخياناتهم .. ولم يذرف دمعا .. وإنما نظر إلى فى هدوء وبالثقة التى تفلق الحجر ثم قال لى أنه يعرف ماذا أقصد وانطلق يتحدث بجرأة ووقاحة لانظير لها عن « ظروف » هذا الزواج وكيف أنها سيدة يقوم لها بأعمال كثيرة يكسب من ورائها الكثير وأنهما سيشتركان معا فى مشروع يدر عليه عائدا كبيرا وأنها جعلت زواجها منه شرطا لاستمرار المشروع والتعاون معه لكى تأمن على مالها ! وأنه اضطر « للتضحية » من أجل مستقبل الأولاد .. ولكى يكون « لى » ثروة .. وأنى حبه الأول والوحيد ... إلخ .. فوجدت نفسى بغير أن أدرى اقذفه بالوسادة واطلب منه الخروج فأسرع بالفرار ..

ومضت أسابيع وأنا مصممة على قرارى .. وهو مصمم على أن أعيد التفكير فى الأمر من أجل الأولاد ومن أجل « حبنا » القديم .. وقد حرمت عليه دخول غرفة نومى .. واسرفت فى البكاء واحتساء القهوة حتى تورمت عيناى .. وأصبحت أشرب عشرة فناجين كل يوم وظهرت الهالات السوداء تحت عينى .. وكلما فكرت فى الأمر ازددت جنونا .. ارملة أكبر منه وعندها أولاد تخرجوا فى الجامعة ولسبب حقير كهذا السبب ! أين هذا الحب اذن الذى يتحدثون عنه .. وأين الاخلاص والوفاء .. وتقدير كفاح الزوجة مع زوجها .. ألم أقبله وهو

يرتدى بنطلونه الرصاصى الشهير .. ألم اتزوجه فى بيت أسرته الذى يزدحم بعشرة افراد .. ألم اتزوج فى غرفة مكتب فى شقة بابها مفتوح ويدخلها العشرات كل يوم .. ألم .. ألم .. كيف إذن باعنى بهذه السهولة .. وهل هذه هى الجائزة التى يقدمها لى بعد أن صبرنا على المتاعب معا .. وحققنا أحلامنا وأصبحت لنا حياة سعيدة مستقرة .. وأبناء كالزهور المتفتحة نفخر بهم ، ثم ماذا ينقصنا ؟ مكتبه يدر دخلا كبيرا ووظيفته راتبها كبير ولدينا شقة تمليك ومدخرات .. فلماذا يفعل بى هذا وفى وسط هذا العذاب أفاجأ ذات يوم بتليفون ... هل تعرف ممن ؟ من غريمتى نفسها ياسيدى تتحدث إلى بكل جرأة وتطلب منى ببساطة أن اعتبرها « أختا » أكبر لى وأن اعترف بالأمر الواقع .. لأن « الدنيا » تتسع لكلينا .. ولا داعى للعذاب .. وهناك مصالح كثيرة .. فأغلقت السماعة قبل أن تكمل حديثها وظللت انتفض غضبا لعدة دقائق ، ولقد مضت شهور والحال على ماهو عليه فلا هو يريد طلاقى ولا هو يريد طلاقها ويريدنى أن اعترف بما حدث وأن اتقبله .. وان اتعايش معه .. لكنى أحس لسع النار فى جسمى كلما حاول أن يحدثنى عن هذا الموضوع .. أو يطلب منى أن أسامحه واتنازل عن الطلاق .. إننى لست مستعدة لأن انازعه فى المحاكم واطلب الطلاق عن طريق المحكمة لأنه فى النهاية أب لأولادى .. وأول من خفق له قلبى بالحب لعنة الله على كل حروفه . ! ويقسم لى أنه نادم على ما فعل ويعرف أننى لا استحق منه ذلك ومستعد لأن يكفر عن جريمته فى حقى بأى شىء أراه .. وبأى تضحية أطلبها لكنه يرجونى ألا أطالبه بطلاقها لأن له

معها مصالح كثيرة ! فماذا أفعل يارب مع هذا الرجل وبماذا تشير علي ..؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : فى رسالتك الكثير مما يثير الضيق لكن أكثر ما أثار حنقى فيها هو « ندمه » هذا ورغبته العجيبة فى التكفير عما فعل بأى تضحية يقدمها لك إلا طلاق زوجته الأخرى !

فلقد ذكرنى ذلك بندم الرشيد المشهور عما فعل بوزيره ومربيه يحيى البرمكى وقصة تكفيره عنه ، فلقد كان هارون قد أقسم له فى أول خلافته ألا يناله منه أذى مهما فعل ثم سجنه فيما بعد ونكب بالبرامكة كلهم ، وأحس فيما بعد بالندم على حنثه بيمينه لصديقه وأراد أن يكفر عن ذلك ... فقرر أن يحج ماشيا إلى مكة !.. ونفذ قراره بالفعل وتكبد فى رحلته هذه مشاقا كبيرة وتكبدت الدولة التى رافقته فى رحلته الشاقة بجيوشها ووزرائها وقادتها وخدمها وحشمها نفقات باهظة .. ورغم كل ذلك لم يفكر الرشيد فى أن يكفر عن حنثه بقسمه باطلاق سراح وزيره من السجن وتركه إلى أن مات فيه وهو فى السبعين من عمره !

وهذا بالضبط هو ما يريد أن يفعله معك زوجك .. أن يعبر عن « ندمه » ويكفر عن فعلته فى الاتجاه الآخر وليس فى الاتجاه الصحيح ! ولأنه ندم غير صادق فإن تكفيره أيضا غير صادق وليس سوى أحبولة جديدة من أحابيله لكى يقنعك بقبول الأمر الواقع والتعايش معه ليستمر هو بهدوء فى مخططاته للاثراء بنفس الجرأة التى اتسمت بها شخصيته منذ البداية ! وهذا هو أبشع ما فى غدره بك .

فكل إنسان معرض للخطأ وإذا صح ندمه عليه اغتفر له .. أما التلاعب بالكلمات والمعانى فهو شىء آخر يدخل فى دائرة الخداع .. وتزيد من بشاعته دوافعه إلى الاقدام على هذا الغدر ، ولو كان قد قاده إليه ضعف بشرى عابر لهان أمره وسهل الرجوع عنه وتجاوزه والصفح عنه .. أما أن يزلزل سعادتكما .. وبعد هذه القصة الطويلة الجميلة التى بدأت بتحية المساء على محطة أتوبيس لمجرد دافع مادى وضيع كهذا الدافع .. فهو ليس ضعفا بشريا ولا نزوة عابرة وإنما خطأ متعمد مع سبق الإصرار والترصد فى حق كل القيم السامية . ورفضك للاعتراف بهذا الواقع ومعايشته دليل جديد على نقائك الذى لم تفسده صعوبات الحياة فى البداية ولا رخاؤها فيما بعد وأنا أؤيدك بشدة فى رفضك لهذا الواقع المشين وأطالبك بألا تستسلمى له ولا تعطيه صك الغفران الذى يطلبه وأن تواصلى رفضه مع التمسك بموقعك ومملكتك إلى النهاية إلى أن يعود إلى رشده وسوف تنتصرين بالضرورة ومهما طال الانتظار .. لأنه لن يصح إلا الصحيح ولأنك البراءة والنقاء والحياة السوية الشريفة والحب القديم والأبناء والأم وعشرات المعانى الجميلة .. أما الأخرى فزوجك فعلا هو عقابها العادل لها من الدنيا على تطفلها على حياتك وسعادتك واستقرارك وهو طالب دنيا لن يستريح مهما جنى من مال ولن يهدأ ولن يرتوى فيما أظن لكنه لن يطول انتظارك قبل أن تسمعى قريبا وباذن الله عن منازعاتهما أمام المحاكم التجارية وليس أمام محاكم الأحوال الشخصية فقط لأن كلا منهما طامع فى الآخر وان اختلفت الدوافع وما يبنيه الجشع فى سنوات تذروه الرياح فى لحظات يا سيدتى

وعندها سوف يلجأ إليك نادما بصدق هذه المرة لكى تقفى إلى جواره فى محنته كما وقفت معه فى سنوات الكفاح الطويلة ولن تخذليه وسوف تقفين معه وتساعدينه على اجتياز المحنة من أجل ابنائك ومن أجلك .. ولأن الحب الحقيقى عطاء إلى النهاية ولو كان أحيانا لمن لا يستحقون !

اللقـــاء الأولـــــ

هل تذكرني ؟ إنني اكتب إليك لأن لك دورا هاما فى حياتى بالرغم من أنك لم ترنى ولا تعرفنى .. ولأبدأ من البداية لكى تتذكر قصتى فلقد كتبت لك منذ سنوات أروى لك قصة حياتى وقلت لك اننى تزوجت فى سن صغيرة من أحد أقارب أبى .. وأن زوجى كان يكبرنى بـ ١٦ سنة لكنه كان رجلا كريما ومهذبا وعلى خلق وكان فى ذلك الوقت معارا لدولة أفريقية فعشت معه فى الغربة ست سنوات ولم أنجب .. وعرفت أن الله قد شاء له ألا ينجب لأن معظم أخوته لم ينجبوا كذلك فالمنى أن اتصور أنى سأقضى حياتى كلها بلا أطفال ، لكن كرم أخلاقه وطيبته كانا يخففان عنى مرارة هذا الاحساس ، ثم انتهت إعارته وعدت معه إلى بلدته وعشت بجوار أهله فتعرضت لآلام نفسية كبيرة لأن أسرته تصورت ظلما أننى المسئولة عن عدم الانجاب ، وأننى حملت واجهضت نفسى وعانيت متاعب كثيرة معها حتى ضاقت بى الحياة فعدت من بلدته إلى أهلى .. وطلبت الطلاق ... وانفصلنا بهدوء بعد زواج دام ٨ سنوات لم أشك خلالها شيئا من زوجى .. لكن أسرته سامحهم الله حولوا حياتى إلى جحيم .

وواجهت الحياة كمطلقة وعمرى ٢٦ سنة .. وتحملت نظرات الآخرين إلى المطلقة وظلمهم لها . وحاولت أن اشغل نفسى بالعمل .. وأن أعيش حياتى فى هدوء وسلام عسى أن يعوضنى الله خيرا فى أيامى القادمة .. ثم مضت شهور وأراد الله أن اتزوج شابا يعمل بإحدى الدول العربية ، وتم الزواج بسرعة غريبة لأنى تصورت أنه طوق النجاة الذى سينتشلنى من عذابى بوضعى كمطلقة وأقبلت على حياتى مع زوجى الثانى .. وكلى رغبة فى ألا أفشل مرة أخرى .. فإذا بى اكتشف أن زوجى الثانى ـ سامحه الله ـ متزوج وله أولاد يقيمون فى قرية بعيدة بالوجه القبلى .. وأنه مدمن للسموم البيضاء وينفق معظم راتبه الكبير على إدمانه .. وإذا بى أعيش فى محنة جديدة لم اتصور أن تدخرها لى الأيام بعد محنة انفصالى عن زوجى الأول .. وواجهت الاختيار القاسى مرة أخرى بين أن أضاعف من عذابى بحمل لقب المطلقة للمرة الثانية وبين أن احمل ما لاتتحمله زوجة من معاشرة زوج ، رأيت فى أيامى الأولى معه من العذاب مايكفينى طوال حياتى ... وبغير تردد طويل اخترت الخيار القاسى .. وتوسلت إليه أن يطلقنى لأنى لا أصلح له وقبلت يده لكى يسرحنى باحسان .. فطلقنى واكتشفت فى ذهولى أن زواجى به لم يدم سوى شهرا واحد .. وعدت لحياتى وقد تضاعفت همومى فها أنا مطلقة للمرة الثانية .. وقد استصعب أن أجد من يرضى بمطلقة لمرة واحدة فكيف يكون الحال مع المطلقة لمرتين وبكيت حتى جفت دموعى وسلمت أمرى لله فإذا بى اكتشف أنى حامل من زوجى الثانى .. ياربى .. لقد تمنيت طفلا من زوجى الأول فلم تشأ إرادة

الله .. فكيف أحصل عليه من زوجى الثانى الذى تمنيت لو لم أكن عرفته أو التقيت به كأنما أراد الله أن يقول لى بالتجربة القاسية أن الحياة بدون أطفال مع زوج طيب أكرم من الحياة بأطفال مع زوج كزوجى الثانى وفكرت طويلا ماذا أفعل مع هذا الجنين الذى يتحرك فى احشائى والذى سيربطنى إلى الأبد بهذا الزوج الجلاد ، حتى ولو لم أعد إليه ، وكيف ستكون صلتى به وبيننا طفل من حقه أن يراه .. وأن يضمه إليه حين يكبر .. وسوف أضطر للاتصال به كى أراه ..

وغرقت فى احزانى وفى قمة حيرتى توصلت إلى أقسى قرار يمكن أن تتخذه أم كانت تتلهف مثلى على طفل لتثبت به لنفسها وللناس أنها قادرة على الانجاب .. واجهضت نفسى فى الشهر الثالث .. ودفعت ثمن جريمتى فى حق طفلى غاليا فقد عاقبنى الله عليها عقابا قاسيا فرقدت طريحة الفراش شهورا طويلة فى نزيف شبه دائم وآلام مستمرة بسبب خطأ فى عملية الاجهاض ومضت شهور ثم أذن الله بالشفاء بعد أن استوفى عقابى .. وخرجت إلى الحياة مرة أخرى .. وبحثت عن عمل لأشغل نفسى به .. ومضت ثلاث سنوات والحسرة لاتفارقنى على هذا الزواج الثانى الفاشل ولايخفف منها سوى تذكرى من حين إلى آخر أننى حملت خلالها وأنى صالحة للانجاب وخلال ملاطمتى للحياة علمت أن زوجى الأول قد تزوج منذ عدة سنوات ولم ينجب أيضا فتمنيت له السعادة فى حياته الجديدة ، ومضت الشهور والسنوات بغيران يطرق بابى أحد .. وكتبت إليك فى هذه الفترة أشكو إليك وحدتى وظلم الظروف لى .. ومعاناتى مع لقب المطلقة للمرة الثانية فرددت على

بكلمات طيبة تنصحنى بالصبر والايمان بالله وشغل حياتى بالعمل وبالالتزام الخلقى ، والتمسك بالأمل دائما ، وتقول لى أن المساء يأتى دائما حاملا معه مصباحه وسوف يأتى مصباحك ليضىء حياتك ويعوضك عما فات حين يأذن الله .. فقلت لنفسى أنك أكبر منى وتعرف الحياة أكثر مما أعرفها ولابد أنك ترى ما لا أراه .. فعملت بمشورتك .. وشغلت نفسى بالعمل والصلاة وتمسكت بالأمل .. لكن الشهور مضت وطالت ومعاناتى مستمرة فكتبت إليك مرة أخرى فجاءتنى كلماتك الطيبة تستحثنى مرة أخرى على الصبر وتقول لى أن الله لن يضيعنى مادمت أرعى حدوده وأثق به ، وأن كل آت قريب .

فهدأت خواطرى .. وحاولت أن احتفظ بابتسامتى فى وجه الحياة فى انتظار حتى كنت فى عملى ذات يوم ، فجاءنى شقيقى الصغير يقول لى أن فى بيتنا زائر قادم من البلد العربى الذى تعمل به أختى وأنه يطلب أن يرانى .. فخمنت أنه يحمل لى رسالة أو هدايا منها .. واستمهلت شقيقى بعض الوقت حتى أنهى عملى ثم عدت معه .. فإذا بهذا الزائر شاب رأيته منذ سنوات طويلة حين زرت مع أبى بلدته وكان أيامها طالبا بالمرحلة الثانوية وذكرنى بنفسه وتذكرته .. وذكرنى بأشياء كثيرة .. وقال لى أنه أحبنى فى صباه حين رآنى فى تلك الزيارة .. لكنه لم يفكر فى التقدم لى لأنه كان طالبا .. ولأنى كنت وقتها أستعد للزواج من زوج جاهز هو زوجى الأول .. وروى لى أنه انهى دراسته وتخرج وعمل بهذه الدولة العربية ، وأننى طوال هذه السنوات لم أفارق خياله لكن الظروف باعدت بيننا .. وقد علم مؤخرا بطلاقى الأول والثانى

معا .. ورأى الظروف ملائمة .. لهذا فهو يطلب يدى لأنه يحبنى منذ لقائنا الأول قبل ١٤ سنة !.. ياربى .. لقد جاء « الآتى » الذى بشرتنى به وطالبتنى بانتظاره فى صبر وإيمان والتزام .

لقد كنت قد كرهت الزواج .. لكن هذا الشاب أعاد إلى رغبتى فيه وتكررت زياراته لنا .. وحين سألنى عن رأيى لم أتردد لحظة .. وقلت له أنى موافقة ففوجئت به يخرج من حقيبته « الشبكة » التى أحضرها معه من الخارج ويقدمها لى ثم يقدم لى بعد أيام مهرا .. وكالحلم الجميل تزوجنا وسافر بعد الزواج إلى عمله .. وخلال ستة شهور فقط كان قد اشترى لنا شقة فى مدينتى وسجلها باسمى .. واثثناها أثاثا جميلا وأرسل لى الأجهزة من مقر عمله ، وجاء فى اجازة وأمضى معى شهرين فى شقتنا الجديدة مضيا كأنفاس الربيع الجميل وعاد إلى عمله وقد تعمد أن يختار شقتنا قريبة من بيت أسرتى لكى يؤنس أهلى وحدتى فى غيابه .. وأبى وأخوتى لايدعوننى فى حاجة إلى شىء فهم إلى جوارى دائما وزوجى يحادثنى تليفونيا كل أسبوع ويبثنى شوقه وحبه وأبثه لهفتى وهيامى ..

أما مسك الختام الذى أقوله لك لتسعد به معى فهو أنى حامل فى ٣ شهور وقد أكرمنى الله بالحمل بعد أن علم زوجى بشائعة أنى لا أنجب .. فاعزنى الله بالحمل .. لينفيها عنى ولأعرف منه أنه قد غفر لى ما كان من ذنبى حين أجهضت نفسى ، وأنا الآن فى الثالثة والثلاثين من عمرى وزوجى فى السادسة والثلاثين واتحمل فراق زوجى إلى أن انجب ثم سأسافر إليه .. لكى يجتمع شملنا ونعيش حياتنا معا إلى ماشاء الله . وقد

أردت أن انقل إليك سعادتى .. كما أرهقتك من قبل بخطاباتى وهمومى لاشكرك على كلماتك التى بثت الصبر فى نفسى .. ولأقول لكل اخواتى من المطلقات اللاتى يعانين ماعانيته من قبل لاتدعن اليأس يسيطر عليكن فمساء الحياة ـ كما تقول ـ يأتى حاملا معه مصباحه ، وكل أت قريب .. وبالعودة إلى الله والصلاة والصبر والتمسك بالأمل تتحقق كل الآمال إن شاء الله .. وشكرا لك .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : بل الشكر لك ياسيدتى أن حرصت على ان تشركينى وقراء هذا الباب معك فى سعادتك وفى دروس تجربتك الإنسانية . إن معنى هذه العبارة المعروفة عن المساء والمصباح .. انه حين تغيب الشمس فإنها لاتسلمنا أبدا إلى سديم الظلام .. وإنما يبزغ دائما وبعد قليل مصباح الليل وهو القمر .. لهذا فإن الظلام يأتى حاملا معه الأمل فى غد جديد .. وحياة أفضل .. وسعادة ننتظرها ونعيش على الأمل فيها أما أشد ساعات الظلمة كما تعرفين فهى اللحظات التى تسبق بزوغ الفجر .. وهكذا لاينبغى أن يغيب عنا دائما الأمل فى أن نتخفف ذات يوم من آلامنا .. وإلا استسلمنا لليأس .. واليأس هو البداية الحقيقية للضياع ولكل الشرور والآثام .. واليأس من رحمة الله فى الفكر الدينى من أشد الكبائر لأنه لايتردى فى الخطيئة ولا يقدم على الانتحار المادى أو الأدبى من بقيت فى نفسه ذرة أمل فى الله وفى الحياة الشريفة الكريمة لهذا قرن النص القرآنى اليأس بالكفر وقال : « إنه ليئوس كفور » وأنت ياسيدتى لم تفقدى أملك وصبرك وإلتزامك الخلقى والدينى .. فكان حقا على الحياة أن تهديك

جائزتك .. لأنه مرة أخرى كما تقول الحكمة القديمة من يفعل ماينبغى عليه أن يفعله ينل دائما ما يأمله ..

فشكرا لك وتمنيات طيبة لك بالسعادة والتوفيق .

الكرباج

أنا شاب عمرى الآن ٢٩ سنة من أسرة متوسطة الحال لى ٥ أشقاء وشقيقات أنا أوسطهم بدأت قصتى حين نجحت فى الثانوية العامة ورشحت للالتحاق بكلية يتمناها معظم الشباب وسعدت أسرتى بنجاحى وتفوقى فقد كنت مجتهدا طوال سنوات دراستى ولم أرسب مرة واحدة .. كما كنت شابا خجولا ومحبوبا من الجميع ولى أصدقاء عديدون واسمع دائما كلمات الإعجاب والثناء على اجتهادى وأخلاق من أقاربى وذات يوم زارنا أحد أقاربنا من الإسكندرية وأقام عندنا عدة أيام .. فانتهزت فرصة يوم الاجازة الأسبوعية وخرجت معه لزيارة معالم القاهرة .. وخرجنا وتجولنا فى الشوارع والمناطق السياحية وأراد قريبى أن يعبر عن شكره لى فأخرج من جيبه بعض الحبوب وتناول منها ثلاثا واعطانى واحدة وطلب منى تناولها لأشعر بالبهجة فأخذتها وتناولتها .. وشعرت ببعض البهجة فعلا ، وانتهت الجولة وعدنا وهو يشرح لى مزايا هذه الحبوب وكيف أنها غير ضارة وفى اليوم التالى أعطانى بعضا منها وظل طوال فترة اقامته بيننا يمدنى بها كلما طلبت ثم انتهت زيارته وسافر إلى مدينته فأحسست بالرغبة الشديدة فى الحصول

على الحبوب .. وخرجت ابحث عنها فوجدت بعد بحث قصير من يمدنى بها .. لكن مصروفى لم يستطع أن يفى بحاجتى المستمرة لها فبدأت اقترض من أخوتى .. وافتعل الأسباب لأحصل على نقود من أسرتى إلى أن فشلت كل الحيل .. وتعذر على الحصول على نقود جديدة فانقطعت عن الذهاب إلى الكلية وبدأت أبحث عن عمل حتى أستطيع أن ألبى حاجتى للحبوب .. وعملت فعلا وأصبحت «كائنا» يعيش لهدف واحد لاثانى له هو الحصول على هذه الحبوب الملعونة ولايهمنى طعام ولا شراب ولا ملابس .. ولا نجاح ولا طموح ولاشىء إلا هذه الحبوب وترسخ داخلى الاعتقاد بأنى سأموت لو امتنعت عن تناولها .. وهزل جسمى وثقل لسانى وأصبحت شبحا منفرا وعرف الجميع أنى ادمنت الحبوب المخدرة فابتعدوا عنى كأننى وباء حتى أقرب الأصدقاء نفروا منى وقاطعونى وأصبحوا يتجاهلوننى إذا مروا بى وتألمت لذلك كثيرا .. لكن ذلك لم يكن آخر الخسائر فلقد رسبت فى الكلية وأنا الذى لم أعرف الرسوب من قبل ثم رسبت سنة وأخرى وتحول طريق حياتى بعد أن تكرر رسوبى فى الكلية فنقلت إلى أحد المعاهد وفى إحدى نوبات الوهم سحبت أوراقى من المعهد بعد أن رسبت فيه أكثر من مرة ، ولم يصدر قرار بفصلى وكانت أمامى فرصة أخرى وإلى الآن لا أعرف لماذا سحبتها .. ولا ماذا كنت أخطط له حين سحبتها .. وإنما سحبتها وكفى وهكذا يتصرف الإنسان حين يدمره المخدر.

وفى وسط هذا الضياع تعرضت للموت مرتين بعد تناول جرعة زائدة ونقلونى إلى المستشفى بين الموت والحياة .. وليتنى مت

واسترحت .. فقد ماتت داخلى كل الأحاسيس .. ولاتسلنى لماذا لم أعالج نفسى فقد حاولت أكثر من مرة وتأكدت خلال ذلك من حقيقة هامة لايعرفها المدمنون هى أن أكبر طبيب فى العالم لايستطيع أن يعالج مدمنا .. لأن علاج المدمن فى يده هو ـ وهو وحده ـ وليس فى يد الطب أو غيره من الوسائل وهكذا ظللت غارقًا فى الوحل .. إلى أن تجمعت داخلى الأسباب لكى أحاول انقاذ نفسى وكان أهمها فى ذلك الوقت أننى التقيت بمن كنت أحبها حبا صامتا طوال فترة صباى وشبابى وكانت قد عقد قرأنها وتزوجت منذ عدة سنوات ثم عادت إلى جوارنا مطلقة من زوجها .. ورأيتها ورأتنى .. فتألمت لحالى وباحت عيناى ولسانى الثقيل بحبى القديم فشجعتنى على أن أبدأ حياتى من جديد وان امتنع عن تعاطى المواد المخدرة لأنها تريد الارتباط بى ولكنها لاتستطيع أن تتزوج مدمنا .. فطلبت منها أن تقف إلى جوارى وأن تعطينى الأمل فى الارتباط بها .. وبدأت أقاوم نفسى فعلا .. وبعد أسابيع طلبت منها أن اتقدم لها فتهربت من الموافقة واكتشفت لحظتها أنها لاترانى جديرا بها لكنها سايرتنى لتعطينى الأمل فى الشفاء .. فأحسست أننى إنسان تافه لاقيمة له ولايستحق الحياة ونمت تلك الليلة وكان فى دمى آخر قرص تناولته قبلها بساعات وصحوت فى الصباح وقد قررت أن اعتمد على نفسى ـ وعلى نفسى فقط ـ فى التخلص من هذا الداء الذى دمر حياتى وأذلنى ورخصنى فى عيون الجميع .. وفى لحظة صفاء نادرة قررت ألا أبرح البيت حتى أشفى تماما من الادمان وحتى لا اشترى الحبوب ولا اتناولها .. ولن أصف لك العذاب الذى عشته فى هذه الأيام .. ولا

الآلام المبرحة التى كنت أحس بها فى جميع أجزاء جسمى ولا حالة الهيجان التى كانت تنتابنى فى بعض الأوقات حتى كنت أقاوم بصعوبة بالغة الرغبة فى أن أقرع رأسى فى الحائط لأتخلص من عذابى .. ومع ذلك فقد صمدت وصمدت حتى بدأت الآلام تخف .. وفترات الهيجان تتباعد .. وحتى بدأت أستطيع أن اركز تفكيرى فى شىء فترة طويلة .. ثم إذا بحالتى الجسمية تتحسن وحالتى الذهنية تستعيد توازنها ونهضت ذات يوم من نومى خفيفا نشيطا .. فعرفت أن الله قد أذن لى بالشفاء .. ونظرت إلى نتيجة الحائط فوجدت أنى قد اتممت ثلاثين يوما كاملة فى سجنى الاختيارى ونظرت إلى نفسى فى المرآة فرأيت أنى اضعت سبع سنوات من عمرى هباء هى للأسف زهرة العمر وأجمل أيام الشباب .. وقد ضاع مستقبلى العلمى .. وضاعت الإنسانة الوحيدة التى احببتها والتى رفضتنى لعارى وارتبطت بغيرى وفقدت عملى الذى أهملته خلال شهر النسيان ورغم كل ذلك فبداخلى طمأنينة عجيبة وسعادة أعجب كأنما ولدت من جديد وكأنما أرى الدنيا لأول مرة ، واتجهت إلى الحمام وتوضأت ووقفت على السجادة لأصلى لله شاكرا له أن شفانى .. فتذكرت فجأة أنه قد مضت سبع سنوات منذ وقفت للصلاة لآخر مرة وقد كنت قبلها مواظبا على أداء الفريضة فدعوت الله أن يغفر لى ماقدمت يداى فى حق نفسى وحق أسرتى وأن يعفو عنى كما انقذنى برحمته ، والآن ياسيدى وان مضت شهور على هذه التجربة القاسية رأيت من واجبى ان اكتب قصتى لأقول من خلالها لمن سقطوا مثلى فى بئر الضياع ويتصورون ان التوقف عن

الادمان مستحيل أن هذا وهم وخداع لأن التوقف ممكن ولكن بارادة الشخص وحده وان المهم هو أن تصدق رغبة الإنسان فى انقاذ نفسه لكى ينقذه الله مما أوقع نفسه فيه .. وكما هدانى الله للشفاء فإنى أريد أن اشكر نعمته على بأن اساعد أى شخص أوقعه حظه التعس فى مصيدة الإدمان وذلك بأن ألازمة ولا اتيح له فرصة لتناول السموم أو الحصول عليها ليل نهار إلى أن يهديه الله إلى الشفاء .. وأنا على استعداد إذا أذن هو لى أن امنعه بالقوة من النزول لشراء المخدر بل على استعداد أيضا إذا اعطانى هذا الحق أن أضرب يده بالكرباج إذا امتدت إلى فمه بهذا السم .. بل وان أضرب كل من يسهل له الطريق للحصول عليه وهذا هو عنوانى واسمى لأكون عن طريقك تحت تصرف أى أسرة تريد أن تساعد ابنها على انقاذ نفسه بشرط أن يكون هو راغبا فى ذلك لأنه بدون ارادته لاشفاء ولا نجاه .. ولا أمل . والسلام عليكم ورحمه الله .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : تجربتك القاسية أبلغ درس لمن قد يفكرون جهالة واستهتارا فى ولوج باب الجحيم باقدامهم بدعوى التجربة .. أو بوهم اللذة .. أو بحجة أنه « لاضرر » كما حدث معك .. وجهادك المرير مع نفسك إلى أن أعانك الله عليها وانقذك من براثن الأسر دليل جديد على أن ارادة الإنسان أقوى من كل القيود ولو كانت قيود الادمان المدمر ..

وشجاعتك فى الاعتراف بالخطأ تستحق كل تقدير وتستحق أن تمنحك الحياة من أجلها فرصة أخرى تعوض بها مافاتك وان كان

كثيرا .. لكن لاوقت الآن للبكاء على ماراح .. فالمهم هو أنك قد هزمت ضعفك وانتصرت عليه .. وكل شىء بعد ذلك يهون وكل شىء يمكن الاستعاضة عنه باتجاه آخر فى الحياة .. وبعمل جديد .. وباحلام جديدة فى حياة سعيدة مع من سوف تضعها الأقدار فى طريقك قريبا بإذن الله .

إن تجارب المدمنين السابقين من أركان العلاج فى المصحات المتخصصة حيث يدعون بعضهم ليضعوا تجاربهم أمام من يحاولون النجاة من الادمان وليشدوا أزرهم وليغرسوا فى نفوسهم الأمل فى إمكان أن يتخلصوا من محنتهم .

وبهذا المفهوم فإنى على استعداد لأن ارتب لك أن تستعين بك إحدى المصحات أو الجمعيات المهتمة بمكافحة هذا الوباء .. أما إذا احتاج شاب يجاهد نفسه أو أسرة تعسة بأحد ابنائها إلى الاستفادة بخدماتك فى هذا المجال فسوف أكون سعيدا بأن ارتب اتصالها بك وبأن اهدى إليك « دستة » من الكرابيج المدببة الأطراف لكى تستخدمها فى نضالك النبيل ضد هذا العار وشكرا لك على رغبتك المخلصة فى مساعدة غيرك من ضحايا الوهم .. وأسرهم الشقية بهم .

الشموع المطفأة

اكتب إليك فى عيد ميلادى الخمسين لأقول لك أنى رجل تزوجت منذ ثلاثة وعشرين عاما من فتاة كانت ومازالت الزوجة الوفية والصديقة المخلصة والشريكة الأمينة .. تقرأ أفكارى قبل أن أبوح بها وتلبى رغباتى قبل أن أعلنها .. وأنا رجل منظم ودقيق وبار بأهلى وعشيرتى وذوى رحمى .

وعندما تزوجت كانت امنيتى وأمنية من حولى أن أرزق بوليد يضيء حياتى وحياتهم .. لكن السنوات الأولى من الزواج مضت ولم نوقد شموعا ولم نسمع بكاء طفل ولا ضحكته .. فانزعجت خاصة وأنا من أسرة صعيدية تقدس الولد وتفضل المرأة الولود ، وبدأت بعد خمس سنوات من الزواج رحلة البحث عن الانجاب بادئا باسم الله ومستعينا به ومستهديا بانبيائه فطفنا معا بالأطباء والمستشفيات ودور العلاج .. وتحملت زوجتى المسكينة العديد من العمليات الجراحية والجلسات الكهربائية .. ولم تئن أو تتوجع وتحملتها صابرة راضية بقضاء الله وقدره .. وانفقنا فى سبيل ذلك كل ماوقعت عليه أيدينا لكن الله لم يأذن بالفرج .. ومضت سنوات العمر وشموعنا مازالت مطفأة وبدأ

الشعر الأبيض يتسلل إلى رأسى ونظرات الاشفاق فى عيون أهلى تحاصرنى فبدأت أعطى سمعى لمن ينصحنى بالزواج مرة أخرى ، وسألت نفسى ذات يوم .. لم لا ؟.. ولم يبق فى العمر بقية .. فاستخرت الله واستشرت رجال الدين فوافقونى على أنه حق الشرعى ورجال الطب أكدوا لى أنه لامانع عندى من الأنجاب وبحثت عن زوجة بعقلى هذه المرة وليس بقلبى فما أنا بالرجل المزواج ولا صاحب النزوات لكنى أريد وليدا .. مجرد وليد يبتسم فتبتسم معه الدنيا فى وجهى .. ويبكى فأبكى له ويمرض فأمرض من أجله .. ويجرى ويلعب وأحس بالخوف عليه والأمل فيه ويخلفنى من بعدى ، فراعيت فى اختيارى السن والاعتبارات الاجتماعية .. وجمعنى الله بزوجة فاضلة من أسرة طيبة سبق لها الزواج والانجاب .. وتزوجتها على بركة الله .. وراعيت حقوق زوجتى الأولى .. وعشرتها الجميلة فحرصت بكل طاقتى على ارضائها والعدل معها .. واستقبلت حياتى الجديدة مستبشرا فمر العام الأول طبيعيا .. لكننا لم ننجب فيه ولم تحمل زوجتى الثانية ثم مر العام الثانى بلا حمل ولا إنجاب .. فتجددت المشكلة القديمة .. وعدنا نطوف من جديد على الأطباء .. فأكدوا جميعا أنه من ناحيتى لا مانع قطعى لدى من الإنجاب ، كما أن زوجتى الثانية لا مانع طبى لديها منه .. وكلما مر عام ولم تظهر البشائر تزداد المشاكل وتتوتر الأعصاب وتتوالى الأسئلة والاستفسارات ممن حولى .. واصبحنا نحن الثلاثة : زوجتاى وأنا فى سباق مع الزمن .. يجرى كل منا على الأطباء ولا يدع وسيلة طبية وغير طبية إلا ويستخدمها .. ويلهث كل منا وراء الأمل فى طريق

معاكس .. ويلقى كل منا باللوم على الآخر فازداد التوتر العصبى والنفسى وأصبحنا نحن الثلاثة حقل تجارب طبية لكل من نتعامل معه من الأطباء والباحثين وتضخم ملفى الطبى الذى اعرضه علي كل طبيب جديد يفحص زوجتى ومضت ٥ سنوات منذ زواجى الثانى ونحن على هذا الحال .. وجاء يوم ميلادى الخمسين فهاجت أفكارى وتأملاتى ووجدت نفسى فى مفترق الطرق حائرا أحاول ان اجمع شتات نفسى واصحح الأوضاع .. ولا أدرى ماذا أفعل هل اسرحها سراحا جميلا معا لعل الله يرزقها بمن هو خير منى .. أم هل أسرح زوجتى الأولى .. هل اسرح زوجتى الثانية .. هل اتزوج للمرة الثالثة لعل الله يهبنى غلاما ذكيا .. هل انبذ هذه الأفكار جميعها واتقبل قدرى وأرضى بالأمر الواقع .. ماذا أفعل ياسيدى .. وقبل أن تجيبنى دعنى أسألك أليس من حقى أن يكون لى غلام ينير ظلام حياتى ؟ سبحانك ربى إن الحيوانات الضالة لها أولادها .. فهل عجزت أنا عن أكون مثلها ؟ إن الشوارع ملأى بالأولاد الذين لامستقبل لهم .. فلماذا ضنيت على الأقدار بواحد مثلهم .. وعندى له مايحمى مستقبله استغفرك ربى وأتوب إليك .. لكن ماذا أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : حالك يا صديقى هو خير حال تنطبق عليه تأشيرة رجال النيابة التقليدية فى قضايا النزاع على المسكن ، مع تحوير بسيط فيها لتتلائم مع ظروفك فتصبح : « يبقى الحال على ماهو عليه .. وعلى المتضرر ان يلجأ إلى الله الذى لاينقطع فيه الرجاء » .

هذه هى نصيحتى إليك بعد أن جرى ماجرى .. ذلك أن أى

تصرف تقدم عليه الآن عدا الرضا بما اختاره الله لك والقبول به سوف يتضمن اساءة لطرف آخر لاحيلة له فى هذه الظروف غير المواتية .

فما معنى أن تسرح زوجتك الأولى وقد كانت ومازالت الزوجة الوفية والصديقة المخلصة التى تفهم أفكارك قبل أن تبوح بها .. وقد أحسنت عشرتك كل هذه السنين وقبلت وفى قلبها غصة لم تدرك عمقها ان تتزوج بأخرى أملا فى الانجاب ودخلت معكما السباق رغم كل ذلك تلهث فيه على أمل ان تنجب لك غلاما تسعدك به . ومامعنى أن تطلق زوجتك الثانية وقد قبلتك بظروفك الخاصة .. ولم تقصر فى حقوقك .. ولم تنكص عن الجرى معكما فى نفس السباق . ارضاء لك وحرصا عليك ..

إن كانت الحياة قد استحالت معها أو مع إحداهما بسبب كل الظروف غير الطبيعية فالأقرب للعدل والرحمة أن تسرح الثانية أن رغبت هى فى ذلك أما ان لم ترغب فيه ولن ترغب فى ظنى فلاحق لك فى ان تعرضها لمحنة انفصال جديدة لم تردها لنفسها ولم تسع إليها . أما تفكيرك فى الزواج للمرة الثالثة .. فهذا ما لا أفهمه ولا أوافقك عليه بأى حال من الأحوال ..!

إذ ماذا يمكن ان يعدك به زواج جديد يضيف إلى متاعبك ومعاناتك الكثير وقد جربت أن تتزوج للمرة الثانية من زوجة ولود فلم يأذن الله بالإنجاب وانت باعترافك لست مزواجا ولا صاحب نزوات .. ولم تعد فى سن التجارب والاختبارات الجديدة من بعد ما كان وماجرى .

أما تساؤلاتك المؤلمة عن الحيوانات الضالة وتعجبك من كثرة الأبناء الضائعين فى الشوارع .. وأنت من تتشهى غلاما واحدا ولم تدع سبيلا ولا بابا لم تطرقه من أجله .. فلا رد عليه عندى سوى أنه قد ذكرنى بمعنى هذا الحديث القدسى الكفيل بالاجابة عن كل التساؤلات الحائرة .. ليس فى موضوع الانجاب وحده وإنما فى كثير من صور الحياة وتناقضاتها «لأرزقن من لا حيلة له .. حتى يتعجب أصحاب الحيل !» .

نعم حتى يتعجب أصحاب الحيل ياصديقى .. ويرجعوا إلى ربهم ويسلموا له بأنه الواهب والمانح وحده .. وبأنه المانع والقابض وحده وأنه لا فضل لمن اوتى خير الدنيا غير أن الله شاء ولا لوم على من حرم منه غير ان الله شاء . فتقبل اقدارك .. واعتصم بالصبر والأمل .. فرحمة الله قد تهبط من السماء فى أية لحظة .. والرجل قادر على الانجاب حتى السبعين .. وليس لنا سوى أن نشكر الله على ما أعطى وما حجب .. وهبك الله من فضله لترضى ... والسلام .

الصوت الرخيم

منذ سنوات كنت طالبة بالسنة الثالثة بكلية الآداب .. شابة فى التاسعة عشرة من عمرى ارتدى الملابس الفاخرة .. واركب سيارة واستعمل العطور المستوردة .. ولا أفكر فى الزواج واتجاهل ضاحكة مخططات أمى للتقريب بينى وبين ابن إحدى صديقاتها لكى اقتنع به فيتقدم للزواج منى ، وكل شىء فى متناول يدى والدنيا باسمة .. والقلب شباب .. والحياة واسعة وعريضة .. وفى هذه الأيام المبشرة بكل خير ركبت سيارة الأسرة ذات يوم وحدى .. وقدتها فى شوارع القاهرة .. فإذا بعربة نقل ضخمة تصدمنى .. فلم أشعر بما حولى إلا بعد أيام ووجدت نفسى راقدة على سرير فى مستشفى معصوبة العينين واللفائف تحيط بوجهى من كل جانب وقد تهشمت يداى وساقاى .. وأهلى حولى يواسوننى ولايصدقون أنى عدت إلى الحياة .. ومرت أسابيع طويلة قبل ان يرفع الأطباء اللفائف عن رأسى وذراعى والعصابة عن عينى .. فإذا بى لا أرى إلا الظلام والأطباء يحاولون التخفيف عنى ويؤكدون لى أن فقدى للبصر مؤقت .. وأنه مأمول الشفاء بجراحة أخرى بعد عام أو عامين فانفجرت فى بكاء طويل ..

وتحسست وجهى فوجدت آثار الندوب فى كل مكان منه فعرفت أنى فقدت جمالى أيضا مع بصرى .. وغرقت فى هاوية سحيقة من اليأس والقنوط .

وغادرت المستشفى وأنا لا أجد فى أعماق رغبة فى الحياة .. وبعد أسابيع أخرى بدأت فى اجراء عدة عمليات للتجميل اعادت وجهى إلى ماكان عليه .. لكنى لم استعد بصرى .. ولا حرصى ولا أقبالى على الحياة .. وفى غمرة هذا اليأس الحقنى أبى بمركز لتعليم المكفوفين القراءة بطريقة « برايل » لكى أشغل فراغى .. واستطيع القراءة .. ورفضت الذهاب إليه فاصر أبى على ذلك إصرارا شديدا .. وبدأت اتردد على هذا المركز ثلاث مرات كل أسبوع .. رغما عنى .. فكان يوم ذهابى إليه يوما حزينا فى حياتى . ثم بدأت اتقبل الواقع الذى أرفضه شيئا فشيئا .. وبدأت التفت إلى صوت رخيم اسمعه فى المركز فيمس قلبى رغم أنى لا أرى صاحبه .. ثم بدأت استريح إلى هذا الصوت واقترب من صاحبه أنه مدرس بالمركز .. وأصبحت أذهب إلى المركز كل يوم بلهفة بعد أن كنت أكره الدنيا عند اقتراب موعد ذهابى إليه ، وتلاقت الأيدى وانتقل الاحساس إلى القلب .. ونما الحب فى الظلام لأنه مثلى محروم من البصر .. وتعاهدنا على الزواج وحين هممت بأن أصارح أهلى بحبى وعهدى معه فوجئت بهم يزفون إلى بشرى قرب السفر إلى الخارج لاجراء الجراحة المنتظرة لاسترداد البصر ، فشغلت بهذا الأمر عن كل شىء .. وتوقفت عن التردد على المركز ..

وسافرت للخارج .. وأجريت الجراحة .. ومرت اللحظات الحرجة

بسلام .. وتسلل بصيص من الضوء إلى عيني وعاد إلى بصرى ضعيفا .. لكنه شتان بينه وبين بحر الظلام الذى غرقت فيه شهورا طويلة .. واصبحت أرتدى النظارة بصفة دائمة وعدت إلى بلادى وقد عاد إلى شبابى وحرصى واقبالى على الحياة من جديد . وبعد عودتى لمصر بأيام .. تذكرت الصوت الرخيم الذى اخرجنى من عزلتى فتوجهت إلى المركز وبحثت عنه .. ورأيته لأول مرة فإذا به شاب اسمر نحيف حلو العينين حاد الأنف شعره أسود ومسترسل على جبينه فخفق قلبى له بأشد مما خفق له حين سمع صوته لأول مرة .. وأقبلت عليه بكل لهفة .. فسعد بعودتى وفرح كثيرا بعودة البصر إلى .. لكنه لم يشر إلى موضوع الزواج بكلمة .. ففاتحته أنا فيه وسألته بلا مواربة متى نبدأ خطواته فحاول أن يحلنى من وعدى له لاختلاف الظروف الآن بعد ان استرددت بصرى .. لكنى لم اسمح له بأن يسترسل فى الحديث .. وازداد تمسكى به .. وعرضت الأمر على أهلى واصررت عليه وتحديت الأقارب والصديقات ، وتزوجته عن حب واقتناع وكان عمرى وقتها ٢٢ سنة ووجدت معه بعد الزواج كل سعادتى فهو رقيق المشاعر وحنون ومتفائل ويحب الحياة إلى أقصى درجة ويحبنى بشدة وعشت معه حياة سهلة سعيدة فهو ميسور ماديا والحمد لله وانجبنا ولدا وبنتا ساعدنى فى تربيتهما واغرقهما بحبه ، ثم مضت بنا الحياة وبعد عشر سنوات من الزواج بدأ الحب فى قلبى يهدأ قليلا وبدأت أشعر بشيء غريب تجاهه .. فقد بدأت لا « أحب » أن يخرج معى فى زياراتى لأقاربنا أو أصدقائنا ، وأصبح ابنى وابنتى هما رفيقى كلما خرجت إلى أى مناسبة ..

لكنى لم ادعه يشعر بذلك وساعدنى فى هذا أنه كان يتجنب الخروج كثيرا .

ثم كبر ابناى وبدأت ألاحظ عليهما بعض الأشياء الغريبة .. فابنى يتباهى دائما بأنى أمه ويقدمنى إلى زملائه ويتجنب الاشارة إلى أبيه .. وكذلك بدأت ابنتى تفعل ، كما بدأت ألاحظ أن ابنى نادرا مايتحدث مع أبيه رغم محاولات زوجى المستمرة للحديث معه .. فهو اما فى حجرته أو يتحدث مع اخته أو معى .. أما مع أبيه .. فحبل الكلام منقطع غالبا معه وذات يوم صارحنى زوجى بمشاعره .. وقال لى أنه يشعر بأن ابنه وابنته « يخجلان » منه فنفيت له ذلك بشدة وثرت ثورة عارمة وناديتهما وواجهتهما .. وقسيت عليهما وذكرتهما بأنه لولا أبوهما ما عاشا تلك الحياة وما وجدا كل مطالبهما .. وماركبا السيارة ... إلخ ، وانكرا هذا الاحساس ، لكن زوجى ظل حزينا بضعة أيام ثم استعاد هدوءه وتفاؤله مرة أخرى واسترحت لذلك واملت أن تختفى هذه السحابة إلى الأبد .

وبعد أسابيع تصادف أن كان زوجى مريضا فلم يذهب إلى عمله .. ولم يكن ابنى يعرف بوجود أبيه فى البيت فعاد من كليته وقت الظهر ومعه بعض زملائه .. ودخلوا الشقة يتصايحون ويضحكون ففوجىء بأبيه واقفا فى الصالة .. وسأله أبوه عمن معه فرد عليه ردا مقتضبًا ثم اصطحب أصدقاءه إلى الصالون وتركه واقفا كما كان فى الصالة !

ويبدو أن أحد أصدقاء ابنى سأله عمن يكون هذا الرجل فإذا

بزوجي يسمعه من موقفه يرد عليه بأنه أحد أقارب أبي ينزل ضيفا عليهم لعدة أيام وسمع زوجي ابني ينطق بهذا الرد .. فلم يتكلم وانسابت دمعه صامتة من عينيه .. ثم توجه إلى غرفة مكتبه وانتظر خروج الأصدقاء إلى أن خرجوا وخرج معهم ابنه يودعهم ثم عاد .. فناداه وواجهه بما سمع وهو يرجو ان يكذب اذنيه .. فإذا بابني الوقح يعترف بما قال .. ووجدت نفسي أهوى بيدى على وجهه واطلب منه أن يعتذر لأبيه .. فاعتذر .. لكن هيهات ياسيدى أن تشفي كلمات اعتذار هذا الجرح في قلب أبيه .. فلقد تغير حال زوجي وحال الأسرة كلها منذ هذا اليوم المشئوم .. واختفت السعادة والسرور اللذان كانا يرفرفان على بيتنا فقد اعتصم زوجي بغرفة مكتبه واتخذها مأوى له يعمل وينام فيها ولايغادرها إلا إلى الحمام .. أو الذهاب إلى العمل .. ولايكلم أحدا منا بل وجاء برجل ليقوم بخدمته ويقضى له طلباته لكيلا يحتاج إلى أحد منا .. وعندما يجيء أول الشهر يلقى لنا بمصروف البيت فى الصالة وبجواره ورقة كتب عليها كلمات جارحة لكرامتي وكرامة ابني وابنتي ومازالت الحياة فى بيتنا تمضى على هذا النحو الكئيب انني أعرف أن ابني قد ارتكب جرما كبيرا فى حق أبيه .. لكن ماذا استطيع أن افعل في طيش الشباب .. وقد كنت دائما أحثه على حب أبيه .

فهل توجه إلى زوجي ـ وقد كان يحب أن تقرأ عليه كلماتك دائما ـ كلمة عن العفو عند المقدرة .. لكي يعود الوئام والسلام إلى بيتنا وهل توجه كلمة إلى ابني هذا الذى تعدى حدود الأدب لكي يعود إلى رشده .. هل تفعل حقا ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : عندى مما أقوله لابنك ما لاتتسع له أنهار الصحف جميعها لكنني لن أطيل فى تكرار معان أفضت فى الكتابة عنها كثيرا من قبل .. وسأقول له فقط .. ان ابنا يحمل مثل هذا الاحساس البشع تجاه أبيه العطوف المحب لمجرد أنه محروم من احدى حواسه لهو ابن لا يشرف أى أب أن يعلن انتسابه إليه .. ولهو جدير حقا بأن ينكره أبوه لا أن ينكر هو أباه فلينظر إذن أى درك هابط وضع نفسه فيه .. وليحاول إذا أراد أن يكون جديرا بالانتماء للنوع الإنسانى أن يطهر نفسه من هذا الاحساس الدنىء .. وان يسترضى اباه حتى يرضى ، وان يتواصل معه وان يعرف له فضله ويفخر به على العالمين .

هذا عن ابنك ياسيدتى أما عن القصة كلها .. فإن خبرة السنين تقول لنا أن كل شجرة مورقة تبدأ ببذرة صغيرة تغرس فى الثرى ، ولقد غرست أنت بغير ان تتنبهى لخطورة الأمر بذرة انقطاع الخيوط بين أبنيك وأبيهما حين بدأت وهما دون العاشرة من عمرهما تلاحظين على نفسك أنك « لاتحبين » الخروج معه إلى زيارة الأهل والأقارب ، وان ابنيك قد أصبحا بدلا منه رفيقيك الدائمين فى غدوك ورواحك .. وبالضرورة فى البيت أيضا وهكذا تراجع الأب من مركز الدائرة فى الصورة العائلية كما ينبغى له أن يكون دائما إلى هامشها .. واصبح لكم مجتمع خاص بكم داخل محيط الأسرة يحاول الأب النفاذ إليه فلا ينجح .. ويتلهف على أن يحادثه ابنه .. فيعزف عنه لأنه مشغول دائما بالحديث معك ومع شقيقته .. فبدأ انقطاع الخيوط منذ فترة طويلة إلى أن بلغ قمته فى هذا المشهد البشع الذى يتنافى مع كل القيم الدينية

والخلقية والإنسانية على السواء .

ولن تدركى ياسيدتى بشاعة ماحدث وعمق مرارته فى نفس الأب الذى أغرق ابنه بحبه ومشاعره ورعايته منذ تلقاه قطعة من اللحم الغض لاتدرى من أمر نفسها شيئا إلى أن أصبح شابا يغدو ويروح وله كيانه الخاص .. إلا إذا تخيلت حالك لو لم تدركك عناية الله فتنجح الجراحة التى استرددت بها بصرك .. ووجدت نفسك ذات يوم فى مثل موقفه تسمعين باذنيك ما سمعه .. وتتجرعين مرارته ترى كيف يكون حالك وقتها .. وأى لوم يمكن أن يوجهه إليك أحد إذا عافت نفسك الجميع كما فعل زوجك واتهمتهم فى أعماقك بأنهم جميعا شركاء فى هذا الجرم .. سواء بالسكوت عن مقدماته أو بعدم التصدى بحزم كاف لها .

أننى ألح على هذه الصورة القاسية لأن مسئوليتك كبيرة فيما حدث .. وفيما سوف يحدث لاصلاح الأخطاء .. فالابناء يتبعون الأمهات فى معظم الاحوال فى تقديرهن للأب واحترامهن له ، « واسراف أى أم فى استقطاب أبنائها إليها على حساب الأب يثمر غالبا مثل هذا التباعد بين الأبناء والآباء . لهذا فإن العلاج فى يدك أنت قبل أن يكون فى يد هذا الابن الطائش .. فابدئى بنفسك ياسيدتى والتصقى بزوجك الذى أحببته وتحديت به الجميع فيما مضى واعترفت له بكل فضائله ، وتحملى غضبه واستياءه مما حدث إلى أن يصفو لك .. واعلنى بتصرفاتك أمام الجميع أنك تفخرين به .. واعيديه إلى مركز الصورة العائلية كما ينبغى له أن يكون .. ولاتخرجى إلى زيارة إلا معه ولاتقطعى أمرا دونه .. وانضمى إليه فى غضبه من ابنه حتى يكفر عن جريمته

ويعود إليه رشده .. وقاطعى كل من لايحمل لزوجك مشاعر الحب والولاء والاعتزار ولو كان ابنيك .. وعندها سوف تعود الأمور إلى طبيعتها وتعود البهجة والسرور إلى بيتك .. وسيجد الأب نفسه مستعدا للعفو عن ابنه .. لأنه أب أولا وأخيرا .. ولأنه يشفق فى أعماقه على هذا الابن الشارد من غضب ربه عليه .. ومن تنكيل الدنيا به إذا لم يعف عنه بقلب صاف .. وإذا لم يغفر له ربه ما كان من أمره .. وماجرى .. والسلام ..

الحقيقة العارية

أنا سيدة .. نشأت بين أبوين منفصلين فعشت مع أمى حتى وافاها الأجل المحتوم .. ثم عدت إلى أبى لاعيش فى بيته مع زوجته وابنائه منها .. وتركز كل هدفى فى الحياة فى الحصول على شهادتى الجامعية .. لأعمل واشق طريقى معتمدة على نفسى .. وفى سنواتى الأخيرة بالجامعة تعرف بى شاب مجتهد وعلى خلق وطلب ان يرتبط بى بعد التخرج وصارحنى بأنه لايملك حاليا شيئا سوى المسكن الذى يقيم فيه مع أمه نظرا لسفر اخوته للخارج .. وأحسست بالارتياح إليه لصراحته وصدقه وجديته ولباقته فعاهدته على الارتباط به والكفاح معه إلى ان يبنى حياته . وتمت خطبتى له .. وتركز أمله فى السنة الأخيرة من دراسته فى أن يحصل على تقدير عال يرشحه لوظيفة مرموقة يحلم بها خريجو كليتنا النظرية ، ووقفت إلى جواره فساندته بكل قواى حتى حقق الله له أمله وتخرج بتقدير عال .. ورشح للوظيفة المرموقة وبعد تعيينه بها تزوجنا وانتقلت إلى مسكنه وبدأنا حياتنا الزوجية بهيجة واعدة بتحقيق كل الأمانى ووضعت لنفسى هدفا هو أن أصل إلى قلب أم زوجى لأضمن سلام بيتى .. لأنى عشت عمرى كله ممزقة .. بين أبى وأمى وعانيت فى

بيت أبى ما لا مفر منه من تفرقة بين الأخوة غير الأشقاء .. ووفقنى الله فى اكتساب محبتها .. فاطمأن جانبى وتفرغت بكليتى لزوجى الذى أحببته .. من أعماق وبادلنى حبا بحب ، ومضى عامان من عمر زواجنا فى لمح البصر.

وفى العام الثالث انجبت طفلتى الوحيدة .. وجاءت إلى الحياة ضعيفة فاعطيتها كل عنايتى واهتمامى .. ولقلة خبرتى بالحياة ولعدم وجود أم بجوارى تعطينى من خبرتها .. اسرفت فى الاهتمام بابنتى فلم استطع تحقيق التوازن الضرورى بين واجبى كزوجة وواجبى كأم .. ولم اشعر بذلك إلا حين تنبهت فجأة إلى أن زوجى قد أصبح كثير الشرود والوجوم والصمت ويفتعل المشاكل معى ليقاطعنى بعدها بلا سبب .. وتحركت فى دوافعى العميقة للحرص عليه .. فحاولت أن اعرف سر تغيره وطالبته بان يصارحنى بما يريد لأعمل به .. فلم يجبنى سوى بأنى قد تسرعت فى الانجاب وان هذه الطفلة سوف تكون فيما يبدو سببا فى انفصالنا !

فانهمرت دموعى .. واكدت له أنه لو كان قد طلب منى تأجيل الانجاب لفعلت بلا تردد ، وان ظروف طفلتى الصحية هى التى فرضت على الالتصاق بها لأن أمه سيدة مسنة ولاتستطيع رعايتها .. ومع ذلك فالفرصة لم تضع بعد وأنى على استعداد لأن أعود كما كنت فنخرج معا ونسهر معا ونزور الأهل والاصدقاء كما كنا نفعل فى العامين الأولين ورجوته بل وتوسلت إليه أن يسامحنى وان يعطينى فرصة أخرى .. فسكت ولم يجب .. وانتهت جلسة المصارحة .. ولم يغمض

لى جفن بعدها طوال الليل .. ومرت الأيام وأنا مسهدة لا أنام ساعة أو ساعتين كل يوم .. واصبحت لا أجده إلى جوارى فى أى وقت من اليوم فهو طوال النهار فى العمل .. فإذا انتهى منه التقى باصدقائه أو زار أقاربه .. أو زار أبى وأمى وامضى فى بيتهما أوقاتا طويلة .

واستمر الحال هكذا عدة شهور .. لم ادخر جهدا خلالها فى محاولة استعادته واسترضائه بلا جدوى .. وبغريزة المرأة أدركت أن اهتمامى بطفلتى لايمكن ان يكون وحده هو سر هذا التباعد وأنه لابد أن هناك امرأة أخرى ، لكنى لم أعرف من هى وواصلت حياتى صابرة انتظر المصير المحتوم فى كل لحظة .. وكلما مر يوم احسست أنى اقترب منه ، ويزداد اشفاقى على حبى الذى يضيع من بين يدى وعلى طفلتى التى رجوت الله ألا تعيش نفس حياتى ممزقة بين أبوين منفصلين إلى أن حم القضاء الذى لامفر منه .. وجاء يوم طلب منى فيه زوجى مغادرة البيت إلى بيت أهلى .. فعدت إليه ذليلة منكسرة ألمح حولى علامات تثير الشك لكننى لا أجرؤ على المواجهة بها .. خوفا من أن اطرد من بيت أبى .. فلا أجد مأوى لى ولابنتى .. وقضيت ستة شهور انتظر كل يوم ان يعود زوجى ليصطحبنى إلى بيته بلا فائدة .. وبعد شهور أخرى فوجئت به يرسل لى ورقة الطلاق .. وصعقت حين اكتشفت أنه طلقنى طلاقا بائنا لارجعة فيه !.. وبعد شهور أخرى بدأت ألاحظ فى بيت أبى استعدادات تجرى ومشاورات تتم .. وعرفت أن أختى غير الشقيقة التى تصغرنى بـ ١٢ سنة سوف تتزوج قريبا .. وان أمها تبذل كل جهدها لاتمام الزواج فى موعده .. وحاولت فى البداية أن أكذب

ظنونى .. لكنها كانت الحقيقة العارية بلا أى التواء والتى لن تصدقها .. نعم ياسيدى لقد تزوجت أختى غير الشقيقة .. من زوجى السابق وأب طفلتى الوحيدة .. ليتوجا معا قصة بدأت منذ حين ولم يعد هناك وقت للتعجب أو التشكك .. فهو كما قيل لى سيتزوج وكلاهما قد وجد فى الآخر بغيته .. وهو قد طلقنى طلاقا بائنا .. فلا بأس إذن بأن يتزوج أختى مادام سوف يتزوج أى فتاة ذات يوم وكان هذا المنطق العجيب ياسيدى منطق زوجة أبى .. ووافقها عليه أبى راضيا أو مرغما لا اعرف .. ولم يستطع أن يخفى الواقع المر وهو أن القصة بدأت منذ وقت طويل وقبل طلاقى وراقبت أختى سامحها الله .. وهى تروح وتجىء وتشترى الفساتين وتتشاور مع أمها وابتسامة التحدى فوق شفتيها كأن شيئا لم يكن .. وتزوجت زوجى السابق ياسيدى ذات يوم وغادرت البيت إلى مسكن الزوجية السابق لى .. ونظرت فى المرآة وسألت نفسى !.. لماذا استحق كل هذا العذاب ياربى .. وماذا قدم لى هذا الجمال الذى يثنى عليه كل من يرانى وقد عجز عن أن يحمينى من لسعة النار التى أحسها فى احشائى .. وحاولت أن اتشاغل عن همومى فخرجت للعمل بشهادتى ووجدت عملا خاصا براتب لابأس به .. ومضت الأيام تحمل لى كل يوم ما لاطاقة لبشر بتحمله وتشاغلت بعملى وبرعاية طفلتى التى كتب عليها أن تشرب من نفس الكأس التى شربتها طوال عمرى كله . ومضى عام وعامان على محنتى ومازلت صامدة وبلغت ابنتى سن الحضانة فالحقتها بمدرسة راقية واسعدنى أنها ذكية ومحبوبة من زميلاتها فتمنيت لها من أعماق أن يكون حظها فى

الحياة أفضل من حظى .. ومازالت الحياة تمضى والآن تسألنى ما هى المشكلة بعد أن جرى ماجرى .. ولم يعد يجدى البكاء على الاطلال وأقول لك أن مأساتى لم تنته عند هذا الحد .

فهناك مشكلة قائمة منذ اليوم الأول لزواج أختى من مطلق .. وهى أنا ! فأنا أقيم مع أبى فى مسكنه ولا مأوى لى ولطفلتى غيره .. والعروس الجديدة تريد أن تذهب وتجىء مع عريسها إلى بيت أمها الذى أقيم فيه وهما يتحرجان والحمد لله حتى الآن من ذلك .. والعروسان يودان أن يقضيا بعض الأمسيات العائلية مع أسرة العروس .. وأنا لامأوى لى غير هذا البيت فأين أذهب ياسيدى .. وإلى من اتجه وراتبى لا يسمح لى بالحصول على غرفة فى أى مكان من القاهرة .. وإلى متى سوف استطيع أن اتحمل الحياة هكذا ؟ هل عندك ماتقوله له .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لا ياسيدتى ليس عندى ما أقوله لك .. ولو أردت ما استطعت فلقد كرهت الأقلام والأحبار والكلمات وأنا أقرأ رسالتك هذه وضاعف من ضيقى بها أنى قرأتها بعد قليل من قراءتى الرسالة الأخرى المنشورة إلى جوار رسالتك .. فضاق صدرى بهما معا .. ياآلهى ! ماذا جرى للدنيا وللروابط الأسرية السليمة .. وللقيم الإنسانية فى أيامنا الشقية هذه ؟. أننى أعرف أسرا ترفض شبانا ممتازين لمجرد أنهم قد سبق لهم الزواج من بعض بنات الأقارب .. وتحرص على علاقاتها العائلية بأكثر مما تحرص على زوج يستطيع أن يتزوج من أخرى .. وتستطيع فتياتهن أن يتزوجن من غيره .. لأن هذا هو الأصل فى العلاقات الإنسانية .. وماحدث لك هو الاستثناء البشع

الذى يصدم مشاعرنا بقسوة ولولا حرصى على مساعدتك على الخروج من سعير الجحيم الذى تعيشين فيه مانشرت رسالتك اصلا .. ولو استطعت معاونتك فى حل مشكلتك بغير نشرها لحجبتها عن قراء البريد مع ما أحجبه أحيانا من رسائل مشابهة تعرض علينا بعض نوازع النفس البشرية فى ابشع أحوالها .. لكنها الحياة التى لامفر أمامنا من الاطلاع على كل جوانبها .. والاستفادة بدروسها المريرة .. حتى لو شعرنا بالغثيان ونحن نسمع معك لهذا المنطق الحجرى المزيف الذى برروا به لك هذا الغدر بك وبطفلتك من أقرب الناس إليك كأنما لم يعد فى الدنيا رجال غير هذا الرجل .. ولم يعد فى الدنيا وفاء ولا رحمة ولا حياء .

على أية حال : هذه السيدة الجريحة فى حاجة إلى عمل يكفل لها ولابنتها المأوى .. فمن أراد أن يطفئ بعض لهيبها ويعيد إليها ثقتها بالبشر فليتصل بى .. وشكرا له مقدما .[1] .

---

(١) اتصل بى عشرات من القراء يعرضون أعمالا لهذه السيدة ـ وتم اختيار عمل ملائم لها .

السّـــلاح الأقـــــوَى

منذ حوالى ٩ سنوات .. كنت طالبة بالمرحلة الثانوية فتعلق قلبى بطبيب شاب من أقاربى ووجدت نفسى وأنا فى هذه السن الصغيرة أحبه حبا عظيما من طرف واحد فحاولت جذب انتباهه أكثر من مرة إلا أنه لم يشعر بى إطلاقا فسلمت أمرى لله ورضيت بأن أحمل له هذا الاحساس فى قلبى بلا أمل. وانتهيت من دراستى الثانوية فصممت على الالتحاق بكلية الطب رغم عدم ميلى للدراسة فيها بل وعدم قدرة أسرتى أيضا على تحمل أعبائها. وكان دافعى الوحيد للالتحاق بهذه الكلية هو حبى لقريبى هذا .. وإيمانى بأن طريقنا سوف يلتقى ذات يوم مهما طالت السنون.

وبدأت الدراسة وانقطعت عنى أخباره .. ثم علمت بعد فترة أنه سافر إلى دولة عربية وتزوج من زميلة له تعرف عليها هناك وتم الزواج سريعا بعد فترة تعارف قصيرة .. ووجدت نفسى اتابع أخباره باهتمام كأن شيئا لم يكن وكأن التقاء طريقنا واقع واقع برغم كل شىء وأصبحت انتظر زيارة أمه لنا لأعرف منها أخباره .. وبعد عدة شهور جاءت حزينة تشكو سوء حظ ابنها فى الزواج، وكيف أنه حدثت بينه

وبين زوجته مشاكل كبيرة . انتهت بعودتهما معًا إلى مصر وإلى طلاقهما منذ فترة قصيرة بعد مشاكل وصلت إلى أقسام البوليس ، وأنه الآن وحيد حزين لأن مطلقته حامل وهو مشفق على المولود القادم من الضياع .

سمعت كل ذلك وقلبي يرقص طربًا .. رغم تظاهرى بالأسف لحاله ومواساتى لأمه ! ولم تمض أيام حتى بدأت أتقرب إليه من جديد بحجة أن يساعدنى على فهم دروسى ، ونجحت فى ذلك فعلاً كما نجحت فى إخراجه من محنته وإعادته إلى طبيعته مرة أخرى .. وبعد فترة قصيرة وضعت مطلقته طفلتها فجاءنى قريبى سعيدًا يبلغنى أنه قد أختار لها اسمى فطرت فرحًا بذلك وسألته ولماذا اسمى بالذات .. فأجابنى بما أردت أن أسمعه منذ ٤ سنوات وهو أنه يريد أن يتقدم لخطبتى والزواج منى ولكن بشرط أن أتفرغ له تفرغا تامًا لأنه لا يريد أن يكرر تجربة الزواج من طبيبة مرة أخرى .

وبدون أن أفكر فيما قال وجدت نفسى أوافق على شروطه .. لكن أهلى ثاروا على ثورة هائلة وعارضوا انقطاعى عن الدراسة والتضحية بمستقبلى ودراستى للزواج من رجل جرّب حظه فى الزواج من قبل وله طفلة سيأتى يوم وأكون فيه المسئولة عن رعايتها .. وواجهت هذه الثورة الصاخبة بالصمت والاصرار ، ثم زدت عليهما شيئا آخر .. هو أنى رسبت فى الامتحان عامدة متعمدة .. واعترف لك بذلك ـ لكى اجعلهم يوافقون على زواجى منه .. ونجحت خطتى فاقتنعوا بأنى لن اتقدم فى طريق الدراسة ووافقوا على زواجى منه .. وأصبح الحلم الذى راودنى حقيقة وبدأت حياتى معه وأصارحك القول ـ يا سيدى ـ بأننى

حتّى بعد الزواج لم أشعر بأنه يبادلنى الحب ، وعرفت جيدا أنى مازلت أحبه من طرف واحد ورضيت بذلك وسعدت به .. ولم يعكر على صفو حياتى سوى ألاعيب مطلقته ومحاولاتها تنغيص حياتى .. بسلاحها الأقوى وهو ابنته التى يحبها !

وعدا ذلك فقد مضت حياتى معه هادئة .. وتجنبت دائما إثارة أى خلاف معه يتعلق بابنته .. ورغم لهفتى على الانجاب فقد وافقت على تأجيله استجابة لطلبه إلى أن ينتهى من تحضير رسالة الدكتوراه وصبرت على رغبتى ووفرت له كل مايريده من هدوء وتفرغ حتّى نال الدكتوراه وأصبح طبيبا ناجحا فى منطقته وزاد دخله زيادة كبيرة ، وكبرت ابنته أيضا وزاد تعلقه بها .. وزاد خوفى منها وهى مازالت طفلة عمرها ٥ سنوات .. ولم يكن خوفى منها هى نفسها بالطبع وإنما كان من أمها التى لم تتزوج بعد ولم يمض وقت طويل حتّى تحققت مخاوفى .. فابلغتنى إحدى قريباتى أنها رأت زوجى يركب سيارته وبجواره مطلقته وبينهما ابنته .. ومادت الأرض بى وأنا اسمع ذلك .. ثم تظاهرت أنى أعرف ذلك وتركتها وأسرعت إليه وصارحته بما سمعت وأنا أبكى بحرقة حتّى انتهيت مما أردت أن أقوله ونظرت إليه .. وانتظرت رده كأنى انتظر حكم الاعدام .. فإذا به يقول فى هدوء أنه قد عاد فعلا إلى مطلقته منذ شهور من أجل طفلتها .. وانه لن يفرط فى ولا يطيق أن يعيش بدونى وانه يطلب منى أن استمر فى عطائى له كما تعود منى دائما !

ولم أستطع الكلام فانصرفت من أمامه حزينة أفكر فى أمرى .. وقد فكرت بعقلى فلم أقو على مطالبته بالطلاق .. لأنى سألت نفسى ماذا

سأفعل بعد الطلاق وأنا لا عمل لى ولا مكان أعيش فيه وليس لى أطفال منه فأكون حاضنة لهم ويترك لى منزل الزوجية ثم لماذا اترك لغريمتى كل ماوصل إليه من نجاح كنت أنا السبب فيه ، وأنا التى لم تفكر سوى فى اسعاده وقبلت عدم الانجاب إرضاء له ، فى حين فضحته الأخرى فى الغربة .. ولم تعد إليه إلا بعد أن أصبح ناجحاً .

لقد قرأت منذ أسابيع فى بريد الجمعة رسالة اسمها « الابتسامة الشاحبة » عن الفتاة التى رفضت من كان يحبها لأنه لم يكون نفسه وتزوجت وفضلت عليه العريس الجاهز فتعذبت معه وطلقت منه وعادت لبيت أبيها فى حين كافح هو ولم يتزوج ، وعاد بعد أن حقق نجاحه يطلب أن يحقق حلمه القديم ويتزوجها لأنه مازال يحبها متناسيا أنها غدرت به ولم تحتمل معه صعوبات الطريق وفضلت عليه العريس الجاهز لقد سألتك كاتبة الرسالة هل تقبل الزواج منه بعدما كان فنصحتها بالقبول لأنه فرصتها الأخيرة .. ولأنه شاب كريم بدليل استمرار رغبته فيها رغم ما لقيه منها . وقد يكون ذلك صحيحا من ناحية صالح الفتاة التى سألتك أما من ناحية الشاب فإنى أقول له : لاحرر نفسك من وهم الحب وابحث عن فتاة أخرى تستحق أن تفوز بك لان من لم تقبل أن تعيش معك آلامك ليس من حقها أن تشاركك سعادتك .. وهذا هو درس قصتى المريرة .. وشكراً .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : أشك ياسيدتى فى أنك قد فكرت بعقلك هذه المرة واخترت البقاء معه رغم عودته لمطلقته وابنته سرا ، فليس هذا فى تقديرى هو حكم العقل فى القضية وخاصة إنك لم

تنجبى منه اطفالا تفكرين فى مصيرهم قبل طلب الطلاق كما أن لك بالتاكيد أسرة تستطيعين العودة إلى بيتها إذا أردت مستعينة ببعض حقوقك المادية عليه إلى أن تتدبرى أمرك .. وإنما هو فى أغلب الظن حكم القلب الذى أراد البقاء بجوار من أحب ، ثم حاول أن يستتر وراء مبررات عقلانية بل « ومادية » أيضا إمعانا فى التخفى !

ولاشك أنه أيضا نفس الحكم الذى دفعك إلى الانقطاع عن الدراسة للزواج ممن أحببت . ولست ألومك فى شىء فى قصتك هذه سوى فى قبولك شرط الانقطاع عن الدراسة تلبية لرغبة فتاك .. مضحية بمستقبلك وبشهادتك التى كانت فى متناول يدك رغم ما تمثله لك الشهادة من أمان حتى ولو لم تعملى بها بعد الزواج . لقد اخترت لنفسك منذ البداية ياسيدتى مستهدية مشاعرك وعواطفك وحدها فى قراراتك .. فلم تعرضى بعضها على عقلك .. ولم تجيدى حساب قوتك لتعرف من منكما تملك السلاح الأقوى .. ولن ألومك فى ذلك لأن اللوم لا يفيد ولأنك محبة « والمحب عن العزال فى صمم » ! كما يقول الإمام البوصيرى ، لكنى سأقول لك فقط أن الإنسان فى مواجهة مايتعرض له من مواقف فى الحياة عليه ان يختار دائما بين أحد اختيارين . أما القبول بالأمر الواقع والتواؤم معه والكف عن الشكوى منه والمعاناة بسببه ، وإما رفض هذا الأمر الواقع وتغييره إذا كان يملك القدرة على تغييره بغير الندم عليه ولا البكاء على إطلاله .

وفى حالتك هذه فإنك تستطيعين الانفصال إذا أردته لكنك اخترت الاستمرار وهو من حقك ولا اعتراض عليه ، لكن الاعتراض

هو على ألا تتقبلى نفسيا الأمر الواقع الذى رضيت به فتعذبى نفسك برغبتك فى تدمير الطرف الآخر أو الاساءة إليه واستعادة زوجك كاملا لك ، فتتحول الحياة إلى صراع ومكائد وألاعيب الفائز فيها كالخاسر تماما لأنه خسر وقته وجهده وأعصابه وصفاء نفسه فى تدبيرها وتنفيذها فأفسد حياته قبل أن يفسد حياة ضحيته .

إن التسليم بما حدث هو الخطوة الأولى لمواجهة أصعب المواقف فإما أن تتقبليه نفسيا وعقليا .. وإما أن تتحررى أنت نفسك مما تسمينه « وهم الحب » وتفكى قيده عن ذراعك فتستعيدين القدرة على الحركة والاختيار .

فهل تريدين ذلك حقا .

الابتسامة الساحرة

لم أجد غير بابك أقدم منه تجربتى لكل فتاة لعلها تستفيد بها فلقد وجدت نفسى صغرى ٤ بنات نعيش مع أمى ... أما أبى فقد توفاه الله وأنا طفلة فى المهد فلم أعرف عنه شيئا سوى أنه ترك لنا ميراثا يكفل لنا الحياة الكريمة .

ولأنى صغرى أخواتى .. فلقد نشأت مدللة ، وشققت طريقى فى التعليم إلى أن تخرجت وتسلمت عملا فى إحدى الهيئات الدولية العاملة فى مصر ، وفى عملى ظللت كما كنت طوال دراستى الفتاة التى يصعب ان يلفت نظرها أى شاب ، وكان عملى يقتضى منى أن اتعامل مع إحدى الهيئات الحكومية .. فتعرفت على شاب فى مثل عمرى بدأ يشد انتباهى إليه بحديثه الشيق العذب فى كل مجالات الحياة ، وبعد ٩ شهور من تعرفى به فوجئت به يطلب تحديد موعد لمقابلة أسرتى .. فسعدت بذلك سعادة طاغية ، ونقلت رغبته لأسرتى فالتفوا حولى فى مرح وكلهم سعداء بسعادتى .

وطلبت أمى بيانات عن هذا الشاب لتطلب من عمى أن يسأل عنه .. وتعجبت من ذلك ولم أر له داعيا لأن مظهره وأحاديثه يؤكدان

أنه شاب على خلق ومن اسرة طيبة . لكن نتيجة التحريات جاءت العكس تماما ، فرفضت أمي الموافقة عليه وتضامنت معها شقيقاتى وكل أفراد أسرتى ، وخيرتنى أمى بين أسرتى وبين الزواج من هذا الشاب الغريب عنا .. فوجدتنى اختار هذا الشاب وواجهته بكل المعلومات التى اخفاها عنا وابلغته بعد ذلك أننى قد تجاوزت عن كل ذلك ، وأننى اخترته .. وأننى سأكون زوجته التى حرمت من كل أسرتها لتعيش معه فابتسم ابتسامة ساحرة .. ومرت السنوات ولم استطع حتى الآن أن انساها ولا أن انسى تأثيرها فى حياتى وأمسك فتاى بيدى وأكد لى أنه سيعوضنى عن فقدى لأسرتى واصدقائى ، فبدأت استعد للزواج وبعت بعض ميراثى عن أبى لأن أمى قبضت يدها عنى وأعلنت أنها ستحرمنى من ميراثها ، واستأجرت بنقودى شقة مناسبة وقمت بتأثيثها كاملة على نفقتى لأن خطيبى لم يكن يملك مليما واحدا يسهم به فى التكاليف .. وعشت أياما جميلة وأنا مشغولة باعداد الشقة وشراء الأثاث واعداد الستائر . ولم انتبه كثيرا لخصام أمى لى وغضبها الصامت على رغم وجودى معها فى بيت واحد .. ولا إلى تجنب شقيقاتى لى أرضاء لها وسخطا على تصرفاتى .. فلم يكن فى خيالى طوال هذه الأيام المشحونة بالهموم اللذيذة .. سوى زوجى وابتسامته الساحرة وقلبى الذى خفق بالحب له لأول مرة فى حياتى .

وانتهيت من اعداد الشقة وتم الزواج وقاطع أهلى زفافى ، كما قاطعوا استعدادى للزواج وزففت إلى زوجى وغردت عصافير السعادة فى عشنا الجميل ومرت الأيام الأولى رطيبة محملة بالحب والسعادة ..

وبعد شهر واحد بدأ زوجى يثور ويفقد أعصابه لأتفه سبب ولم يزعجنى ذلك فى البداية .. لكنى انزعجت بشدة حين ثار بعد أيام بسبب تافه فإذا به يسبنى ويسب أسرتى وعائلتى بأفظع السباب ثم اندفع يحطم محتويات الشقة الجميلة ..

ووقفت مذهولة .. وبكيت كما لم أبك من قبل .. ورغم ذلك فحين اعتذر لى بعد ساعات صالحته وغفرت له مافعل .. وأملت ألا يعود إلى ذلك مرة أخرى .. لكن الهدوء لم يطل أياما قليلة .. وأصبحت هواية زوجى الذى بعت أسرتى من أجله هى أن يثور لأتفه سبب ثم يصفعنى ويركلنى ويضربنى بوحشية .. فإذا ذكرته من بين دموعى بأنى وحيدة ولا أحد لى فى الحياة غيره وأنى هجرت أهلى من أجله .. أجابنى بقسوة بان ذلك هو خير ما فعلت لكى ينفرد بى ويفعل بى مايشاء !

وبعد شهور من زواجنا أحضر زوجى أباه وأمه ليعيشا معنا من الحى الشعبى الذى يعيشان فيه لأنهما لا يطيقان بعده عنهما . فلم أمانع فى ذلك .. بل لعلى أملت فى أن يسهم وجودهما معنا فى حمايتى من اذاه الذى أصبح يتكرر كل يوم تقريبا ولم أمانع أيضا فى الاستجابة لطلب زوجى أن استقيل من عملى لأتفرغ لرعايته ورعاية أبويه واستقلت وفقدت راتبى فحاولت تعويضه عن طريق بيع ميراثى عن أبى جزءا فجزءا .. كلما ضاق بى الحال .

ومع كل ذلك لم يسهم وجود أبويه معنا فى حمايتى .. ولم يكف زوجى اذاه عنى كل يوم .. وعرفت من أبويه ان هذه العصبية الهوجاء

هى طابعه منذ طفولته لكنه اخفاه عنى بابتسامته وحديثه المنمق .. ثم صعقت حين ضربنى مرة فاستغثت بأبيه لينقذنى من بين يديه فإذا به يجىء وبدلا من أن يحمينى منه ينضم إليه ويحاول هو الآخر ضربى ! فى هذه اللحظة فقط ادركت لأول مرة عمق الهوان الذى رضيته لنفسى واستقر الحزن واليأس فى أعماقى ، وتصادف بعدها بأيام أن التقيت بإحدى قريباتى فأبلغتنى بأن أمى قد انتقلت إلى رحمة الله منذ شهور بعد أن مرضت بالشلل عقب زواجى .. فارتج جسمى كله وصرخت بدون أن أدرى وانهمرت دموعى كالمطر فلم تتمالك قريبتى نفسها وشاركتنى البكاء .. وظللت أبكى بلا انقطاع حتى عدت إلى البيت .

ومرت الأيام حزينة .. وصورة أمى لا تفارق خيالى .. ودموعى لاتتوقف عن الجريان ، وأعطانى حزنى على أمى قوة لم أكن استشعرها فى نفسى من قبل فبدأت لأول مرة بعد عامين من الهوان ارفع صوتى فى وجه زوجى وادافع عن نفسى وأثور لكرامتى وأدميتى اللتين أهدرهما . وتجرأت ذات مرة فطلبت منه الطلاق ففوجئت به يوافق فى نفس اللحظة وبلا أى ممانعة .. فتنازلت له عن حقوقى وعن الآثاث .. وعن الشقة نفسها التى استأجرتها باسمى وقمت بتغيير عقدها لصالحه .. وطلقنى زوجى ولم ينس ان يودعنى ونحن فى مكتب المأذون بكلمات شامتة قاسية كشفت لى سر موافقته السريعة على الطلاق .. فقد أبلغنى أنه طلقنى لأنه تأكد من ان أمى قد حرمتنى من ميراثها .. ثم قال لى : هيا يابنت الأكابر عودى إلى أهلك ذليلة لتعيشى خادمة عند شقيقاتك بعد ان فقدت كل شىء وتحجرت عيناى .. وضاع صوتى .. فلم أرد

عليه ولم أبك ثم غادرت مكتب المأذون وحزن الدنيا فى داخلى ولا يخفف منه شيء سوى أن الله سبحانه وتعالى قد أكرمنى بعدم الانجاب منه .. لطفا منه وكرما .

وعدت إلى بيت أسرتى ذليلة ومكسورة القلب والكرامة وخالية الوفاض أيضا بعد أن بعت آخر ما بقى من ميراث أبى فإذا بى أجد شقيقاتى وازواجهن وأولادهن يستقبلوننى بالدموع والأحضان والقبلات كأننى عائدة من سفر طويل .. وإذا بهم جميعا حولى يخففون عنى آلامى .. ويواسوننى .. وتصر شقيقتى الكبرى على ألا تدعنى فى بيت الأسرة وحيدة وأن تصطحبنى لأعيش معها .. وأقمت معها .. وبدأت أضمد جراحى .. وانشغل عن آلامى بالحديث معها ومع أولادها وزوجها وبرؤية صديقات العمر اللاتى انقطعت عنهن ..

وبعد فترة قصيرة فاجأنى زوج شقيقتى بأنه قد نجح فى اعادتى إلى وظيفتى السابقة لكى اشغل نفسى بعمل مفيد ، وعدت للعمل وشكرته كثيرا وبعد أيام أخرى فاجأنى مرة أخرى بأن كل ما بعته من ميراث أبى قد اشتراه لى عن طريق وسطاء وأعاد تسجيله باسمى لأنه بخبرته فى الحياة قد عرف أن زواجى بهذا الشاب لن يطول وأننى سأعود إلى أسرتى مهما طال الوقت .. وحين تساءلت متحيرة .. وكيف لى أن أسدد ثمن هذا الميراث .. فاجأتنى شقيقتى الكبرى بما لم أتوقعه أو أحلم به وهى أنها قد اتفقت مع شقيقاتى على تجنيب نصيبى من ميراث أمى الذى وزع عليهن .. ليكون لى لأنهن رأين فى ذلك حقا ليس لهن . ولأنه لن تهنأ لهن حياة وأنا محرومة وهن يملكن ما كان يجب أن

أملكه .. ولان زوجها أيضا جزاه الله كل خير قد رفض ان يدخل على بيته وأولاده هذا المال الذى هو من حقى كما قال فتكلمت دموعى نيابة عنى .. ولم أجد ما أقوله .. وازداد همى بحرمانى من مودة أهلى وشقيقاتى خلال هذه التجربة البشعة ..

ولم يمض وقت طويل حتى عرضت على شقيقتى وزوجها الزواج من أقرب أصدقائه وهو رجل فاضل بكل معنى الكلمة توفيت زوجته وتركت له صبيا صغيرا .. فقبلت الزواج منه .. وأحببت ابنه كما لو كان ابنى وأكثر .. وتزوجته .. فعرفت معنى آخر للسعادة الزوجية القائمة على الاحترام والرقة والمودة واحترام مشاعر الطرف الآخر .. وبعد عام انجبت ولدا .. فأصبح لى ولدان يتقاسمان قلبى مع ابيهما الذى أنسانى بعطفه وحبه وكرم أخلاقه ما بقى فى روحى من آثار تجربتى القديمة ..

وكبر ولداى وتقدما فى مراحل الدراسة .. وفى العمر .. وأصبحت أفخر بهما وبتفوقهما العلمى وهما فى مدارج الشباب وحرصت على أن أعلمهما درس حياتى وهو ألا يخدعا أبدا فتاة وألا يساعدا أبدا فتاة على الخروج على طاعة أهلها بالكلام المعسول فيهدما سعادة أسرة متحابة كسعادة أسرتى التى هدمتها .. ويدميا قلوب آباء وأمهات كما أدميت أنا قلب أمى فماتت مريضة حسيرة وقلب عمى ـ رحمهما الله ـ وغفرا لى ماقدمت من ذنبى وما أخرت .

وأرجوا ان أؤكد لك أنى لا أقصد بكلامى هذا البسطاء الشرفاء الصادقين مع أنفسهم ومع الآخرين .. وإنما اقصد المخادعين من كل الفئات فهؤلاء هم النوع الردىء من البشر مهما كان مستواهم الاجتماعى

وهؤلاء هم من أوجه نصيحتى لكل فتاة بأن تحترس منهم .. وبألا تتزوج بعيدا عن موافقة الأهل أبدا ولها فى تجربتى مايغنيها عن كل سؤال .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لست اذكر من الذى قال صادقا أن كل إنسان فى الوجود مهما كان مستوى تعليمه يستطيع أن يؤلف كتابا واحدا على الأقل إذا روى بأمانة وصدق قصة حياته .

وقد ألفت كتابك بالفعل ياسيدتى .. وهو كتاب قيم عشنا معك كل سطوره فرأيناك وأنت فريسة لنقص التجربة وعدم نضج المشاعر والاندفاع العاطفى والعناء مع الأهل .. ورأيناك وأنت تدفعين الثمن غاليا من كرامتك وسعادتك ، ثم رأيناك وقد جاء مساء الحياة يحمل معه مصباحه ليعيد إليك الثقة فى الخير والبشر والعلاقات الإنسانية والعلاقات الأسرية المثالية .. أنها ثنائية الحياة الأزلية الخير والشر .. ولقد اسعدتنا صور الخير فيها كما اشقتنا صور الشر والانتهازية البشعة فيها .

ولكل تجربة مريرة فى حياتنا ثمن غال ندفعه من دمنا واعصابنا ورصيدنا المتناقص من الأيام .

فإذا كان لى أن أضيف إلى رسالتك شيئا فهو فقط ان الخير والشر لا يرتبطان بالمستويين الاجتماعى والمادى للبشر وإنما بالمستويين الأخلاقى والدينى لها ولعلك تنبهت أنت لذلك فى سطورك الأخيرة من الرسالة .. أما نداؤك الأخير لكل فتاة بألا تخرج على طاعة أهلها .. فهو نداء له قيمته وقد قلت مرارا أننى ضد الزواج الذى يدفع الإنسان ثمنه

بأن يقطع كل ما بينه وبين الأهل تماما فيجد نفسه وحيدا تماما فى الحياة مالم يكن موقف الأهل شديد التعسف وبلا سند من منطق أو دين ومثل هذا الموقف عادة لا يجمع الأهل عليه كلهم .. وإنما يكون هناك دائما من يرفضه منهم ومن يتعاطف مع عدالة مطلب الابن أو الفتاة ومن يسهم ـ ولو بعد حين ـ فى تذليل معارضتهم ومع ذلك فمن الأفضل دائما أن يحصن الإنسان دائما سعادته برضاء الأهل وقبولهم وموافقتهم .. وان يبذل غاية جهده فى سبيل ذلك وبلا يأس .. ولابد فى النهاية أن يمنحوه تأييدهم .. لأنهم لايبغون فى النهاية إلا سعادته ..

والحب الحقيقى الصادق ياسيدتى هو الذى يكتشف وجه الحياة الجميل النقى لكن سوء حظك قد شاء ألا تصادفيه فى تجربتك الأولى المريرة وأن تصادفى بدلا منه صيادا للفرص لم يدخل الحب لحظة فى حساباته .

فاشكرى اقدارك أنك لم تنجى منه .. واسعدى بما أوتيت وشكرا لك على رسالتك ..

القبيـــــــــــلة

اكتب إليك قصتى لعل فيها ما يهدئ خواطر بعض المهمومين .. ويعيد إليهم ثقتهم فى أن ينالوا حظهم من السعادة حين يأذن الله فلقد كنت فى الثالثة والعشرين من عمرى حين تقدم لى شاب كنت أراه كل يوم فى ذهابى وعودتى إلى الكلية .. لمدة ثلاث سنوات كاملة بغير أن يبادلنى كلمة واحدة رغم ذلك فقد نشأت بيننا علاقة صامتة عميقة ، أحببته من خلالها واحبنى .. وتمنيته لنفسى وتمنانى .. ثم جاء اليوم الموعود وتقدم لأسرتى يخطبنى فكأنى كنت أعرفه وأعرف كل شىء عنه منذ زمن طويل فأعلنت موافقتى عليه من اللحظة الأولى ... واعترض أبى بسبب بسيط هو أنه وحيد تماما .. فأبواه رحلا وهو صغير .. ولا أخوة له ولا أخوات وأقاربه القليلون يعيشون فى بلاد متفرقة .. لايعرفون عنه شيئا ولايريد هو أن يعرف عنهم شيئا بعد أن تخلوا عنه صغيرا ورفض أبى زواجى منه قائلا أن الفتاة تحتاج إلى أهل زوجها ولاتستطيع أن تواجه الحياة وحدها .. فأصررت عليه .. وبسبب تمسكى به على غير ارادة أبى أعلن أنه لن يساعدنى فى زواجى منه ، وكنت قد تخرجت من كليتى وعملت بأحد المكاتب المهنية ، وتخرج

خطيبى وعمل مهندسا ، فتحملنا وحدنا عبء زواجنا ، وتم زفافنا فى شقة صغيرة من غرفتين بلا أثاث تقريبا .. ومع ذلك فلقد كانت جنتى وعش أحلامى .. وواجهنا الحياة المتقشفة لمدة ٨ سنوات حتى استطعنا أن ننتقل إلى شقة أوسع وان نؤثثها بأثاث جميل لكنى لم أنجب أطفالا طوال هذه السنوات .. ولم أيأس من التردد على الأطباء حتى واجهونى بالحقيقة المرة وهى أنى لن استطيع الانجاب .

وخلال هذه السنوات كنت ألمح حيرة زوجى .. وهو الذى عاش وحيدا طيلة حياته ويتلهف إلى الأبناء ليعوضوه انعدام الأهل ..

وبعد فترة من التفكير العميق .. طلبت من زوجى الطلاق ليستطيع أن يتزوج ممن تنجب له أولادا ولأتخذ أنا أيضا طريقا آخر فى الحياة يعوضنى عما أحس به من نقص ، وثار زوجى ثورة عارمة ورفض طلاقى رفضا باتا .. لكنى الححت عليه واقنعته بعد جهد جهيد بأننا سنكون أصدقاء طوال العمر ، وان من الأفضل أن يتم الطلاق الآن قبل ان يحس هو برغبته فى الزواج من أخرى .. وبعد مشاورات طويلة وافق على طلاقى وعدت إلى بيت أسرتى واستمر اهتمام كل منا بالآخر على البعد وبعد عام من طلاقنا استشارنى فى أمر زواجه من أخرى ، عرض على ظروفها فوافقته عليها وتزوجها وبعده بشهور قبلت أنا الزواج من أرمل فاضل عنده ولدان فى سن العاشرة والسابعة وتزوجته وافرغت فى طفليه كل أمومتى الحبيسة وعوضتهما عن حرمانهما من أمهما ـ وكانت أسعد لحظات حياتى حين سمعت لأول مرة منهما كلمة « ماما » ، وحرمت عليهما أن ينادياني إلا بهذه الكلمة الجميلة !

وعشت حياتى مع زوجى الفاضل وأبنائى سعيدة .. وسافر مطلقى مع أسرته إلى إحدى الدول العربية وعاش هناك وانجب طفله ومضت سنوات العمر سريعا واجتزت الأربعين من العمر وبلغ ابنى الأكبر سن العشرين وابنى الأصغر سن السابعة عشرة وفجأة مرض زوجى مرضا خاطفا .. وغادر دنيانا مطمئنا إلى رعايتى لولديه .. وبعد شهور من وفاته أراد أهل زوجى أن يضموا الولدين لهم بحجة أنهم الأولى برعايتهما .. فرفضت ذلك وقاومته بكل السبل .. وقاتلت دفاعا عنهما .. وهما ولداى اللذان ربيتهما بيدى .. ورفض ابناى ذلك بكل اصرار حتى استسلم الأهل وتركوهما لى وواصلت حياتى بين عملى فى المكتب وبين رعاية الوالدين اللذين أصبحا شابين أفخر بهما ويتقدمان فى دراستهما بكل نجاح وواصلت سنوات العمر ركضها السريع فإذا بزوجى الأول يعود من الخارج ومعه فتاة شابة هى ابنته بعد أن رحلت أمها إلى رحمة الله فى الغربة .. منذ عامين .. والتقينا مرة أخرى بعد أكثر من ١٨ عاما من انفصالنا .. وإذا بقلبى يخفق للفتاة حين أراها لأول مرة .. واتلهف على احتضانها .. وكل ما فى جسمى وعقلى يؤكد لى أنها ابنتى التى كان مقدرا لى أن انجبها من زوجى لو كان الله سبحانه وتعالى قد أراد لى الانجاب ، وإذا الاحساس يتضخم عندى كل يوم حتى انتهيت إلى اقتناع عجيب بأنها ابنتى أنا لكن أباها انجبها من رحم امرأة غيرى لأسباب لا ذنب لى فيها !!

واصبحت هذه الفتاة تقاسم ولدى الآخرين قلبى .. وحين عرض على مطلقى أن نعيد شملنا مرة أخرى فوجئت بأبنائى الثلاثة .. نعم

الثلاثة ولداى وبنتى يلحون على فى قبول الزواج لنعيش معا تحت سقف واحد .. وتزوجت زوجى مرة أخرى وعشنا نحن الخمسة فى بيته وأصبح لى ثلاثة ابناء وزوج .. وأصبح لزوجى قبيلة يرعاها ويسعد بها .. وتوالت المشاهد سريعا فكبرابنى الأكبر .. وعمل .. ثم تزوج من ابنتى واقاما معنا فى نفس البيت .. وتخرج ابنى الأصغر .. وخطبت له فتاة جميلة ابنة جار طيب لنا وشرطى الأول الذى سعدا به هو ان يقيما معنا وان يشاركانا حياتنا .. وبلغت أنا الخمسين .. ومازلت أعمل وارعى أسرتى الكبيرة التى زادت عددا بحفيدى الصغيرى الذى يملأ الدنيا صراخا وأنا اكتب لك هذه الرسالة لأقول لكل رجل وكل امرأة حرما من الابناء ان الخير فيما اختاره الله لها .. وان التعويض النفسى عن الحرمان من الأبناء ممكن جدا بأكثر من وسيلة ، ولأقول لمن حرمته الاقدار من زوجته ولمن حرمتها من زوجها ألا ييأسا من رحمة الله .. فقد يجىء التعويض وتحين السعادة حين يأذن بها خالق السماوات والمهم دائما هو أن نرضى بما اختاره لنا الله .. وان نلتمس التعويض والعزاء فى وجوه الحياة الكثيرة الصاخبة .. وشكرا .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : النفوس المحبة الراضية التى تشع حبا وعطاء للآخرين .. تسعى إليها السعادة .. حتى وان لم تسع هى إليها .. ولم تبذل جهدا لنيلها .

لهذا فلا عجب فى أن تجدى العزاء والسلوى عما حرمت منه فى هذه القبيلة التى يظللها الحب ويجمع بينها الاخاء .

بل ولاعجب فى ان يجتمع شملك مرة أخرى مع زوجك الأول

بعد كل هذه السنوات وفى ظل هذه الظروف الدرامية الغريبة ـ التى ماكنت لأصدقها لولا أننى اعرف جيدا أن الليالى يلدن كل عجيب .. وان الزمن هو اعظم المؤلفين بغير استثناء .

لقد استعرض الفيلسوف الألمانى «كانت» شريط حياته قبيل ان يلفظ أنفاسه بلحظات .. ثم ابتسم وقال : هذا .. حسن !

وأفضل ماتقدمه الحياة للإنسان من خير هو ان يكون قادرا على أن يتوقف فى أى لحظة من العمر ليراجع شريط حياته ويرضى عنه ويقول مع الفيلسوف الألمانى : هذا .. حسن !

لكنها جائزة كبرى ياسيدتى لاينالها إلا من طبعت نفوسهم على الرضا وتقبل الحياة بكل ماتحمله إليهم أمواجها .. وعلى القدرة على العطاء .. واستشعار السعادة فى اسعاد الآخرين ولاشك أنك واحدة ماكنت لأصدقها لولا أننى أعرف جيدا أن الليالى يلدن كل عجيب .. المفيدة .

الشعيرات البيضاء

قرأت رسالة « رحلة القطار » فتساقط دمعى على صفحة الجريدة .. وتمزق قلبى ألما وعطفا على هذا الشاب الصابر المؤمن الذى ظلمه شقيقه وإذاه ودفعتنى هذه الرسالة المؤلمة إلى أن أروى لك وله قصتى مع الحياة ، ليعرف منها كاتب الرسالة ما أردت قوله له .

فأنا ياسيدى رجل .. نشأت فى أسرة بسيطة مكونة من أب عامل باحدى الشركات وأم طيبة و٣ فتيات وولدين أنا أكبرهم وكان بيتنا الذى نشأنا فيه حجرة فى شقة من ٤ حجرات تقيم فى كل منها أسرة بأكملها ، وكان عدد أطفال الشقة ١٨ طفلا يلهو صغارهم فى صالتها .. ويذاكر كبارهم دروسهم وسط ضجيجهم .

ورغم ذلك فقد حصلت على الاعدادية بمجموع كبير يؤهلنى لمواصلة الدراسة الثانوية وكانت أمنيتى أن التحق بالجامعة وكان أبى يعرف عنى ذلك . فقدم لى أوراقى فى المدرسة الثانوية لكن أحد جيراننا الطيبين دعانى إلى غرفته وحدثنى بعطف عن ظروف أبى وضرورة أن اختصر تعليمى لأعاونه فى حمل المسئولية .. فشكرته ، وعدت إلى حجرتى فوجدت ابى يتجنب النظر إلى وهو خجلان فامتلأت نفسى

بالاشفاق عليه .. وتقبلت ظروفى وقدمت أوراقى إلى المدرسة الصناعية وكانت مدرسة عسكرية فحمانى زيها الموحد من العرى ورثاثة المنظر ، وبعد عام نجحت شقيقتى فى الاعدادية .. وتكررت معها نفس القصة لكنها كانت أقوى منى فتمسكت بالتعليم الثانوى واستغاثت بى فاندفعت أؤيدها وأقول إنى سأساهم فى نفقات تعليمها ، وكنت قد بدأت وقتها أعمل فى إحدى الورش بعد المدرسة ، ثم تكررت نفس القصة بحذافيرها مع شقيقتى الأخريين فى دوريهما أما شقيقى الوحيد هو أصغرنا جميعا .. وآخر العنقود كما يقولون .. فقد كان مشاغبا متبرما دائما .. سريع الشكوى ولا يعرف التنازل عن أى مطلب من مطالبه .. فجاءنى بعد الاعدادية وقال لى بطريقته الحاسمة ساتعلم فى الجامعة واتخرج مهندسا .. فتصرف !

فضحكت وتصرفت فعلا وقدمت أوراقه للمدرسة الثانوية .. وكنت قد تخرجت فى المدرسة الصناعية وعملت بإحدى شركات حلوان وأصبحت أصحو فى الخامسة فأذهب للمصنع وأعود إلى الورشة فأعمل حتى المساء .. ومضت عدة سنوات وأحيل أبى إلى المعاش فانخفض مورده وأصبح ما اكسبه هو المورد الأساسى للأسرة .. وفى هذه الفترة كان رفاق الصالة قد كبروا وتفرقوا بين المدارس والمعاهد ومن بينهم كانت نفسى تهفو دائما لفتاة هادئة الطباع حلوة المعاشرة ، فنشأت بينى وبينها قصة حب شريف لا يعبر عن نفسه غالبا إلا بالعيون وتبادل الاهتمام .. وكانت تواصل دراستها الجامعية . فلم تتغير ولم تحلم بالارتباط بأحد غيرى فاستقر حبها فى أعماقى .

وكنت فى سن الرابعة والعشرين حين جاء من يخطبها .. ففزعت إلى تسألنى ما العمل فحدثت أبى وأمى فى الموضوع .. فوافقانى على خطبتها لكنى احسست أنهما يوافقان بلا حماس لكيلا يظلمانى وانهما فى أعماقهما يتمنيان لو آخرت هذا الارتباط حتى تتخرج شقيقاتى ويخف العبء .. ولم يقل لى أحد ذلك لكنى أحسسته فاثقل ضميرى .. وكانت فتاتى تعرف الحال فلم تقس على كثيرا وتفهمت ظروفى وخطبت .. وشاركت فى فرحها بقلب مثقل بالهم . ولم يخف ذلك على أمى فبكت وقالت لى : ظلمناك فى الأول .. وفى الآخر .. ولن يغفر الله لنا .. فأسرعت انفى شبهة أنى حزين لزواج مديحة .. واكدت لها أنى سعيد بمسئولياتى وراض عن نفسى ..

ومضت الأيام بطيئة وصعبة وكانت شقيقاتى أكثر تقديرا لظروفى فلا يطلبن منى شيئا إلا إذا لم يكن منه بد ، وأسارع بتلبيته مهما كان ، وقد حفرت الحياة بينى وبينهن حبا عميقا فكنت أخاهن وصديقهن ومستشارهن فى كل أمور الحياة .. أما شقيقى المتمرد .. فكان لايعرف الصبر على شىء يريده .. فإذا أراد حذاء جاءنى وقال لى بكبرياء وبلهجة لاتعرف فيها المزاح من الجد : ألم أطلب منك حذاء أول أمس .. أين هو ؟ فلا أملك نفسى من الضحك منه ومن ظروفى وأجد نفسى مضطرا « للاعتذار » له عن تأخيرى .. فيتقبل الاعتذار مشكورا ! وتنهال عليه أمى بلسانها لأنه لايقدر الظروف .. ولايقدر ما أفعل .. إلخ .. فأمنعها وانفى عنه كل اتهاماتها وأقول لها انه الأصغر وقد وجد من يتحمل عنه المسئولية فظن أن هذه هى الحياة الطبيعية فلا

تقسى عليه يا أمى فلكل إنسان ظروفه ولو كان هو مكانى لفعل ما أفعل تلقائيا .. وهكذا مضت حياتنا صعبة ولكن يظللها دائما الحب والتفاهم والتسامح .. حتى كانت جلساتنا معا أمتع من أى شىء آخر يتمناه كل منا .. وبعد إحدى هذه الجلسات الهنيئة مات أبى رحمه الله راضيا عنى وداعيا لى ولكل اخوتى وبعدها بشهور تخرجت أولى شقيقاتى ووفقنى الله فى تشغيلها عن طريق أحد زبائن الورشة ، وأرادت أن تساهم فى مصروف البيت فقلت لها يكفيها أن تلبى مطالبها الشخصية وان تدخر بعض راتبها للزواج ثم تخرجت الثانية والثالثة وعملتا فى بعض الأعمال المؤقتة ، وتوفى صاحب الورشة الذى عملت معه ١٦ عاما .. ولم يكن له ولد .. فقررت ارملته بيعها بسبب بعض المشاكل مع الضرائب وعرضت على شرائها بمبلغ معقول لكنه لم يكن متوافرا لى فعرضت على دفع أى مبلغ وكتابة شيكات مقسطة بالباقى لكى تضمن دخلا مستمرا لعدد من السنين ففعلت وحصلت على اجازة بدون راتب من الشركة وتفرغت للورشة تماما ، ومع ذلك فلم تتحسن أحوالى المادية كثيرا ، لأن قسط الورشة كان يلتهم معظم الدخل ومع ذلك فلقد واصلت كفاحى ، وبعد عامين حققت حلم أسرتى بنقلها من الشقة المشتركة إلى شقة مستقلة لأول مرة فى تاريخها استعدادا لمن يأتى طالبا أيدى شقيقاتى الثلاث واحتفظت بالغرفة التى شهدت كفاحنا من باب الاحتياط ، ولم يمض كثير حتى جاء من يخطب كبرى البنات ثم التى تليها وتم زواجها والحمد لله خلال عام واحد وقمت بواجبى نحوهما قدر المستطاع .. ولم أخف على زوجيهما شيئا

عن حياتنا بل اصطحبتهما إلى شقة الكفاح فى زيارة لجيرانى القدامى هناك وعرفتهما بهم .

وبلغت السادسة والثلاثين من عمرى واكتشفت ان شعيرات بيضاء عديدة قد تسللت إلى شعرى .. ففكرت فى الزواج وكان قلبى مازال يهفو إلى رفيقة الكفاح القديمة وكنت استقصى أخبارها دائما من أسرتها .. وأسعد بما يسعدها .. واشقى بما يشقيها وكانت معظم اخبارها حزينة لأن الأقدار شاءت لها أن يمرض زوجها بمرض مستعص بعد ثلاثة أو أربعة أعوام من زواجها فتقبلت اقدارها برضا .. ووقفت إلى جانبه باخلاص . وراحت أمى تلح على فى الزواج قبل أن يفوتنى القطار خاصة ان مسئولياتى قاربت على الانتهاء فقد تخرجت الشقيقات والشقيق وعملوا جميعا وتزوجت منهن اثنتان .. وكان آخر من عمل شقيقى المشاغب الذى وفقه الله فى العمل فى هيئة مهمة لا أعرف كيف استطاع العمل بها واستشرت أختى الصغرى فى موضوع زواجى فأيدت ذلك بحماس وعرضت على الشقيقة الكبرى إحدى صديقاتها وأثنت على أخلاقها ووداعتها وكان شقيقى الأصغر فى الخارج فانتظرته حتى عاد .. وقلت له أنى أريد رأيه فى شىء هام ، فإذا به هو أيضا يريدنى فى شىء هام .. ومادام شىء يخصه فهو بالضرورة أكثر أهمية .. لهذا لم يسألنى ماذا أريد وانطلق يروى بطريقته المباشرة أنه يحب زميلة له من أيام الكلية وأنها هى التى سعت لتعيينه بواسطة أبيها فى الهيئة وان خطابها كثيرون ولا تستطيع الانتظار حتى يدخر ما يحتاجه لتوفير شقة .. لهذا فهو يريد الزواج والاقامة معنا فى الشقة حتى يتسلم شقة النقابة بعد

عدة سنوات .. فانفجرت فيه أمي واختي لكني كففتهما عنه .. وطلبت منه أن يعطيني مهلة للتفكير .. وبعد انصرافه أصرت أمي على الرفض ، أما أنا فقد رحت افكر .. واتساءل لماذا تسبق رغباته رغباتي دائما .. وشغلت نهارى فى الورشة بالتفكير فى الموضوع .. وعدت فى المساء ففتح لى الباب وراح يرقبنى بتحفز وهو يقرض اصابعه كعادته حين يكون عصبيا فقلت له بعد دقيقة : مبروك ياختزير !

فانفجر ضاحكا وهجم على يقبلنى وسط دهشة أمى وأختى وتزوج أخى فى شقتنا وجاءت العروس فاستقبلناها أحسن استقبال وعدت مرة أخرى أنام أنا وأمى وأختى فى غرفة واحدة لتخلو الشقة لجهاز العروس وأسرتها وضيوفها .

ولم تخل الحياة بالطبع من بعض المشاكل التقليدية والبسيطة بين الأم وزوجة الابن أو بينها وبين شقيقة الزوج .. ولكنى وضعت الأمور فى حجمها الطبيعى .. مذكرا أمى وأختى بأننا قد احتملنا من قبل عشرة الأغراب .. فليس أقل من أن نحتمل عشرة من أصبحت من أسرتنا اكراما لشقيقنا .. وتزوجت اختى الأخيرة وانتهت بزواجها آخر مسئولياتى العائلية .. وأصبحت لى ٣ بيوت اذهب لزيارتها فاستقبل فيها بالحب والاحترام واحيانا بالدموع إذا جرنا الحديث إلى غرفة الكفاح ومالاقيناه فيها وكنت اقضى فيها ساعة القيلولة لقربها من الورشة من حين إلى آخر فإذا بأمى تطلب وتصر على أن تعود للاقامة فيها إلى أن يتسلم شقيقى شقته ويرحل بزوجته بسلام واحترت ماذا أفعل !.. وكيف اتركها وحدها فى الشقة المشتركة .. وحاولت اثناءها فاصرت وادركت

أنا الموقف فقررت أن أقيم معها إلى أن يخلى شقيقى الشقة .. وابلغت أخى بذلك فجاء مسرعا وحاول استرضاء أمى فاقنعته بأنها مستريحة هكذا وليست غاضبة من أحد .. واكدت أنا أيضا له ذلك لكنى طالبته من باب الوفاء بحقوق الأم أن يصطحب زوجته معه فى الزيارة القادمة لتسترضيها بكلمتين وينتهى الموضوع .. من الناحية النفسية ويستمر الحال على ماهو عليه فهز رأسه وسكت ، ومرت أيام ولم تأت زوجته ، وسألته مرة أخرى فوعد ، وسألته مرة ثالثة وكنا فى الغرفة القديمة ففوجئت به يقول لى أنه لايريد احضار زوجته إلى الشقة المشتركة لكيلا تراها وترى جيراننا القدامى فتتعالى عليه أو تعيره بهم ، وأحسست بألم شديد يشق صدرى .. ولم أشعر بنفسى إلا ويدى ترتفع وتصفع شقيقى الوحيد لأول مرة فى حياتى .. ففوجئ مفاجأة قاسية واندفع يردد فى عصبية : تضربنى .. أنت تضربنى ، ووجدت نفسى انفجر نعم أضربك وأكسر رأسك أيضا .. من تظن نفسك .. إلخ ، وانتهى الموقف الغريب فهدأت وأحسست بالندم لأنى صفعت شقيقى وهو رجل وزوج وعلى وشك أن يصبح أبا .. فبكيت طويلا بعد انصرافه ولم يخفف من حزنى قول أمى وجيرانى لى أننى أبوه وان من حقى أن أؤدبه .. واننى صبور معه أكثر مما يجب .. ونمت ليلة من اتعس الليالى .. وفى اليوم التالى كنت معكر المزاج فى الورشة طوال النهار .. ولم اطق صبرا على ذلك فغيرت ملابسى وتوجهت إلى الشقة الجديدة واستقبلتنى زوجته بترحاب واحترام رغم علمها بما حدث وكانت دائما تعاملنى معاملة طيبة وانتظرته إلى أن جاء ونهضت لأصافحه واقبله

واعتذر له لكنه تجافى عنى وتجاهلنى ودخل غرفة النوم وأغلق بابها وراءه .. وشعرت بالخجل فانصرفت .. وعشت أياما مكتئبا .. وشكوت لشقيقاتى فلمنه لكنه رفض أن يزورنى فى الورشة أو فى الغرفة .. وعز على أنا أن أكرر التجربة واذهب إليه فيعرضنى للمهانة مرة أخرى ..

وبدأت ألومه بينى وبين نفسى .. أليس لى عنده أى رصيد من المودة والرحمة يجعله يصفح عن خطأ واحد ارتكبته فى حقه ! وكيف نتخاصم ونحن شقيقان .. وليس لأحدنا سوى الآخر .. ثم لماذا لايتنازل مرة واحدة ويصالحنى وأنا لا أحتمل خصامه ولا خصام أى من شقيقاتى وخاصمته كبرى الشقيقات تأييدا لى فزرتها ولمتها على ذلك وقلت لها أنه بين الأخوة ليست هناك محاور ولم اتركها إلا وهى تستعد لزيارته ومرت أسابيع واقترب موعد ولادة زوجته فترقبت الأخبار لأؤدى واجبى معها .. حتى جاء يوم كنت أعمل فى اصلاح سيارة ومشغولا بها حين رفعت رأسى فجأة فوجدت شقيقى قادما يقترب من الورشة وهو متجهم فانخلع قلبى وتوقفت عن العمل ورحت أرقبه خائفا إلى أن أصبح أمامى تماما ووقف صامتا دقيقة مرت على كأنها سنة .. ثم قال فجأة بنفس الطريقة الحاسمة التلغرافية : فلانة (أى زوجته) انجبت ولدا .. وسميته باسمك ثم استدار وانصرف ! واستوعبت المفاجأة بعد لحظات فصرخت بأعلى صوتى : استنى ! ثم هرولت إليه بكل شوق العمر واحتضنته وقبلته وعدت به للورشة وأنا اقفز فوق الأرض من الفرح .. واحضرت صندوقا من المياه الغازية

أمرت الصبى بتوزيعه على المارة احتفالا بأول ولد سيجعل منى عما .. وجلجلت ضحكاتى فى الحارة معبرة عن سعادتى ، ونهضت فاصطحبته معى إلى البيت واصطحبت أمى واشتريت هدية كبيرة وذهبت معه إلى المستشفى .. وقبلت ابنه سعيدا ، وهو يقول لى : هاقد انجبت لك ولدا لتضربه بدلا منى .. فقلت له : توبة بعد الآن معك أو مع غيرك !

وعاد الوئام بينى وبين شقيقى الوحيد وسعدت أسرتنا المكافحة بذلك وجاء شهر رمضان هذا العام ونحن على أسعد حال .. وقد افطرنا جميعا أول لياليه شقيقاتى وازواجهن فى غرفتنا المتواضعة ومعنا زوجة شقيقى التى احبت المكان والجيران ولامت زوجها لأنه أساء بها الظن وهى من تحبه منذ كانت فى السنة الثانية بالجامعة .. وقد بلغت الآن التاسعة والثلاثين .. ولم اتزوج بعد .. ومازلت اسدد اقساط الورشة التى ستنتهى خلال عام .. ومازلت أقيم فى الغرفة القديمة فى انتظار أن يحصل شقيقى على شقته .. وسيحصل عليها بعد ٨ شهور وحتى لو تأخرت عن ذلك فماذا سيحدث ! سنعيش كما عشنا .. وسانتظر فرصة ثانية وربما تحسنت الأحوال واستطعت شراء شقة أخرى وتنازلت له عنها نهائيا .. لكن ذلك لن يحدث ان شاء الله لأنه سيأخذ الشقة قريبا أما أنا فان القطار لم يفتنى كما تقول لى أمى ، وهى تمسك بالشعيرات البيضاء فى جانب رأسى .. فلقد عقدت قرانى منذ شهر على « مديحة » التى حال الفقر دون الجمع بيننا منذ ١٤ سنة ، بعد ان عادت إلى قواعدها سالمة عقب وفاة زوجها رحمه الله منذ ٣ سنوات .. وهكذا

تقسم الحياة الأنصبة بين الناس .. فيأخذ هذا شيئا .. ويحرم هذا من شيء آخر .. لكن لاشيء في الدنيا أكبر من أن تعيش وتتحرك وسط من تحبهم ويحبونك الحب الصافي الذي بلا غرض .. وليس هناك أحق من أخوتك وأسرتك بهذا الحب .. لأنهم من لحمك ودمك .. ولو احببتهم لاحببت كل الناس وقد أردت برسالتي هذه أن أقول لكاتب رسالة « رحلة القطار » ان هناك أشياء كثيرة يجب ألا يضحى بها الإنسان ابدا حتى ولو خسر الدنيا وما فيها وبعد ذلك أقول له اعانك الله على فقد شقيقك الوحيد .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : سئل أديب كبير عن تعريفه للأدب العظيم فقال انه الأدب الذي تخرج من قراءته وأنت أكثر طيبة واكثر نبلا !. وأنه الأدب الذي تحس بعد أن تنتهي منه بأنك قد صرت إنسانا أفضل وبأن رغبتك في أن تكون أكثر عطفا وإنسانية وتفهما في علاقاتك مع الآخرين وقد ازدادت كثيرا عنها قبل أن تقرأه !

إن رسالتك هذه ياصديقي العزيز تندرج تحت هذا النوع من أنواع الأدب الذي يجعل الإنسان أكثر نبلا بعد قراءته .. أنها تعكس فهما راقيا للحياة وللقيم الصحيحة الأولى بالرعاية والحفاظ عليها وبعدم التضحية بها مهما كانت الأسباب والمبررات . فبمثل هذه القيم تكون الحياة حياة كما أرادها لنا الخالق وبغيرها لاتكون سوى فرع من فروع البورصة لاقيمة لشيء فيه إلا بالمال وحده !

إنني لن أطيل في ردي على رسالتك .. لأنها لا تدع زيادة لمستزيد .. لكني سأقول لك فقط أنك قد جعلتنا نحب شقيقك

المشاكس مثلما نحبك ونحب أسرتك وجعلتنا نحب الحياة والصفاء بين الأخوة والأشقاء وكل الأشياء الجميلة فى الحياة .. وحتى حين اخطأت بصفع شقيقك فلقد كانت دوافعك للخطأ دوافع نبيلة وشريفة لأنك صفعته انتصارا لحق أمك ولقيم الأصالة ورفض الادعاء والتكبر وشتان ما بين دوافعك لهذه الصفعة وبين دوافع الآخر سامحه الله حين صفع شقيقه الذليل المنكسر فى رحلة القطار .

إن بعض الناس قادرون على العطاء وعلى التماس الاعذار للآخرين والتعامل مع الجانب الطيب فيهم وأنت منهم لهذا فانى أقول لك ان شعيراتك البيضاء ليست انعكاسا لمر السنين وإنما هى انعكاس لبياض سريرتك الناصعة البياض .. ومن كان كذلك قد يبيض شعره أحيانا لكنه يطالع الدنيا دائما شابا محبا للحياة والخير والبشر حتى نهاية العمر . فهنيئا لك سلامك النفسى وحكمتك الفطرية وقدرتك على العطاء والتضحية والايثار .. ولك كل احترامى ومودتى .

الحقيبة الزرقاء

أنا ياسيدى سيدة فى الثانية والثلاثين من عمرى .. نشأت فى أسرة طيبة متدينة .. فرعيت الله فى كل تصرفاتى ولم اسمح لنفسى بارتكاب معصية وواصلت دراستى بتفوق حتى التحقت بالجامعة وتقدمت فى دراستى حتى بلغت السنة الثالثة بغير أن تتجاوز علاقتى بزملائى حدود الزمالة المتحفظة إلى أن اقترب منى زميل يكبرنى بسنة ويدرس معى فى نفس الصف بعد حوار صامت طويل استمر بيننا أكثر من عام وتصارحنا بمشاعرنا وبعد فترة قصيرة طلب أن يزورنى فى بيتى فمهدت له الطريق والتقى بأبى وطلب يدى منه وصارحه بأنه لايملك أية امكانات للزواج وانه سيكافح ليبنى عشه من الصفر. وصارحه أبى بدوره بانه موظف وان غاية مايستطيع ان يقدمه لى هو مبلغ محدود سيحصل عليه باستبدال جزء من معاشه . وان علينا ان نبنى عشنا بكفاحنا معا وتمت الخطبة فى حفل عائلى بسيط ..

وتركز أملنا فى الحصول على البكالوريوس بتفوق عسى ان نجد فرصة العمل كمعيدين بنفس كليتنا .. وكافحنا كفاح الأبطال فى السنة الأخيرة من الكلية حتى صرت كالشبح من قلة النوم وكثرة الاجهاد

وهزل خطيبى وبدأ شاحبا كالخيال .. وتقدمنا للامتحان ونجحنا بتقدير عال لكنه للأسف لم يكن كافيا لكى ييسر لنا العمل كمعيدين .. فقد كان هناك من سبقنا فى الترتيب بفضل الدروس الخصوصية وتوافر امكانات الحياة .

وبدأنا رحلة البحث عن العمل فى مجال تخصصنا ففوجئنا بالأبواب المسدودة فى وجه من لاسند له فى الحياة ولا واسطة ودخلنا عشرات المسابقات بلا طائل فقررت أن الق شهادتى وراء ظهرى وان أعمل أى عمل فتعلمت الآلة الكاتبة والتلكس وعملت لفترة كجليسة أطفال عن طريق اعلانات الصحف ورقت لحالى الأم بعد ٦ شهور من عملى معها وبعد ان لمست ظروفى فأوصت بى زوجها الذى عينى فى الهيئة التى يعمل بها كسكرتيرة لأحد المديرين بعقد مؤقت ثم تم تثبيتى بعد فترة .. ولم ينجح خطيبى فى العثور على عمل ، فعمل سائقا لتاكسى يملكه جار لهم علمه القيادة وساعده فى استخراج الرخصة .. واتفق معه على ان يعمل عليه طوال الليل مقابل ربع الإيراد ثم يسلمه السيارة فى الثامنة صباحا ولم انزعج لذلك وان كنت قد اشفقت عليه من السهر حتى الصباح كل ليلة .. واستراح هو كثيرا إلى تشجيعى له فراح يعمل بكل همة .. ويعطينى معظم مايكسبه لكى نبدأ به حياتنا ولم يرحم نفسه فكان يعمل من السادسة مساء حتى منتصف الليل فى محل لبيع الساندوتشات قبل ان يتسلم سيارة الأجرة .. وبعد عام طويل من هذا العناء طلب ان نتزوج واعترض أبى لأنه لم يوفر الشقة بعد ، لكنى رجوته أن يوافق لأن خطبتنا قد طالت واكدت له أنى سأعيش معه فى

أى مكان ، وتزوجنا وامضينا ليالينا الأولى فى فندق متواضع .. ثم عجزنا عن احتمال تكاليفه فأصبحنا نتناوب الاقامة فى بيت اسرتى وبيت أسرته .. ثم اتسعت الدائرة فأصبحنا نتنقل بين شقق أخوتى واخوته وكلما لمحنا أى بادرة للضيق بنا .. سارعنا بالعودة للفندق المتواضع .. مع أن أحدا لم يضق بنا فعلا .. لكننا كنا نبالغ فى مراعاة أحاسيس من يستضفوننا فأشارك فى أعمال البيت .. وفى تنظيف الشقة .. وفى تحمل كل الأعباء وكان زوجى آية فى الحساسية والعرفان لكل من استضافنا .. واصبحت الحقيبة الزرقاء التى تضم ملابسنا نادرة نتندر بها فنقول إننا نسكن فيها وان « عنواننا » عليها وأخيرا نجحنا فى العثور على شقة مفروشة صغيرة بإيجار محتمل ومع رثاثة العثور على شقة مفروشة صغيرة بإيجار محتمل ومع رثاثة أثاثها وسوء حالتها وقذارتها فقد فرحنا بها كثيرا .. وصنعت لها بيدى ستائر رخيصة لأجملها بها وقمنا نحن الاثنين بطلاء جدرانها المتساقطة بطلاء جميل فأصبح لى بيت أعيش فيه مع شريك عمرى وعشنا فى هذه الشقة شهورا وكل فترة يرفع صاحبها الإيجار حتى عجزنا عن احتماله فانتقلنا إلى شقة ثانية وثالثة ورابعة ومعنا دائما الحقيبة التى نعتبرها عش الزوجية !

وحاولت أن أجد لزوجى عملا فى الشركة التى أعمل بها ففشلت ولم اترك عميلا يتعامل مع الشركة يمكن ان تكون لديه فرصة عمل بغير ان ارجوه بشأن زوجى .. وكنت فى البداية اخفى هذا الأمر عنه لكيلا اجرح مشاعره .. لكنى صارحته به حين لمست من بعض من رجوتهم تشغيله تصرفات لم ترحنى .. فاستشرته فى ذلك فثار ثورة عارمة وطلب

منى ألا أرجو احدا بشأنه حتى لا افتح على نفسى أبوابا للمشاكل .. وخاصمنى عدة أيام .. لم اذق فيها طعم الراحة .. ثم صفا لى ورجانى بهدوء ألا اضع نفسى فى هذا الموقف مرة أخرى لأنه يمس رجولته ويعرضنى للمتاعب فوعدته بذلك .

لكن هذا الحادث لم يمر عليه بسهولة فبعد أيام أبلغنى أنه سيسافر وحده إلى الخارج ليبحث عن عمل بشهادته ..

ورفض توسلاتى له بألا يسافر بعد ان اقترب أمل عثوره على عمل عن طريق القوى العاملة .. وبعد أسابيع سافر بالفعل وودعته وأنا حزينة واخليت الشقة المفروشة اسفة .. وعدت بالحقيبة إلى بيت أبى ، وبدأت رسائله تصل إلى تصف معاناته فى البحث عن عمل .. واضطراره لأن يعمل فى بعض الأحيان سائقا لسيارة أجرة لكى يجد مايسد به رمقه .. وعن اقامته ضيفا على أربعة من معارفه يسكنون غرفة ضيقة وبعد ٣ شهور عصيبة نجح فى الحصول على عمل ملائم .. وبدأت حياته تعرف بعض الراحة .. وبدأت رسائله تتخفف من آلامه .. وبدأ يرسل لنا مبلغا من مرتبه كل شهر ولم انس السيدة الكريمة التى ساعدتنى فى الحصول على عمل فداومت على الاتصال بها وشكرها .. وكثيرا ماعرضت عليها خدماتى بلا مقابل فكانت تعتذر شاكرة وبعد عام ونصف عام عاد زوجى فى اجازة لأول مرة فاستقبلته بشوق الدنيا كله ومضت الأسابيع الثلاثة كلمح البصر وبعد عام آخر جاء ومعه ما نستطيع أن نستأجر به شقة فأجرنا شقة مناسبة وترك لى بعض النقود لأبدأ تأثيثها فشغلت نفسى بتأثيثها ووضعت فيها كل ماتبقى لى من

مرتبي وأصبحت لنا شقة نحس فيها بالأمان ولا نتوقع أن يطالبنا صاحبها باخلائها فى أى لحظة وانتظم حبيبي فى ارسال المبلغ الشهرى لاستكمال الشقة ومواجهة نفقات الحياة فكنت ادخر حوالى نصفه فى البنك لكى يجد زوجى بعد عودته مايبدأ به مشروعا صغيرا يغنيه عن الوظيفة .. وجاء يوم رأيت فيه أن ماتوافر لنا يكفى لبدء هذا المشروع فطالبته بالعودة للاستقرار معى خاصة بعد ان انجبت طفلين « توءم » .. لكنه رأى أن الوقت لم يحن بعد .. وواصل البقاء هناك والعودة كل سنة لمدة شهر .. واستضافتنا عنده شهرين كل سنة حتى مضت ٧ سنوات كاملة قبل ان يستجيب لالحاحى بالعودة لكى يلتئم شملنا بعد ان حقق الله لنا كل مانريد .. فعاد ياسيدى .. لكنه عاد شخصا آخر غير الذى عرفته واحببته فقد عاد مكتئبا .. عابسا حزينا .. فاتش فيه عن حبيبى القديم فلا أجده ولا أجد روحه المتفائلة العالية ولا فرحته الطفولية بطفليه وبى وقدرت أنها أثار الغربة الطويلة .. التى قد تستغرق وقتا قبل ان يعود للاندماج فى حياتنا كما كان وانتظرت لكن كل يوم يمضى يزيدنى احساسا بأن شيئا جوهريا فى روحه قد تغير .. ماهو .. ولماذا ؟! لا أعرف وحاولت أن ادخل البهجة إلى قلبه فقدمت له كشف الحساب الذى يتضمن المبلغ الذى ادخرته له ليستعين به إلى جانب مدخراته فى بدء مشروع فى مجال تخصصه .. فلم يبتهج .. وفاجأنى بفتوره وبقوله لى أنه قد نسى كل شيء عن تخصصه ولايجد فى نفسه الرغبة فى العمل فيه مرة أخرى .. ولا فى أى عمل فى الوقت الحالى . ولم اثقل عليه لتأكدى من أنه لايحتمل البقاء بلا عمل .. لكنه امضى عدة أسابيع

لايفعل أى شىء ويجلس معظم أوقات النهار فى البيت صامتا مكتئبا واضبطه فى بعض الأحيان وهو يرنو إلى فى حزن فإذا تنبهت إليه حول نظراته عنى وجن جنونى .. وحاصرته بالأسئلة وبكيت طويلا بين يديه وأنا أحاول أن أعرف ماذا به .. واتهمته بأنه لم يعد يحبنى وبأنه قد تحول بمشاعره عنى إلى أخرى .. فيتحمل ثورتى فى هدوء شديد وينفى عن نفسه الاتهامات ثم يمسك يدى بحنان ويغرق فى صمته وكلما سألته متى سيبدأ العمل يجيبنى بأنه يحتاج إلى فترة راحة طويلة قبل أن يواصل الكفاح مرة أخرى ، لكن فترة الراحة طالت أسابيع أخرى وكلما فاتحته فى الأمر تهرب من الحديث .. وضاق به .. أو تشاغل بمداعبة الطفلين وهو عابس !

فاتركه لنفسه وادعو الله فى صلاتى ان يفرج الله كربه الذى لا أعرفه ثم نفد صبرى فانهرت وبكيت حتى جفت دموعى .. وهددته بأنى ساطعن نفسى بسكين المطبخ ان لم يفتح لى قلبه ويصارحنى بسر فتوره وفقده للحماس وصمته الحزين فقال لى بهدوء : إذن فاهدئى وسوف اروى لك كل شىء وحكى لى أنه قبل شهور من عودته من الخارج نجح فى الحصول على عمل أفضل فى هيئة رسمية وقرر أن يعمل بها عامين آخرين قبل عودته وبدأت اجراءات التعيين وكان من بينها الفحص الطبى فإذا بالهيئة ترفض تعيينه بعده .. وإذا بطبيبها الهندى يصدمه بلا رحمة بمفاجأة مؤلمة وينصحه بالعودة لبلاده لكى يتلقى فيها علاجا منتظمًا وبأن يعيش بين أسرته حيث يتوافر له أكبر قدر من الراحة !

وأحسست بقلبى يتوقف وأنا أسمع قصته .. وانفجرت دموعى وأنا

اتخيل عذابة .. ومعاناته الصامته وهو جالس بيننا ثم تمالكت نفسى لأسأله عما فعل بشأن العلاج بعد عودته .. فإذا به لم يفعل أى شيء وصرخت من الانفعال فحاول تهدئتى قائلا إنه أراد أن يمضى معى ومع طفليه أكبر وقت ممكن لكى « يشبع » منا قبل أن يبدأ رحلة العذاب التى قد تشغله عنا أو تضطره لدخول المستشفى وانه أراد أن يسرق من الدنيا بضعه أسابيع قبل أن يكفهر جوها علينا جميعا !

فلم أنم ليلتى وفى الصباح اعتذرت عن عدم الذهاب إلى العمل واصطحبته إلى الطبيب وبدأنا الرحلة التى اشفق علينا منها وبعد أيام ثقيلة من الفحوص والاشعات والتحاليل اختليت بالطبيب الكبير الذى يعالجه ورجوته أن يصارحنى بالحقيقة فقال لى أن حالته ليست ميئوسا منها وأن الأمل كبير فى شفائه .. لكن حالته النفسية فى غاية السوء ولن تساعده على العلاج ونصحنى بعرضه على طبيب نفسى مع استمراره فى العلاج الأساسى ..

وتقدمت بطلب للحصول على إجازة من عملى وتفرغت تماما لشريك عمرى وخضت معه معركة طويلة حتى اقتنع بالذهاب إلى الطبيب النفسى وبعد ثلاث جلسات فقط قال لى الطبيب ان مشكلة زوجى هى أنه يحس بمرارة شديدة لأنه مرض فى الوقت الذى كان يستعد فيه لجنى ثمار كفاحه بعد رحلة المعاناة الطويلة التى خاضها لكى يكون بيته الصغير وأسرته التى يحبها من أعماقه لهذا فهو يحس بعبثية الحياة وعبثية العلاج كأنه يسأل نفسه .. مامعنى الكفاح اذن إذا كنا لانستمتع بجنى ثماره بعد أن شقينا فى الحياة لكى نحقق لأنفسنا السعادة

وتحملنا فى سبيلها العذاب والمعاناة سنوات طوالا وأنهى الطبيب حديثه لى بأن جانبا كبيرا من علاجه النفسى يقع عليه هو ثم على أنا وأن مسئوليتى هى ان أعيد إليه الأمل فى الحياة لكى يتهيأ نفسيا لاحتمال المحنة واجتيازها والتزمت بكل ماطالبنى به الطبيب النفسى .. وانصرفت إلى رعاية زوجى والتخفيف عنه بكل ذرة فى عقلى وقلبى وجسمى .. حتى لامنى هو نفسه عن اهمالى لطفلى .

وعشت أياما عصيبة بين الأمل والخوف .. لكنى لم أشعره أبدا بأنى خائفة من المستقبل .. وأصبح لايرانى إلا باسمة حتى فى أحرج اللحظات وفى أوقات اشتداد الأزمات أما هو فقد أصبح لا يحتمل ابتعادى عنه لحظات ولا تفارق يده يدى حتى وهو مستغرق فى نومه القصير القلق وقد بدأ يستعيد بعض تفاؤله لكنه يبكى أحيانا حين يشتد به الألم فأذوب اشفاقا عليه وهو يعتذر لى عن ضعفه وايلامه لى ! فاهتف من قلبى يارب .. وفى أوقات الصفاء اذكره بأيام الحقيبة الزرقاء التى مازلت احتفظ بها وتنقلاتنا بين بيوت الأهل والأقارب والفنادق والشقق المفروشة .. فيبتسم .. ويسترجع طرائفها ثم يغتم ويسألنى وماذا فعلنا بكفاحنا .. ها نحن نعانى أشد مما كنا نعانى أيام بؤسنا .. فأهون عليه وأؤكد له ثقتى فى الله وفى أن أياما طويلة سعيدة سوف تأتى وسوف نعيشها معا وسوف نستمتع فيها بثمار كفاحه وسوف يكبر اطفالنا حولنا وسوف نرى فيهم بهجة الدنيا كلها ..

وبين حين وآخر .. يسأل نفسه : ترى هل أغضبت ربى فى شىء بغير أن ادرى .. فعاقبنى فأؤكد له ان حياته صفحة ناصعة البياض ..

وان علاقتنا جميعا بالله سبحانه وتعالى على خير مايرام فهو يؤدى فروض دينه .. ويخرج الزكاة منذ توافرت له أول مدخرات فى حياته ويرعى أبويه .. وساعد أخته الصغرى على الزواج حتى استقرت فى بيت زوجها ولم يعد لأبويه أية مسئوليات .. وفى أيام الراحة تهفو نفسه إلى زيارة السيدة نفيسة .. فأعد كمية كبيرة من ارغفة اللحم واستأجر سيارة واساعده على النزول ونذهب معا ونزور نفيسة العلم ونوزع أرغفة اللحم ويوزع الصدقات ويعود راضيا مرضيا .. ويهدأ إلى حين ثم تلح عليه الخواطر الحزينة مرة أخرى .

وهو يتحسن ولكن ببطء شديد .. وطبيبه يؤكد أنه سوف يتحسن اسرع كلما تحسنت حالته النفسية وهو يقرأ لك ياسيدى منذ كان فى غربته وكثيرا ماتناقشنا معا عن بعض قصص اصدقائك المعذبين وعما تفعله أحوال الدنيا بالبشر فهل توجه له كلمة تشد بها أزره وتطلب منه فيها أن يتماسك لكى يساعد أطباءه على علاجه ثم هل تدعو له ربك معى أن يبرئه من آلامة وينهضه من مرضه ليضىء لنا حياتنا من جديد ؟!

ولكاتبة هذه الرسالة وزوجها أقول : للكاتب الفرنسى اناتول فرانس كلمة شهيرة يقول فيها : « يمكن تلخيص تاريخ البشرية كله فى هذه الكلمات القليلة .. « يولد الناس .. ويتألمون .. ويرحلون ..» .

وهذا صحيح إلى حد كبير .. لكنه بين ميلاد البشر ورحيلهم قد يصنعون المعجزات .. وإحدى معجزات الإنسان هى قدرته على تحدى الألم وصعوبات الطريق ومقاومتها والانتصار عليها ومركز القيادة فى كل

عمليات المقاومة هذه هى روحه لأن روح الإنسان أقوى آلاف المرات من جسمه الضعيف وعظمته تتجلى فى قدرته على مغالبة الألم والتمسك بأهداب الأمل فى أن يقهره ويتخطاه كما تخطى غيره من صعوبات الحياة .

والألم ياصديقى سر من أسرار الحياة ونسيج اختلط بانسجتها منذ هبط آدم إلى الأرض ولم يرق العقل البشرى إلى فهمه أو الاطلاع على حكمته أبدا لكننا نعرف على الأقل ان كل مانلقى من آلام فى حياتنا كالمرض أو فقد الاعزاء وغيرهما من الآلام هو ابتلاء من الله جل شأنه علينا أن نتقبله لأن الايمان الحق يستوجب ان نؤمن بقضاء الله وقدره وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره ومعنى الحديث الشريف يضىء لنا الطريق هنا حين يقول : « ما من شوكة تصيب المؤمن إلا يكفر الله بها خطاياه أو يرفع بها درجاته » .

.. وبعض المتصوفة يقولون .. إن بعض الآلم صورة من صور الرحمة تتنكر فى ثوب الشدة ثم لا يلبث الثوب ان ينكشف وتتجلى رحمة الله بعبدة المؤمن بأوسع معانيها .

وأنت يا صديقى كما تروى عنك رفيقة دربك التى انحنى لها احتراما واكبارا صفحة بيضاء من غير سوء كافحت ببسالة لتصنع حياتك وتضىء عشك الصغير ورعيت حدود ربك والتزمت بأوامره ونواهيه وبررت بأبويك واديت حقوق الله فى مالك فادعو الله أن يرفع بألمك ومرضك درجاتك عنده وبأن يأذن لجسمك بأن يبرأ منه بغير رجعة ان شاء الله .

ويقيني ورجائي ودعائي لك ان شاء الله هو ان ينكشف ثوب الشدة عن رحمة ربك بك لتتجلى عليك آياته ويغسل فى بحار رحمته الآلهية التى لاشطان لها جسمك وروحك من كل ايلامها .. وان يهبك من حلو قدره مايمسح به عنك كل ما أصابك من مره فتعود أيها الفارس القديم إلى منازلة صعوبات الحياة والانتصار عليها كما فعلت دائما طوال السنوات الماضية وكما سوف تفعل فى سنواتك القادمة باذن الله .. وعندها سوف تصبح محنة المرض والألم علامة أخرى من علامات الطريق الشاق .. وذكرى من ذكريات الكفاح القديم كالحقيبة الزرقاء والشقق المفروشة والعمل ليلا حتى الصباح .. وثق من ان ذلك سوف يحدث بأمر ربك فالحياة فى حاجة إلى أمثالك من مصابيح الخير والحب والوفاء والعطاء التى تضيء حياة الآخرين وتجعل للحياة قيمة ومعنى .. فانهض يا صديقى البطل وامتط حصانك .. فأمامك الكثير والكثير لكى تحققه لنفسك ولزوجتك ولطفليك ولكل من أحبوك واحببتهم وللحياة فأجمل أيام حياتك لم تأت بعد وسوف تأتى بأسرع مما تظن وسوف تجد الوقت المناسب لكى تجنى ثمار كفاحك الشريف وتستمتع بما أوتيت .. وتلمس ظلال رحمة ربك الوارفة على حياتك وحياة أسرتك الصغيرة قريبا وقريبا جدا ان شاء الله .

الغـــــــــزو

أنا سيدة فى الخامسة والأربعين من عمرى اشغل وظيفة مرموقة .. وتزوجت منذ ٢٢ سنة من زوج عظيم فى كل شىء بالرغم من ان زواجنا قد تم بطريقة تقليدية فلم تسبقه فترة تعارف كافية .. لكن تطلعنا نحن الاثنين إلى السعادة والحياة الهادئة الجميلة قد قرب بيننا فتآلف قلبانا بعد قليل وتحاببنا وتشاركنا فى كل أمور الحياة وتعاهدنا منذ اليوم الأول على أن يكون كل منا كتابا مفتوحا بالنسبة للآخر فلا يخفى عنه شيئا ولا يحتفظ لنفسه بسر.. واعتدنا دائما أن نتبادل الرأى واخبار الحياة اليومية ونستمتع بالحديث معا فى كل شىء وكان من بين ماعرفته بعد زواجى بقليل ان زوجى كان قبل زواجى منه يحب فتاة أخرى ويرغب فى الزواج منها لكن ظروف الحياة حالت بينه وبينها فتزوجت هى من آخر ثم تزوجنى هو بعد زواجها بسنوات .. ولم يؤثر علمى بذلك على علاقتى به فلقد وجدته دائما زوجا رائعا وقد كافحنا معا وبدأنا حياتنا من الصفر فبنينا عشنا بالكفاح والعرق حتى استقرت حياتنا وأصبح لنا الآن والحمد لله رصيد مادى لا بأس به وكبر أبناؤنا الثلاثة ، وبلغوا مرحلة الجامعة ومضت حياتنا دائما هادئة وسعيدة ..

ومنذ ثلاثة أعوام عاد زوجى إلى البيت ذات يوم فروى لى منفعلا بحسن نية كعادتنا فى تناول الأخبار . إنه التقى مصادفة بتلك الفتاة التى كان يرغب فى الزواج منها فى سنوات الشباب ، وأنه عرف منها أنها مازالت متزوجة بنفس الشخص وأنهما تبادلا الأخبار فحدثته عن حياتها وزوجها وابنائها وحدثها عن زوجته وأبنائه وعمله .. ثم انصرف كل منهما إلى حال سبيله ، وتحدثت مع زوجى عما تصنعه الحياة بالبشر قليلا ثم انصرفنا إلى غيره من الموضوعات ولم نعد إلى ذكره مرة أخرى . لكنى بعد عدة أسابيع بدأت ألاحظ على زوجى تغييرا جديدا فلقد أصبح كثير الشرود والسرحان ، كما أصبح فجأة عصبيا .. وفى أول مشادة عادية من مشادات الحياة فوجئت به يردد عبارات لم اسمعها منه من قبل من نوع « لقد ضقت بحياتى معك .. سأترك البيت ولن أعود إليه » ... إلخ ، فذهلت .. وبكيت طويلا .. وساورنى الشك فيما يمكن ان يكون سببا لهذا التغيير المفاجىء .. وأردت أن اقهر وساوسى .. ففعلت مالم يفعله مرة واحدة من قبل منذ تزوجته .. وبحثت فى أوراقه سرا عسى ان أجد شيئا يفسر لى سر تغييره .. فإذا بى اعثر على كومة رسائل من تلك السيدة القاها زوجى بلا اعتناء اطمئنانا إلى أنى احترم خصوصياته ولا أقلب فى أوراقه بغير علمه .. وإذا بى اكتشف بين هذه الرسائل ان ظهور هذه الفتاة أو السيدة لم يكن مجرد سحابة عابرة اثارت الذكرى القديمة .. وإنما هى للأسف سحابة مقيمة ومستمرة وتهدد بأمطار وخيمة على حياتى وسعادتى وعشى الذى بنيته بالكفاح والعرق ، ولم

اتمالك نفسى حين عرفت هذه الحقيقة .. فقد أحسست بالقهر وعرفت أننى أحبه أكثر مما كنت اتصور وكنت أعتقد أنه أيضا يحبنى لكل ما بيننا من روابط وحياة مشتركة وكفاح ، فإذا بهذه الرسائل تصدمنى بأنى لم أكن شيئا فى حياة زوجى وأن تلك السيدة التى ارادها زوجة له منذ أكثر من ٢٥ سنة هى حبه الأول والأخير. ومن شدة احساسى بالضيق والقهر واجهت زوجى بما عرفت فأحس بالخجل ولم يستطع الانكار ، ووعدنى بقطع هذه الصلة ابقاء لما بيننا ، لكنى لم اكتف بذلك فقد أرسلت لهذه السيدة رسالة أهددها فيها بما تحت يدى من رسائل ان لم ترتدع وتبتعد عن حياتى وبيتى فخشيت فعلا عواقب الأمور وهدأ الحال قليلا . ومضت أسابيع وأنا بين الشك واليقين ثم بدأت استرد طمأنينتى .. وبدأ قلبى يصفو لزوجى شيئا فشيئا حتى صفحت عنه وعدت لحبه كما كنت طوال سنوات زواجنا وعادت حياتنا لسيرتها الأولى .. نتبادل الأحاديث بصفاء ونتشارك فى الاهتمامات إلى ان وقع فى يدى منذ أيام خطاب جديد من نفس السيدة عرفت منه ان الصلة مازالت قائمة وان ما أراه فى حياتى من هدوء وسعادة لم يكن إلا سرابا .. فانطويت على شكوكى وأحزانى من جديد ولم اصارح زوجى هذه المرة بما عرفت لكنى لم أعد أطيق سماع صوته ولا رؤيته يجلس أو يتحرك أمامى فى هدوء وبراءة وكأن شيئا لم يكن .. وكأنه لم يطعنى فى قلبى مرتين ولم يضع زهرة العمر التى افنيتها فى حبه ورعايته ورعاية بيته وابنائه ، فماذا أفعل ياسيدى هل أطلب الطلاق واهجر بيتى بعد كل هذا العمر

وادعه لنزواته أم هل أهدم بيت من ارادت هدم بيتى الذى بنيته بدمى وشبابى طوبة طوبة وقطعة قطعة .. أم هل أشرك ابنائى معى فى همى وقد أصبحوا شبابا يعقلون ويفهمون أم أدعهم فى جهلهم بما يفعل أبوهم لأن الجهل بهذه الأمور أرحم من العلم بها .. وهل لو رجع عما يفعل الآن استطيع أن استعيد ثقتى به كما كنت فى سالف الأيام ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : ولماذا تسلمين بالهزيمة وتنسحبين من المعركة من الجولة الثانية تاركة زوجك وبيتك لمن لم تبذل الدمع والعرق فى اقامته وفى اعلاء بنائه بسنوات العمر وزهرة الشباب ؟.. لقد اقمت عشك ومملكتك بالحب والوفاء والتضحية وكل مملكة معرضة للغزو الخارجى فى أى مرحلة من الزمن .. وخاصة فى سنوات العمر الحرجة التى يمر بها زوجك الآن ومن واجب كل « ملكة » تجاه نفسها وابنائها أولا ـ حتى ولو كان القلب ينزف دما من أثر خنجر الغدر ـ وان ترد الغزاة الطامعين عن مملكتها وان تدافع عنها ضدهم بكل سلاح وان تدحرهم مرة واثنتين وثلاثا .. وأنت قد كسبت أول جولة لكن الضعف البشرى سمح بقدوم موجة أخرى من العدوان عليك .. فواصلى الكفاح وردى هذه الموجة الخائبة كما رددت الأخرى على اعقابها واكسبى زوجك إلى صفك فى هذه المعركة .. ولا بأس بأن تغفرى له ضعفه مرة أخرى وان تعينيه على اجتياز هذه المرحلة الحرجة بالالتصاق به .. ودرء هذا الخطر عنه .. ومحاولة تعويضه عما يتصور أنه ينقصه وانه يجده لدى الأخرى .. فهو لايحبها كما تتصورين وإنما يحب زهرة عمره وأحلام

شبابه التى تمثلها له هذه السيدة فلقد استطاع ان يحيا ويسعد معك عشرين سنة بغير ان يساوره الحنين إليها ثم ظهرت فجأة فى حياته .. فكان ما كان وما يجب أن تتصدى له بالحزم والحكمة . فكررى استراتيجيتك السابقة وواجهى زوجك مرة أخرى مع أشعاره بأنك على استعداد لمساعدته على تخطى هذه الأزمة العابرة التى لا تليق به بوضعه ولا بابنائه .. واعيدى تهديد تلك السيدة لكى ترتدع لكن لاتفكرى فى هدم بيتها رحمة بمن لاذنب لهم فى نزواتها وايضا حتى لاتتعقد الأمور ويجد زوجك نفسه مطالبا بتعويضها عما أصابها من خراب وابعدى ابناءك تماما عن هذا الأمر ليس رحمة بهم ولا حفاظا على مثال الأب فى أعينهم فقط وإنما أيضا حفاظا على زوجك نفسه . لأن هتك الأستار يرفع عنه الضغط المعنوى الذى يمثله وجود الأبناء بالنسبة له .. فإذا هتكت الحجاب منذ البداية لم يعد لديه الكثير مما يخشاه من هذا الجانب ، فتمالكى نفسك يا سيدتى وثقى أن ما بينك وبين زوجك لم ينفصم بمثل هذه السهولة .. وان الأمر ليس سوى سحابة .. وان كانت سحابة كالحة بطيئة الحركة لكنها مهما خيمت فوق الرءوس فهى سحابة تذهب إلى حال سبيلها .. وسوف تستردين سلامك وطمأنينة قلبك .. وسوف يتسع قلبك المحب لنسيانها والصفح عنها لأنك الأصل .. ولأنك الحقيقة .. ولست وهم الشباب ولا أحلام العودة الخيالية إليه .

الاصبع الخالية

قرأت رسالة « الجائزة » التى روت فيها سيدة قصتها مع الفشل مرتين فى الزواج وكيف غيرت من نفسها وانقصت وزنها ثلاثين كيلو جراما واقلعت عن عاداتها السابقة فنالت احترام مجتمعها ثم جاءت إليها « جائزتها » وتزوجت زواجا موفقا وأصبحت موضع فخر أبويها بعد ان كانت موضع انتقادهما .. وقد تأثرت كثيرا بهذه الرسالة فدفعتنى لأن أروى لك قصتى ، فلقد نشأت فى أسرة صغيرة ولى شقيق واحد .. ولاحظت فى طفولتى أن أبوى يدللاننا لأنهما تزوجا على كبر ، كما لاحظت أنهما يركزان فى تربيتنا على أن ننشأ متفوقين دراسيا وان نتعلم المثل والقيم الأخلاقية ، وفعلا كنت دائما من المتفوقين ونلت الكثير من حنان أبى وأمى .. وسمعت مرارا من أمى ان أهم شىء فى الحياة هو التفوق فى الدراسة فركزت كل اهتمامى بها ولم أعط أى اهتمام لمظهرى فكنت دائما ارتدى « البنطلون » واجمع شعرى الطويل إلى الخلف .. وكان التفوق حليفى دائما وكنت مثار غيرة زميلاتى وصديقاتى ويجنبننى فلم تعد لى صديقات .. وظللت كذلك حتى التحقت بكلية الطب .. فاكتشفت فيها ان التفوق ليس نقيضا للاهتمام بالمظهر ولاحتفاظ الفتاة

بشخصيتها كأنثى فقد وجدت فى الكلية من هن أكثر تفوقا ومع ذلك يحس الإنسان حين يراهن أنه أمام فتيات .. فبدأت لأول مرة أحاول الاهتمام بمظهرى وبدأت اسمع لأول مرة فى حياتى كلمات الثناء من الجنس الآخر على جمالى وقد نسيت أن أقول لك اننى جميلة .. لكن أبى وأمى لم يكن يعيران هذا الجانب أى اهتمام .

وفى إحدى حفلات الزفاف تقدم لى شاب يخطبنى فسمعت أمى ترفض المبدأ .. وتقول إننى لن اتزوج قبل أن أنهى دراستى ، وتعيد تأكيد رأيها فى ان التفوق فى الدراسة هو أهم شىء بالنسبة للفتاة ولم اهتم بذلك وان كنت قد لاحظت عكس ذلك فى بيوت صديقاتى . فلقد كنت أرى أن هم كل أم فيها هو ان تزوج ابنتها وتوجه جهدها وعلاقاتها الاجتماعية لهذا الهدف ومضت سنوات الدراسة عادية حتى توفى أبى فجأة وأنا أؤدى امتحانات السنة الثالثة .. فصدمت صدمة قوية وأكملت امتحاناتى وأنا ارتدى السواد وساعدتنى أمى كثيرا على تخطى هذه المحنة .. ثم اشتد المرض على أمى وأحسست بدنو أجلها فبدأت تصرح لى بأنها تتمنى ان ترانى فى بيت الزوجية قبل أن تموت .. وكنت اسمع منها هذا الحديث لأول مرة فى حياتى فسعدت به سعادة بالغة .. وحين تقدم لى عريس بعد ذلك بأسابيع رحبت به أمى وقرأنا الفاتحة .. لكنى اكتشفت قبل موعد الخطبة بيوم واحد أنه قد سبق له الزواج وله طفلة .. ولم تهتم أمى بهذه الحقيقة كثيرا .. وأدركت أزمتها كأم مريضة تريد أن تطمئن على ابنتها بأى شكل لكنى اصررت على رفضه وايدنى شقيق فى ذلك .. وبعد ذلك بثلاثة شهور تقدم لى شاب

آخر ووافقت عليه .. ثم ساءت حالة أمي الصحية ورحلت عن الدنيا ووجدت نفسي وحيدة مع شقيق .. وكثرت تدخلات الأهل فى حياتنا ووجدت كثيرين يقولون لى ان خطيبي ليس مناسبا لى .. وتأثرت بأحاديثهم وفسخنا الخطبة ومر عام دراسى آخر وتخرج أخى الذى يكبرنى بسنة واحدة ويسبقنى فى نفس الكلية بعام دراسى وبدأ يستعد للزواج وفى هذه الأثناء تقدم لى شاب ثالث كان زميلا لى بالكلية ووافقت عليه بينى وبين نفسى « مؤقتا » حتى لا أحضر حفل زفاف أخى واصبعى خالية من الدبلة .. لأنى لا أريد أن أرى نظرة اشفاق فى عين أحد .. وحضرت زفاف أخى ومعى خطيبي .. وأذعت فى هذا الحفل ان زفافى قريب جدا .. لكنى بعد أسبوع واحد من هذا الحفل كنت قد فسخت هذه الخطبة وعشت حياتى وحيدة فى شقة الأسرة التى شهدت طفولتى السعيدة .. ولحظات وداع الأبوين المريرة وانجب أخى طفلا وأنا مازلت فى وحدتى مصرة على عدم الاقدام على أى تجربة ارتباط أو زواج لأن الفشل يجيء من جانبى دائما .. لكن الضغط على ازداد ان اتزوج وتقدم لى عريس بدا أنه مناسب لى فوافقت عليه واشترط الجميع على بأن اعقد القران بدلا من الاكتفاء بالخطبة حتى اتريث طويلا قبل ان أفكر فى فض الارتباط وتم عقد القران لكنى سرعان ما اكتشفت أنه سطحى جدا وسلبى جدا وشخصيته ضعيفة جدا ولايعتمد عليه فانفصلت عنه بعد ٤ شهور من القران وقبل الزفاف وهاأنذا الآن أعيش وحيدة بعد حياة مليئة بالفشل والاحباط على المستوى الشخصى أعمل فى الفترة الصباحية والفترة المسائية وحتى فى

يوم الجمعة ومازال يتقدم لى البعض لأنى والحمد لله طيبة وناجحة .. ولازال عمرى ٢٦ عاما وجميلة وشيقة الحديث ويعتمد على لكننى أشعر بالطمع من جانب من يتقدم لى لأنه لابد قد سأل عنى وعرف أنى ميسورة الحال وعندى شقة وسيارة .. فاصدمه بالرفض .. ولاتسلنى بعد ذلك أين أقاربى فالحياة قد شغلت الجميع .. لكنى أرجوك أن توجه نداء إلى كل أب وأم أن يكون اهتمامها الأول فى الحياة هو ان يزوجا بناتهما وان يغرسا فيهن حب الزواج وحب الزوج وحب الأولاد لأن مآل كل فتاة مهما تفوقت هو الزواج وأنا شخصيا كنت اتمنى لو لم أكن طبيبة ناجحة وان أكون زوجة راضية بما قسمه الله لى .. لكن مشكلتى هى اننى ربيت على غير هذا الأساس فلم اعرف كيف اتعامل مع الحياة .. وكلما فكرت فى مشروع ارتباط أحسست بشىء ثقيل يجثم على صدرى وأشعر بالرغبة فى الهروب منه .. ولقد عرفت الآن أن الزواج هو أهم شىء فى الحياة لكنى حين ادركت ذلك كان قد فات الأوان .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لم يسئ إليك أبواك بغرس حب التفوق الدراسى فيك بل احسنا إليك به لكن آثار هذا التفوق على شخصيتك أنت هى المشكلة ذلك ان آفة بعض المتفوقين دراسيا هى الغرور واعتقادهم الباطنى بأنهم يستحقون دائما جوائز الحياة كما استحقوا من قبل المقدمة فى سباق الدراسة والمشكلة هى أن اختبار الحياة اشد صعوبة من اختبارات الدراسة ووسائل النجاح فيه مختلفة تماما .. وفى مقدمتها ألا تكون مطالب الإنسان من الحياة مغاليا فيها وألا

يكون احساسه بالتميز على الآخرين عاليا وان يكون على استعداد لأن يعترف للآخرين بمزاياهم فلا ينظر إليهم من عل ولايرى الجميع سطحيين وتافهين ولايعتمد عليهم .. وايضا ان يكون على استعداد لأن يرى الجوانب الخيرة فى الآخرين فلا يتصور دائما أنهم طامعون فيه أو راغبون فى افتراسه .. لأن هذا الاحساس نفسه انعكاس للمغالاة فى تقدير الذات .. فتخلصي من مغالاتك فى تقديرك لنفسك والايمان بمزاياها .. تتفتح أمامك أبواب التواصل مع الدنيا ويطرق باب قلبك من يستحقك ومن تستحقينه ولن يتحقق ذلك إلا إذا تخلصت أيضا ـ وعفوا لهذا التعبير ـ من أنانيتك التى سوغت لك من قبل ان تقبلى خطبة إنسان لمجرد ألا تظهر أصبعك خالية من دبلة الخطبة فى حفل زفاف شقيقك ، فظلمت بذلك إنسانا لم يرد بك إلا خيرا ولحسابات خاصة بك أنت لادخل له فيها .. وما هكذا يتصرف من يستهدون فى حياتهم بروح العدل . وما هكذا يلوم الإنسان أبويه على خير اراداه له .. فحوله هو بتصرفه وجرأته على اتخاذ القرار المتسرع إلى شر يدفع ثمنه ومع كل ذلك فلم يفت الأوان بعد لتصحيح الأخطاء ولتكن بدايتك للتواءم مع الحياة هو ان تعرفى ان سباق الدراسة قد انتهى .. وانك الآن فى مواجهة اختبار جديد يتطلب من المرء أن يكون أكثر تواضعا واكثر انصافا للآخرين .. واكثر فهما لهم . فان تسلحت للاختبار بهذا الفهم الجديد اجتزته بنجاح وجاءت إليك جوائز الحياة تسعى أما تداؤك الأخير فله أهميته وهو يذكرنا دائما بفضيلة الاعتدال فى تحديد الأولويات والأهداف التى ينبغى أن يسعى إليها الإنسان

فالتفوق فى الدراسة غاية مشروعة وقيمة كبرى بغير شك لكنه لا يجوز له أن يلغى إعداد الفتاة نفسيا واجتماعيا للزواج الذى تستقيم به طبيعة الحياة .

البـــــــديـــــــل

أنا ياسيدى شاب من أسرة مكافحة .. كافح أبى لكى يحقق لنا مستوى أفضل من الحياة وكنت أصغر اخوتى فالتحقت بإحدى الكليات المرموقة اسما واقمت فى القاهرة وواصلت تفوقى الدراسى إلى أن وصلت إلى السنة الثالثة الجامعية ثم فوجئت ذات يوم بشقيقى الذى يكبرنى مباشرة يأتى إلى فى مسكنى ذات صباح مستقلا سيارة أجرة من بلدتنا .. ويطلب منى العودة معه فى نفس السيارة لأن أبى متعب بعض الشيء ويريد أن يرانى فانقبض صدرى على الفور واستشعرت من حضوره بسيارة أجرة تنتظره حتى يعود خطورة الأمر .. وظللت طوال الطريق ارتجف وتتلاحق انفاسى إلى أن وصلنا بعد أطول رحلة فى حياتى إلى البلدة .. ففوجئت بأخى يخبرنى فجأة ونحن نقترب من البيت بأن شقيقنا الأكبر قد رحل عن حياتنا فى حادث أليم .. ! فاهتز كيانى كله .. وانفجرت دموعى .. وقفزت صورة شقيقى الأكبر إلى مخيلتى فلم أعد أرى غيرها .. واعتصرنى الحزن على شقيقى الذى كان لى أبا وأخا .. والذى عاش صباه مغتربا سائحا فى بلاد الله لكى يرفع من مستوانا .. ليرانا أفضل شأنا ، شقيقى الذى لم يفكر فى نفسه أبدا فلم

يتزوج إلا قبل شهور والذى عرفت منذ أسابيع فقط ان فى احشاء زوجته جنينا منه لم ير النور بعد يا آلهى .. شقيقى الذى احتضن الأسرة كلها وخصنى بحبه ورعايته وطار بى فرحا حين أحرزت المركز الأول فى بلدتى فى الثانوية العامة .. وظل فخورا بتفوقى عدة شهور كأنه هو الذى تفوق وأحرز النجاح وواجهت الواقع المؤلم وانتهت الأيام الكئيبة وعدت بعدها إلى القاهرة لأواصل دراستى وأنا موزع القلب مهموما وبعد ٤ شهور من رحيل شقيقى وضعت أرملة شقيقى وليدها فجدد مولده أحزاننا عليه .. كأنما قد مات مرة أخرى يوم مولد هذا الوليد الذى حكمت عليه الأقدار باليتم .. وعانيت أنا الأرق والاكتئاب والخوف من الوحدة والمجهول أكثر من عام لم تغمض خلاله عيناى قبل أن يشرق النهار .. وبدأت أزور هذا الوليد فى بيت أمه فأحس تجاهه بمزيج من الحب والعطف والاشفاق وفى كل مرة أراه فيها أحس بأن الله قد ربط بين قلبى وبينه برباط لا ينفصم وبعد شهور بدأ زوج شقيقتى يتحدث عن أن ينشأ الوليد المحروم بيننا وان نراعاه وفاء لذكرى أبيه .. وانتقل الحديث بعد ذلك إلى أن الموقف يتطلب التنازل عن أية اعتبارات شخصية وان يتزوج أحدنا أنا أو شقيقى من أرملة أخى لرعاية وليده .. ولم أرفض الفكرة ولم اتهلل لها واعلنت موافقتى من ناحية المبدأ وفاء لشقيقى الراحل .. وشاءت ارادة الله ان توافق أرملته الشابة على الارتباط بى لنفس الدوافع .. فعقدت قرانى عليها فى سرية تامة قبل شهور من اداء امتحانى الأخير فى الكلية وعدت إلى القاهرة زوجا على الورق لأرملة شقيقى .. وأبا بالرعاية لابنه ، وواصلت دراستى

ووفقني الله للنجاح والحصول على شهادتى وعدت إلى بلدتى .. وأصبح ضروريا ان يتحول الزواج على الورق إلى زواج فى الواقع .. فتم زفافنا الصامت فى سرية أشد فى شقة أخى الراحل وفى نفس البيت الذى يضمنا جميعا ولا استطيع ان أصف لك معاناتى النفسية وحرجى بل وخجلى وأنا أجد نفسى زوجا لأرملة شقيقى فى شقته .. وفوق أثاثه وتحت انظار أمى المكلومة وأهلى المحزونين . لكن ماذا أفعل وقد قدر الله لى ذلك ورضيت بما اختاره لى . وصاحبت ظروف زواجى الحرجة ظروفى كخريج شاب لا يملك شيئا ويؤدى الخدمة العسكرية فلم يكن يخفف من وطأتها على سوى رعايتى للطفل الوليد وابتسامته ودعابته وأولى كلماته التى نطق بها فكانت كلمة « بابا » وهو يشير إلى فأسالت دمع الفرح والحزن فى وقت واحد فى عينى أما زوجتى فقد ربطنى بها منذ البداية الاحساس بالاحترام والتقدير لظروفها وقد شملتنى منذ اليوم الأول لزواجنا بحنانها ورعايتها كأنما كانت تعرف أن كلا منا يحتاج إلى ان يهون على الآخر ظروفه ومعاناته بعد ان ربطت بيننا الأقدار فبادلتها حنانا بحنان وعطفا بعطف وشيئا فشيئا أحسست .. بشرارة الحب تولد فى قلبى ثم تتعمق وتتأصل داخلى فعرفت ان الله وحده هو الذى يؤلف القلوب ويهدى النفوس .. وأننى لو تركت لنفسى لما اخترت أفضل ممن اختارتها لى الظروف ولما وجدت فى رحابها ما أجده من حب وتآلف وتعاطف معها .. ولما وجدت فيها كل ماكنت اتمناه فى شريكة عمرى وحياتى . ومرض أبى عقب رحيل أخى بعدة شهور فلازم الفراش عامين ثم رحل عن دنيانا حزينا وانجبت أنا طفلة أصبحت اختا

« لابنى » الأول .. وعملت وبدأت أحوالى تستقر لكن معاناتى النفسية مع مشكلة أخرى بدأت تتضخم وتؤرق حياتى وتهدد سلامى وسعادتى فلقد أصبحت أنا فجأة هدفا لقسوة أمى وجفاء معاملتها ونظراتها الساخطة وكلماتها القارصة بلا سبب واضح لمجرد أننى سعيد فى زواجى حتى بدأت أشعر أننى ارتكب جرما لا أعرفه .. وبدأت أشعر بالتقزز من نفسى وحاولت أن اخفف من مشاعرها تجاهى ففشلت وازدادت علاقتها بى سوءا شهرا بعد شهر .. وحاولت استرضاءها كثيرا فعجزت وكان يسؤها ويؤلمها ان ينادينى الطفل اليتيم بكلمة بابا وكان قد بلغ الثالثة من عمره فتعمدت ذات يوم ان تتحدث أمامه عن الماضى وان تخرج صور شقيقى الراحل وتريها له ولم أكن فى البيت عندما حدث ذلك ، ففوجئت به عند عودتى يسألنى فى براءة : هل صحيح أنك لست « بابا » يا بابا ! فأحسست بغصة فى قلبى .. ولم أحر جوابا ، ثم علمت بما حدث ، وعاتبت أمى واستعطفت قلبها أن ترحم الطفل من تجرع الألم فى هذه السن الصغيرة خاصة أننى لم ادع أننى أبوه ولن أفعل ، فلم يجد العتاب معها وساءت علاقتها بى أكثر حتى تدهورت إلى مستوى محزن ففوجئت بها ذات يوم تضع يدها على كتاب الله وتقسم بأنها لاتطيق أن ترانى أمام عينيها !

فماذا فعلت ياسيدى لكى استحق كل هذه القسوة ؟ أنها ترفض دائما دخول شقتى والجلوس معنا وتعامل زوجتى بشىء من القسوة وأنا بمنتهى القسوة . فماذا فعلت لكى أنال كل غضبها إلى هذا الحد .. وماذا أفعل لكيلا تموت وهى غاضبة وساخطة على ان زوجتى توصينى

دائما بها وتذكرنى دائما بظروفها وبصدمتها فى شقيقى وبوحدتها بعد أبى وتطلب منى استرضاءها .. وأنا لا أقصر فى ذلك لكنها لاتصفح .. فما هى جريتمى عندها ياسيدى وكيف أكفر عنها !

ولكاتب هذه الرسالة أقول : جريمتك عندها فيما اتصور هى أنك لم تحترس فى اعلان سعادتك بالحياة مع ارملة شقيقك على مرأى منها وهى الأم المكلومة فى ابنها التى تتنازعها المشاعر المتضاربة . فلقد استراحت بكل تأكيد إلى قبولك الزواج منها رعاية للصغير وصونا لحرمات الابن الراحل .. ولو لم تفعل أو لم يفعل شقيقك الآخر لكان شقاؤها بهذا الطفل اليتيم عظيما ولكانت جريمتكما عندها أكبر ! لكنها من ناحية أخرى لم تستطع أن تتقبل بعد حقائق الحياة التى قضت بأن تحل محل ابنها الراحل فتنازعتها نوازع النفس البشرية التى لم يكشف أحد بعد كل أسرارها .. وأصبحت تضيق بسعادتك الزوجية وتعتبرها « خيانة » لذكرى الشقيق الراحل « ولهوا » عن الحزن عليه .. ولو كنت قد شقيت بهذا الزواج لكان شقاؤها بتعاستك هما أكبر يضاف إلى همومها أنه أمر فى غاية التعقيد .. وأنت فى الحقيقة لم ترتكب جرما ولا اثما فالزواج من ارملة الشقيق الراحل لرعاية ابنائه أمر مندوب إليه فى الإسلام لكن الأمر يتطلب منك بعض « الحصافة » لكى تحمى سعادتك الخاصة وتتجنب ايلام الأم الحزينة فى نفس الوقت .. وتستطيع ان تحقق ذلك إذا ادركت الفارق الجوهرى بين حزن الأم الأبدى على اعزائها الراحلين وبين الحزن العاقل للآخرين الذين يعرفون أن الحياة شلال صاخب لايتوقف عن الهدير وانه لامفر من ان نحيا

حياتنا مهما شهدت من آلام مادمنا لانعرف طريقا مشروعا للخروج منها . وادراكك لهذا الفارق سوف ييسر عليك ان تعرف أن حزنها على ابنها حداد دائم يتطلب منك ان تتحفظ قليلا فى اظهار سعادتك الزوجية مع أرملته أمامها كما يتطلب منك بعض الحكمة فى تذكيرها من حين إلى آخر بأنك قد اقدمت على هذا الزواج أصلا مدفوعا برغبتك النبيلة فى رعاية ابن شقيقك وأرملته .. وأنك تنتظر ان يبلغ الابن سنا مناسبة تسمح له بتقبل الأمر لكى تضع أمامه كل الحقيقة . ولا بأس بأن « تفتعل » بعض الهموم الزوجية وان تسر بها إليها من حين إلى آخر وتطلب منها العون والنصيحة ولابأس بذلك فى رأيى مادامت زوجتك تعرف به وتثق فى حبك واخلاصك لها والحياة شديدة الوعورة وتحتاج أحيانا إلى مثل هذا التصرف الأبيض مادام الهدف شريفا وهو استرضاء الأم وشفاء نفسها مما يؤلمها .. فلا تيأس من محاولاتك معها ولاتقصر فى حقها فلها العتبى حتى ترضى وعليك الصبر والاحتمال إلى ان تخفف النفس من بعض احزانها .. والزمن كفيل بمداواة الجراح فى النهاية .

اللحظة القاسية

منذ ١٠ سنوات تزوجت من إنسانة ملتزمة ومهذبة تعرف حقوق الحياة الزوجية واحترام الزوج وتتقبل النصيحة بصدر رحب فعشت معها حياة هانئة وفى مستوى مادى واجتماعى معقول لأنى طبيب ولى مشروع يدر دخلا ، وقد رزقنا الله بثلاثة أطفال اضاءوا حياتنا . و أذكر خلال سنوات زواجنا أنه قد حدث بيننا خلاف دام أكثر من يوم .. فقد كانت خلافاتنا المعدودة بسيطة وتتلاشى دائما بمجرد ان نتناقش حولها ونحتكم فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله .

وساعدنا على ذلك أننا قد اتفقنا منذ البداية على ألا نفشى أسرارنا العائلية لأحد مهما كان قربه منا .. والا نشرك الأهل فى مشاكلنا مهما حدث ، وعلى أن يحترم كل منا أهل الآخر فكانت تحترم فعلا أمى وأبى واخوتى وكنت أحترم بدورى أباها وأمها واختها الوحيدة ومع ذلك فقد كنت ألاحظ أن أمها تبدر منها تصرفات توحى بأن فى صدرها شيئا تجاهى .. وكنت اتغاضى عن ذلك ولا ألفت نظر زوجتى إليه حتى لايظن أحد أننى أريد الوقيعة بينهما .. وكنت أقول لنفسى مادمت وزوجتى نعيش فى سعادة فلا داعى لاثارة أية مشاكل فرعية ..

وشجعنى على ذلك ان صهرى رجل فاضل لايصدر عنه إلا كل ماهو خير ، وكنت أحس فى قرارة نفسى أنه غير راض عن تصرفات زوجته معى فى كثير من الأحيان .

ثم توفى صهرى ـ رحمة الله ـ وطلبت حماتى من ابنتها ان تقيم معها فترة من الوقت لأن ابنتها الأخرى تعيش فى الخارج وعرضت على زوجتى الأمر فعرضت عليها بدورى أن تقيم أمها معنا فالمسكن واسع وهى فى منزلة أمى ورفضت الأم ان تقيم معنا فاصطحبت زوجتى أولادى وأقامت معها .. واقمت أنا مع أمى وأبى إلى أن تنتهى هذه الفترة المؤقتة وتعود زوجتى إلى البيت .

وبدأت اتردد على زوجتى وأولادى من حين إلى آخر وبعد فترة قصيرة عرضت زوجتى على أن أقيم معهم فى بيت أسرتها فرفضت لحساسيتى ولرغبتى فى عدم تقييد حرية الأم بوجودى معها .. فبدأت بعد قليل ألاحظ فتور حماتى عند استقبالها لى .. ثم بدأت لا تجالسنى حين أزورها وبدأت تتصرف بعض التصرفات الصغيرة التى تشير إلى عدم ارتياحها لزيارتى لهم فلم ألفت نظر زوجتى لشىء من ذلك مقدرا ان أعصاب أمها مازالت مرهقة من أثر الصدمة .. لكن التصرفات الصغيرة تزايدت وتجاوزت الحد إلى الاساءة المباشرة لى والتجريح فبدأت أباعد بين زياراتى وأنا اعزى نفسى بأنها فترة مؤقتة مهما طالت فإذا بزوجتى نفسها وقد بدأت تتغير تجاهى !

وكان قد مضى على اقامتها مع أمها شهر ونصف الشهر وهى فترة كافية لمواساة أمها فطلبت منها ان تعود إلى البيت فراحت تماطلنى فى

العودة وتستمهلني فترة بعد فترة .

وذات يوم ذهبت إلى بيت أمها لأرى أولادى وزوجتى واطالبها بالعودة ففوجئت بأمها تعلنني بأنها لن تعود إلى بيتى إلا إذا كتبت لها جزءا من مالى فتعجبت للطلب المفاجئ وسألتها بدورى هل بلغها عن سلوكى ما يسيء إلى .. هل أسأت إلى زوجتى يوما .. فكانت الإجابة بالنفى ، فانفردت بزوجتى وسألتها عن رأيها فيما قالت أمها فإذا بها من رأى أمها فنصحتها بألا تفتح للشيطان بابا بيننا فلم تستجب وغادرت الغرفة مصممة .. ثم عادت مصطحبة معها أمها وبدأتا تتبادلان الألفاظ السيئة عنى وأنا جالس مذهول بينهما لا أعرف ماذا يجرى .. ولا أتصور ان تخرج مثل هذه الألفاظ من زوجتى المهذبة الرقيقة التى لم تغضبنى يوما واحدا ولم اجرحها ولم تجرحنى بكلمة منذ تزوجنا .. وظللت مبهوتا وقد عقدت الدهشة لسانى فترة طويلة من الوقت وهما لاتكفان عن تبادل الألفاظ السخيفة حتى وجدت نفسى فجأة انطق بكلمة الطلاق .. ثم نهضت حزينا وهرولت مبتعدا عن البيت وأنا أرى حياتى وكل شيء جميل فيها ينهار فى لحظة وبلا مقدمات .. وعانيت الصدمة لفترة .. حتى هدأت النيران داخلى قليلا وتدخل وسطاء الخير للصلح بيننا فتمسكت الأم بنفس الشروط لعودتها ـ ولم أر معنى لأن اعيش مع زوجتى وأولادى تحت الاذعان لشرط مهما كان نوعه لأنهم حياتى وكل ما أملكه لهم .. بلا إجبار ولا إذعان .. فرفضت الشروط واتفقنا وديا على النفقة وعلى كل شيء وعلى أن أرى أولادى بانتظام .

ومضت الحياة هكذا .. وكلما تذكرت كيف انهارت هذه السعادة

فجأة تألمت .. وكلما تذكرت صورة زوجتى وهى تصفعنى بألفاظ لم اسمعها منها من قبل تعجبت .. وساءلت نفسى .. هل كنت الزوج المخدوع الذى لم يعرف حقيقة زوجته إلا فى هذه اللحظة القاسية !

وشغلت نفسى بعملى وارتباطاتى .. وبعد عامين ظهرت فى محيط الأسرة ارملة متدينة وعلى خلق مات عنها زوجها بعد ستة أشهر من الزواج فى حادث سيارة ولم تكن قد حملت منه ، ورحب أبى وأمى وأخوتى بها وارتحت إليها وارتاحت إلىّ وتزوجنا .. وكان أكثر ما شجعنى على الزواج منها هو أن أمها متوفاة فدعوت لها الله ان يرحمها وشكرته ان رحمنى أنا من الخوف من تأثير بعض الأمهات على بناتهن ، وبعد قليل جاءتها الاعارة إلى إحدى الدول فسافرت معها ووفقنى الله فى عمل يدر على أجرا عاليا وعشنا معا والحمد لله فى سعادة وهناء واستقرار وقد رزقنى الله منها طفلا جميلا ، وبقيت على اتصال بأولادى أؤدى إليهم النفقة واطمئن عليهم من حين إلى حين .

وفجأة سمعت ان أم مطلقتى قد انتقلت إلى جوار ربها .. فطلبت لها الرحمة والمغفرة عما أذتنى فيه .. ثم عدت يوما فوجدت خطابا من مطلقتى تقول لى فيه أنها نادمة على مابدر منها وأنها كانت واقعة تحت تأثير أمها الراحلة وان ضميرها يعذبها لأنها ظلمتنى .. وانها نالت من العقاب ونظرة الآخرين لها ما لايطاق واننى أول حب لها ولن تجد أحدا فى كرم أخلاقى وأنها لاتريد شيئا سوى الصفح عنها وان يلتئم شملنا مرة أخرى وأنها تقبل أن تعيش معى وأنا متزوج لأنها تعرف عنى أننى لن أظلمها ولن أظلم زوجتى الأخرى .

فماذا أفعل ياسيدى .. لقد وقعت فى حيرة شديدة . هل اردها إلى عصمتى .. أم اتركها لحال سبيلها عسى أن يرزقها الله بمن هو خير منى وهل أخبر زوجتى الحالية بما يجرى .. ماذا أفعل علما بأن جرح إهانة مطلقتى لى لا أظن أنه سوف يلتئم لأنى أحسست فجأة أنها كانت تعيش معى بشخصية غير شخصيتها الحقيقية .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : أنت ياصديقى فى موقف محير فعلا .. لأنه من المواقف القليلة فى الحياة التى يتساوى فيها الخطأ والصواب إلى حد كبير .

فمن الصواب مثلا أن تعيد مطلقتك إلى عصمتك وتجمع شمل ابنائكما فتنقذهم من التمزق بينكما ومعاناة كل الآثار السلبية البغيضة لانفصال الأبوين على الأبناء .

لكنه من الخطأ أيضا وربما بنفس الدرجة أن تفعل ذلك إذا رفضت زوجتك قبول هذا الوضع وطلبت الانفصال فتهدم بذلك سعادتك الحالية وتمزق ابنك الوليد بينكما وتعرضه لنفس هذه الآثار الكريهة .

ومن الصواب الا ترفض نداء مطلقتك وندمها وهى صادقة فيه .. وقد عاشرتك بشخصيتها الحقيقية سنوات طويلة فكانت الزوجة المهذبة الرقيقة حسنة العشرة التى لم تغاضبها ولم تغاضبك يوما ، أما شخصيتها الأخرى فى تلك اللحظة القاسية .. فلقد كانت الشخصية المستعارة الزائفة التى ظهرت فجأة بتأثير أمها الطاغى عليها وقد زالت بزوال المؤثر ، وأنت حبها الأول كما تقول هى ولعلها كذلك أيضا بالنسبة لك

لكنه من الخطأ أيضا وبنفس الدرجة تقريبا أن تسىء إلى مشاعر زوجتك الحالية التى تعيش معها الآن فى هدوء واستقرار وسعادة وقد وجد كل منكما فى الآخر ما يضمد جراحه ومن يعوضه عما لقيه من آلام الحياة .

فما المخرج إذن من هذه الحيرة ؟ الحق أنه لو لم تكن قد انجبت من زوجتك الحالية لنصحتك بلا تردد بأن تخيرها بين إعادة مطلقتك وابنائك إليك مع بقائها زوجة لك أو أن تسرحها باحسان تغليبا لمصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ..

ولو لم تكن قد انجبت من مطلقتك ثلاثة ابناء لنصحتك بألا تلتفت أصلا إلى ندائها وبأن تدعها إلى حال سبيلها بعد ان استقرت حياتك مع غيرها .. لكن وجود الأبناء يغير الكثير من الحسابات ياصديقى .. ولاعجب فى ذلك إذن فاستفت قلبك قبل أى مشير آخر واعمل بما سوف يفتيك به .. فأى طريق تمضى فيه صواب من ناحية وخطأ من ناحية أخرى .

أما إذا أردت نصيحتى الشخصية فإنى انصحك بأن تعرض الأمر على زوجتك الحالية بكل جوانبه وبأن تترك لها مهلة كافية للتفكير فيه بروية .. ثم اترك لضميرها وعقلها وقلب الأم فيها الخيار بلا ضغط منك وهى من عانت من قبل من الترمل والوحدة وتصاريف القدر .. فإن قبلت عن طيب خاطر مبدأ الجمع بينها وبين ابنائك .. رحمة بهم وصونا للحرمات حتى لاتزورهم فى بيت أمهم وهى اجنبية عنك .. فاعد مطلقتك إلى عصمتك واعف عما كان .. واعرف لزوجتك الحالية

فضلها فى ذلك وأضفه إلى موازينها الثقيلة عندك .. أما إذا رفضت وتمسكت وجعلت من الانفصال شرطا له فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا لوم عليها ولاعتاب فى ذلك .. وبادر بالاعتذار لمطلقتك عن عدم استطاعتك اصلاح خطئها فى حق ابنائها بخطأ آخر فى حق ابنك الوليد .. وليختر لها الله ما يعوضها عما حدث .

والإنسان فى النهاية لايتعلم الحكمة بغير ثمن .. وان كان المؤسف حقا أنه ثمن يدفعه الأبناء قبل ان يدفعه الآباء والآمهات ..

القـــــــــرار

اكتب إليك للمرة الثالثة خلال فترة قصيرة .. فأنا ياسيدى الطبيب الشاب الذى نشرت رسالته منذ فترة قصيرة بعنوان اللحظة القاسية ، والذى روى لك فيها أنه كان متزوجا ويعيش فى سعادة مع زوجته وأطفاله إلى ان توفى صهرى وذهبت زوجتى للإقامة مع أمها لفترة بعد الوفاة ـ فطالت اقامتها معها ودعوتها للعودة إلى بيتها أكثر من مرة فرفضت إلا إذا كتبت لها جزءا من مالى تأمينا لمستقبلها ورويت لك أنى فوجئت بهذا الموقف منها .. ورفضت الاستجابة لشروطها وتم الطلاق وتهدم العش السعيد الذى لم يشهد أية أزمة قبل تلك اللحظة القاسية ، ثم تحملت الصدمة وواصلت حياتى إلى أن وضع الله فى طريقى سيدة فاضلة تزوجتها وسافرت معها إلى إحدى الدول العربية وعشت معها فى سلام وسعادة وانجبنا طفلة جميلة .. فوجئت منذ فترة قصيرة برسالة من زوجتى الأولى تنبئنى فيها أن أمها قد توفيت وأنها قد ادركت خطأها فى حقى وحق ابنائها وندمت على هدمها لأسرتنا .. وتعرض على أن أعيدها إلى عصمتى مع استمرار زواجى بزوجتى الثانية حرصا على صالح ابنائنا الذين لاذنب لهم فى وقوعها تحت تأثير أمها .

وقد كتبت إليك فى رسالتى الأولى عن حيرتى ازاء هذا الموقف .. أسالك المشورة فى أمرى فاجبتنى بأنى فى موقف محير فعلا .. وانه من المواقف القليلة فى الحياة التى يستوى فيها الخطأ مع الصواب على نفس الدرجة تقريبا لأنى إن اعدت زوجتى الأولى حرصا على مستقبل ابنائى منها عرضت حياتى الجديدة للخطر بعد أن استقرت واثمرت ثمارها وازهرت طفلة جميلة .. وان رفضت اعادتها أضررت بصالح ابنائى منها .. وبالتالى فلا لوم على ان قبلت عودتها أو رفضتها ثم انتهيت إلى رأى محدد هو ان اعرض الأمر كله على زوجتى الحالية قبل اتخاذ أى قرار .. فإن قبلت عودتها لك كان ذلك فضلا منها وكرما وتغليبا لمصلحة ابنائك من الأخرى على اعتباراتها الشخصية .. وان رفضت فلا لوم عليها .. ونصحتنى فى هذه الحالة بأن اتمسك بها وان أعتذر للأولى حرصا عليها وهى من حققت لى السعادة والأمان وحرصا على مصلحة طفلتى منها .

وبعد نشر هذه الرسالة كتبت إليك رسالة شخصية ابلغتك فيها أنى سأعمل بمشورتك التى انقذتنى فعلا من حيرتى ـ لكنى سانتظر الوقت الملائم لمفاتحة زوجتى فى الأمر ، وكنت قد أخفيت عنها الصحيفة التى نشرت بها المشكلة ثم انتظرت حتى جاءت اللحظة المناسبة .. فاخرجت الصيحفة من مخبئها وقدمتها لها واخبرتها بالموضوع كله وطلبت منها ان تقرأ ردك على المشكلة وقرأت زوجتى المشكلة .. وطلبت منها ألا تتسرع فى ابداء رأيها وان تفكر فى الأمر بروية ثم تصارحنى بعد ذلك بما يدور داخلها .. واكدت لها أنى سألتزم بقرارها فى هذا الموضوع بلا

غضاضة . فاطرقت زوجتى قليلا ثم قالت لى أنها معجبة بصراحتى معها فى هذا الأمر .. وأنها تحمل لك شكرا وعتابا .. أما الشكر فلأنك اهتممت بالمشكلة وحللتها من كل جوانبها .. وأما العتاب فلأنك كما تقول زوجتى قد ألقيت بالعبء كله على ضميرها هى وحدها .. فى أن تجمع بين أب وابنائه وزوجته الأولى .. أو ان تفرق بينهم جميعا وهى مسئولية ثقيلة محتاجة إلى تحكيم الدين ومراعاة الله فيها وانتهى الحديث عند هذا الحد .. وعشنا حياتنا العادية .. ولم أشعر بأى تغير من ناحية زوجتى ولا أى تقصير فى اداء واجباتها كزوجة وأم .

وبعد فترة مناسبة من التفكير فى الموضوع ابلغتنى زوجتى بقرارها ، واحب أن اعرضه عليك بكلماتها هى لقد قالت لى زوجتى وهى كما قلت فى رسالتى الأولى خريجة كلية علمية عملية وحاصلة على أعلى الدرجات وتعمل :

إن طاعة الزوج فرض على كل زوجة فيما لامعصية فيه لله . وان طاعة الزوجة لزوجها مقدمة على طاعتها لأهلها وأنها من أسباب كل زوجة للتوسل إلى نيل رضا ربها ودخول جنته ، وان الله قد أحل للرجل ان يتزوج من أكثر من زوجة لضرورات معينة فى صالح البشرية بشرط ان يعدل بينهن ، وبناء على ذلك فهى تقبل أن أعيد إلى عصمتى زوجتى الأولى مراعاة لصالح أبنائى منها ، وواثقة من أنى سوف أعدل بينهما ، ومؤمنة بأن طاعتى فى هذا الأمر والصبر عليه مع الالتزام بالقيام بواجباتها نحوى ونحو بيتها وأسرتها يقربها من ربها وينيلها جائزته فى الدنيا وفى الآخرة .

هذا هو ياسيدى قرار زوجتى فى المشكلة التى حيرتنى عدة أسابيع وشغلت ليلى ونهارى .

وقد سمعتها تردد هذه الكلمات .. وأنا لا أصدق نفسى .

ثم طلبت أنا منها مهلة لأبلغها بقرارى بعد ان عرفت قرارها .

وفكرت فى الأمر أياما وأياما .. وبعد تفكير طويل انتهيت إلى قرار قد يبدو مفاجئا لك .. وهو لن استطيع ان اعيد مطلقتى إلى عصمتى .. لأنى كلما فكرت فى الأمر تذكرت اساءتها لى وهدمها لعشنا وتمزيقها لأبنائنا .. بلا أى مبرر ، وبالتالى فأنى لو اعدتها فلن استطيع أن أعدل بينها وبين زوجتى الثانية وسأظلمها وأظلم نفسى .. وأبوء بغضب ربى لأنى لم أعدل معها .

وهكذا قررت ألا أعيد مطلقتى .. وابلغت زوجتى بذلك ، وسوف أبلغ مطلقتى به خلال أيام .. ورأيت أن أكتب لك بقرارى لكى تعرف ماتم فى أمرى ولكى تنصح كل زوجة بأن تحافظ على زوجها وأسرتها وأولادها قبل فوات الاوان .. وان تخلص فى طاعة الله فلا تعرض أولادها لمثل هذه المحنة ثم تندم على مافعلت حين لاينفع الندم .. كما أرجو ان تنصح أيضا كل أم ألا تتدخل بسوء فى حياة أبنتها مع زوجها .. وألا تكون عونا للشيطان على هدم بيت أبنتها وتشريد أطفالها كما فعلت معى حماتى .. سامحها الله وعفا عنها .. وشكرا . لك والسلام .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : قدر الله وكما شاء فعل . لقد قلت لك من قبل ان ايما قرار تتخذه فى هذا الأمر .. فسوف تكون له مبرراته

وأسبابه المقبولة .. ولقد كنت تستطيع أن تكون إنسانا متسامحا ومضحيا من أجل أبنائك من مطلقتك بصفحك عنها واعادتك لشملهم بين جناحيكما بعد ان اذنت لك زوجتك العظيمة بذلك .. لكنى لا أستطيع أن ألومك أن لم تفعل فليس كل إنسان بقادر على نسيان الأساءة خاصة إذا جاءته ممن لم يقدم لهم سوى الحب والوفاء والأخلاص .. أو جاءته ممن كان يعتبرهم ظهراءه فى الحياة وسنده فيها .. أو اذا ترتب عليها هدم أسرة وتشريد أبناء أبرياء لسبب دنيوى حقير كذلك السبب .

لهذا قلت لك فى ردى عليك استفت قلبك أولا وبعد ان تطرح الأمر على زوجتك فان افتاك بقدرتك على الصفح كان خيرا وأبقى .. وان افتاك بغيره فلا تثريب عليك .. وفى كلا الحالين فلقد رد إليك هذا الاختبار اعتبارك بعد الأساءة التى لحقت بك من زوجتك الأولى ، وزادك معرفة بجوهر زوجتك الحالية الأصيل واستمتعنا نحن بقراءة كلماتها الجميلة المعبرة عن فهم راق وسام للحقوق الزوجية والواجبات الدينية ولثقل الأمانة على الضمير الحى .

فعسى أن تستفيد بكلماتها كثيرات .. وعسى أن تستفيد ويستفيد بعبرة رسالتك كثيرون ممن يندفعون وراء أهوائهم بلا روية ويهدمون معابدهم ويشردون ابناءهم .. ثم لا يستبينون الرشد إلا ضحى الغد !

الفهـــرس

رقم الإيداع ٩٣/٧٨٧٢
I.S.B.N 977 - 09 - 0162 - 8

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت : ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)